السنة الخامسة عشرة / يوليو ٢٠٢٤ / العدد: ٢٥

النور

للدراسات الحضارية والفكرية

- قواعد بناء الإيمان في القرآن الكريم عند بديع الزمان سعيد النورسي
- منهجية النورسي في الرد على الملحدين رسالة الطبيعة نموذجا
- المقاصد الجزئية للصلاة عند الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي
- مسالك التعرف على الرسول صلى الله عليه وسلم في رسائل النور -دراسة تحليلية
- وقفات مع دراسات حديثة عن رسائل النور والأستاذ النورسي -الأستاذ إحسان قاسم نموذجا

للدراسات الحضارية والفكرية

تصدر عن مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم

THE ISTANBUL FOUNDATION FOR SCIENCE AND CULTURE

المدير المسؤول: سعيد يوجه saidyuce@iikv.org

رئيس التحرير: أ.د. عمار جيدل nureditor@iikv.org

المشرف العام: إحسان قاسم الصالحي ihsankasim@gmail.com

سكرتير التحرير

د. محمد الهادي وناس

muhammedhadi@iikv.org

هيئة التحرير

أ.د. إسحاق أوزكال؛ أ.د. فرهاد أكبر شواني

أ.د. أميد نجم الدين المفتي؛ أ.د. عبد الكريم عكيوي

اللجنة الاستشارية

أ.د. محمد خليل جيجيك؛ أ.د. زياد الدغامين؛ أ.د. عبد العزيز برغوث؛ أ.د. عبد المجيد النجار؛ أ.د. عماد الدين خليل؛ أ.د. محسن عبد الحميد؛ أ.د. عبد اللطيف البوعزيزي؛ أ.د. فيروز عثمان صالح؛ أ. د. نادية محمود مصطفى.

الإخراج الفني

علي حنيفة، محمد أوزون

رقم الإيداع الدولي

ISSN: 1309 – 4424 (En-Nur)

الطباعة

العدد: 25/ يوليو 2024

İmak Ofset Basım Yayın Ticaret ve Sanayi Ltd. Şti.
Atatürk Caddesi Göl Sok. No: 1. Yenibosna/Bahçelievler–İstanbul
Tel: +90 (212) 656 49 97

المركز الرئيسي

Vefa 34134 Fatih, ISTANBUL – TURKEY
Tel: +90 212 527 81 81 (pbx)
Fax: +90 212 527 80 80
info@nurmajalla.com
https://dergipark.org.tr/tr/pub/alnur
www.iikv.org

بسم الله الرحمن الرحيم

النور للدراسات الحضارية والفكرية

1- التعريف بالمجلة:

مجلة علمية أكاديمية محكّمة نصف سنوية (يناير– يوليو)، تصدر عن مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم.

تُعَد مجلة ''النور للدراسات'' مجلة الباحث والمفكر المجدد فضلا عن من يتمرّس بالبحث من شباب هذه الأمة، وهي منبر علمي أكاديمي مفتوح أمام كلّ المفكرين والباحثين الجادين.

تعمل المجلة على توجيه النظر إلى الجمع بين أصالة الأمة ممثلة في أستاذها الأول ''مصادر الإسلام'' (القرآن الكريم والسنّة المطهّرة) وثقافة العصر فيما لا تتعارض وحقيقة ثقافة الأمة وأصالتها، كما تعمل على الإفادة منها في التأسيس لبعث معرفي وحضاري، إنساني البعد إسلامي الروح، يسعى إلى فحص المتداول في الدرس الاجتماعي والإنساني بقصد تمحيصه والتأسيس للبديل المنبثق عن التصور التوحيدي للعالم والحياة والإنسان، وتَعَهُّد هذا الكسب (العلم المنجز) بالمراجعة والاستدراك المستمر، وتدريب المثقف الرسالي على التوقّف المنهجي والمعرفي عند ''الكونية'' التي يراد من خلالها تمرير مشاريع التحكّم في المعرفة ومن ثمَّ الهيمنة على مؤسسات صناعة الوعي في برامجها ومناهجها، والحيلولة الموضوعية دون ضياع سائر موارد القرار في مختلف مجالات الحياة.

2- تتناول المجلة وفق الخط العام المشار إليه أعلاه:

قضايا المنهجية الإسلامية الجامعة بين مخاطبة العقل والقلب في ذات لحظة التذكير، حتى يغدو الفصل بينهما في عداد المحال المنهجي والمعرفي على السواء.

قضايا المعرفة من حيث خلفيتها النظرية، ومصادرها ونظمها وفلسفتها وإنتاجها.

العودة بالأمة إلى أستاذها الأول ''القرآن الكريم''، مبعث نهضتها، ومؤسس فعاليتها في شعاب الحياة المعرفية.

الحث على البحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية في إطار النظرة الإسلامية وفي كنف تكاملها مع سائر علوم الشريعة، بقصد بعث الفعالية الحضارية المنشودة.

دراسة وفحص ثم تمحيص مناهج التعامل مع الخبرة المعرفية الإسلامية (التراث) والإنسانية في مختلف مجالات التدين (العقيدة، والشريعة، والأخلاق) بالإسلام.

الإفادة من مشاريع النهضة والإصلاح في العالم الإسلامي، ولاسيما مشروع بديع الزمان النورسي المبيّن في رسائله الموسومة بـ ''رسائل النور''، سعيا منا إلى الاستفادة من هذه التجربة وغيرها من خبرتنا في مجال النهضة والتغيير، بغرض المساهمة في فهم الحاضر والتخطيط الجيّد للمستقبل.

ما تنشره المجلة يعبّر عن رأي صاحبه، وليس رأي المجلة ضرورة.

المحتويات

- كلمة العدد الخامس والعشرون ..... أ.د. عمار جيدل: 3

الدراسات والبحوث

- قواعد بناء الإيمان في القرآن الكريم عند بديع الزمان سعيد النورسي
..... دة. حبيبة أبو زيد: 10
- منهجيّة النورسي في الرّد على الملحدين رسالة الطبيعة نموذجا
..... د. محمد الهادي وناس: 22
- المقاصد الجزئية للصلاة عند الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي
..... أ.م.د. حسن محمد إبراهيم: 52
- مسالك التعرّف على الرسول صلى الله عليه وسلم في رسائل النور دراسة تحليلية
..... أ.د. أميد نجم الدين جميل المفتي: 84
- اليأس وأثره في الركود الحضاري دراسة في رسائل النور- دراسة تحليلية
..... د. فيروز عثمان صالح: 125
- الجمالية والجمال عند بديع الزمان سعيد النورسي ..... أ.د. محمد خروبات: 145
- وقفات مع دراسات حديثة عن رسائل النور والأستاذ النورسي-الأستاذ إحسان قاسم نموذجا ..... أ.د. عمار جيدل: 163
- معلومات عن النشر في المجلة 175
- الإشتراك السنوي / Contents 176

كلمة العدد الخامس والعشرون

أ.د. عمار جيدل

أثر رسائل النور على الجيل غربا وشرقا لا ينكر، فقد خطّت (الرسائل) لنفسها مسلكا جامعا بين عنصرين غلب على عرضهما التفريق (العقل والقلب، والظاهر والباطن، والفصل بين الدنيا والآخرة، الأنثى والذكر...)، فشاع في المشتغلين بالفكر في عصر النورسي وما بعده الفصل عوض الوصل بينها، وفشا بينهم - بسبب هذا الفصل النكد- رؤية للوجود والحياة مخالفة للإسلام، وتفرّعت عنها رؤية خاصة للمعرفة، ورتّبوا عليها آراء؛ بذلوا قصارى جهدهم بالحيل "المنهجية" و"العلمية" لأجل تمريرها في العالم عموما والشرق على الخصوص، ولأجل تيسير نشرها حَلَّوْها بعناوين برّاقة خدّاعة منها على سبيل المثال لا الحصر: "الحرية" و"الفردية" و"العلم" و... فكان من مخرجاتها السننية المُرَّة الإلحاد، فصار له أنصار وخدم في البلاد الشرقية؛ وهذا بعد استفحاله في الغرب، وطال أمد الإلحاد فأرادوا نقل المجتمعات الإنسانية إلى الشذوذ وفق خطّة موزّعة على الزمن، وقد سَمَّوْها "المثلية" وذلك تسيرا لمرورها باستغفال المرابطين في القلاع الفكرية والتربوية.

وهكذا بدأت معركة التقهقر بالمجتمعات الإنسانية والارتكاس بها من الإنسانية والرُشْد إلى البهيمية، امتثالا لأمر الشيطان الذي يعد الناس الفقر، ويأمرهم بالفحشاء، وقد وقع بعض أغنياء الشرق فريسة له، فتحالفوا مع الشيطان –بحسب تقديرهم- لأجل صيانة أملاكهم من الزوال، كما أمرهم الشيطانُ وغيرهم بالفحشاء، وأصبحت الحضارة الغربية أكبر سمسار للأفكار الشيطانية، فأصبحت تأمر بالفحشاء بعد أن كانت تقترحه على استحياء في الماضي القريب، حتى قال بعض عقلائهم كان الشذوذ معاقبا عليهم بالإعدام شنقا وحرقا ثم بدأت مرحلة التخفيف في تدرّج مريب، فمن الإعدام شنقا وحرقا إلى الإعدام شنقا، وازداد الأمر سوءا فأصبح الشاذ يعاقب بالسجن المؤبّد، ثم تدحرج آخر فصار يعاقب بموجبه المثلي "الشاذ" بالسجن عشرين سنة، ثم التخفيف ليصل إلى غرامة رمزية، وهو الآن معتاد في البيئات الغربية لا يعاقب عليه القانون بل يدخل ضمن الحرية الشخصية، فما كان من هذا العاقل - الذي سبقت الإشارة إليه- إلا مهاجرة هذه البلدان خوفا من أن يصبح الشذوذ المسمى بهتانا وزورا (مثلية) إجباريا، ألا ينطبق على هؤلاء وأولئك قوله تعالى في التصوير الدقيق للشيطان ودوره في تلويث

الحياة العامة والفردية. قال تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ۖ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 268].

أورد الأستاذ في المبحث الأول من المكتوب السادس والعشرين ما يصلح أن يقدّم في مواجهة الأوامر والتوجيهات الشيطانية التي تطال العالم بعنوان الحيادية والحرية وغيرها من الترّهات المتلبّسة بالمنهج والعلم، فاستهل المبحث بقوله تعالى:"{وَإِنْ مِنْ شَيءٍ إِلاّ يُسَبّحُ بِحَمْدِهِ}، ثم قوله تعالى: ﴿وإما يَنْزَغنّك من الشيطانِ نَزغٌ فاستَعِذ بالله إنه هو السميعُ العليمُ﴾ [فصلت:36]، وجعل المبحث مؤسس لحجة القرآن على الشيطان وحزبه، ونظرا للنشاط المكثّف للشياطين في عصرنا وقد لبّسوا على الناس في دينهم ودنياهم، حَرِيٌّ بالعاقل دراسة هذه أساليب القرآن في دحض الشيطان وحزبه والاستفادة منها في دفع شيطنة الحياة العامة في بلاد المسلمين. (راجع المكتوبات، ص: 398 وما بعدها)

إنّنا عندما نحيل على رسائل النور نبذل المعروف للمجتمعات الإنسانية قاطبة، ونلبي حاجاتها للتطعيم ضد الفحش في التصوّرات والتصرّفات، وإسعاف الإنسان لاسترداد فطرته التي فطره الله عليها، لهذا فإنّ رسائل النور، تنوير علمي وعملي للحياة الفردية والجماعية في المجتمع الإنساني وليس الإسلامي فحسب، ومجلتنا "النور للدراسات الفكرية والحضارية" منبثقة عن هذه الروح، وفق ما رسمه الأستاذ (رحمه الله) في تطهير الحياة من الشيطان والشيطنة، وهو عمل جدّي لاستعادة الإنسانية رشدها تأسيسا لمستقبل إنساني أرشد وأفيد في الحاضر والقابل، والعدد الذي بين ايدنا غني بهذه المعاني، ومحيل عليها في جملة الدراسات التي حواها.

إنّ للتعلّق برسائل النور دراسة ومدارسة كبير الأثر الملموس على العقل والقلب، وقبل ذلك على رؤية المؤمن للوجود والمعرفة والحياة، ومجلتنا جعلت أرقى أمانيها التشجيع على دراسة ما كتبه الأستاذ وما كتب عنه تأييدا أو تعقيبا ونقدا، فكان الأستاذ النورسي لا يضيق بالنقد، بل يعتبر النقد علامة محبّة واهتمام، إذ ما لا قيمة له لا ينتقد.

ومجلة النور للدراسات الفكرية والحضارية في عددها الحالي تنبجس عن هذه المعاني، فهي تشجّع بلا حدود الدراسة التحليلية والتأصيلية بل حتى النقدية والمقارنة ولكن في أدب واحترام، لأنّ أضمن طريق للمثاقفة المنهجية والمعرفية الفردية والجماعية لا تتم بغير الدراسات الجادة وإن كانت ناقدة بشرط مراعاة آداب الاختلاف وحرية البحث الموضوعي المشفوع بالأدلة الصالحة للاستدلال وإقامة الحجة على

الموالف والمخالف..

تزيّن العدد الخامس والعشرون بمقالات ودراسات متنوّعة ومن رحاب جامعية مشرقية ومغربية، ضمنت لنا هذه المقالات التحليق في مختلف ميادين معرفية.

اشتمل العدد على مقالة للباحثة المغربية الدكتورة حبيبة أبو زيد كلية الشريعة - جامعة ابن زهر، أكادير- المملكة المغربية – واختارت الكتابة في موضوع تأسيس الإيمان في القرآن كما استشفته من رسائل النور، وعنونته بـ"قواعد بناء الإيمان في القرآن الكريم عند بديع الزمان سعيد النورسي"، وهذه الدراسة قرآنية من وجهين، أولهما تأصيلي والثاني تلمّس عناصر التأصيل عند الأستاذ النورسي في رسائل النور.

أما البحث الثاني فهو من طابع كلامي جديد، يتناول بالعرض والمناقشة لقضية من قضايا العصر(الإلحاد)، وقد تقدّم به الدكتور(الزيتوني التونسي) محمد الهادي وناس، والذي اختار الكتابة في مستأنفات بحثه الذي نال به الدرجة العلمية الأخيرة (الدكتوراة)، إذ كان له اشتغال بالدراسة المقارنة بين الأستاذين النورسي ومصطفى صبري، فكان بحثه تثمينا لما كان قد بلغه في بحثه، فآثر أن يكتب في "منهجيّة النورسي في الرّد على الملحدين رسالة الطبيعة نموذجا"، فكان البحث تطبيقا علميا للرد على الملحدين من مصنف مضبوط محدّد آثر أن يكون أساسا لدراسته.

أما البحث الثالث فتناول مباحث في التكليف الفقهي، فاختار الباحث التفصيل في المقاصد الجزئية لواجب من الواجبات الشرعية، أنجز البحث الأستاذ المساعد الدكتور حسن محمد إبراهيم من كلية العلوم الإسلامية، جامعة صلاح الدين، إربيل العراق، وعنونه بـ " المقاصد الجزئية للصلاة عند الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي"، فبعد إجالة النظر في التعريف بمقاصد الشريعة، دلّل على أنّ مدار الشريعة في أحكامها على مقاصد لها ارتباط وثيق بالمصالح العاجلة والآجلة، وكانت الدراسة محاولة للتدقيق في المقاصد الجزئية في الأحكام التكليفية في الرسائل، وركّز الجهد على الصلاة وتفاصيلها، وما تعلّق بها من أقوال وأفعال ومواقيت، وشمل النظر سورة الفاتحة لركنيتها في الصلاة، وكلّ ذلك يؤكّد السمة الموسوعية لرسائل النور.

وقد أتحفنا الأستاذ الدكتور: أميد نجم الدين جميل المفتي من كلية العلوم الإسلامية، جامعة صلاح الدين ـ أربيل - العراق، ببحث جمع بين الأخلاق ومعارف الإيمان، فآثر أن يكتب في طرق التعرّف على النبي الخاتم (صلى الله عليه وسلّم) في

رسائل النور، فجلى البحثُ عنوانَه تفصيلا وترتيبا، فكان العنوان ظاهرا في المضمون، واختار عنونته بـ" مسالك التعرّف على الرسول صلى الله عليه وسلم" فكانت الدراسة تحليلية، تتلمّس مسالك التعرّف على النبي الخاتم (صلى الله عليه وسلم) في رسائل النور وتُنَبِّهُ عليها لمن رام التَعَرُّف بحق وصدق على النبي الخاتم، فتجاوز مسلك السرد التاريخي البارد بعرض تفاعلي لمعرفة النبي (صلى الله عليه وسلم).

انتقلنا من البحث الجامع بين معارف الإيمان والأخلاق في معرفة النبي(صلى الله عليه وسلّم) إلى مداواة النفوس والتنبيه إلى أهمّ الأمراض التي يمكن أن تصيبها، فآثرت الأستاذة الدكتورة فيروز عثمان صالح، من قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، جامعة الخرطوم ، السودان أن تكتب دراسة تحليلة عنوانها:" اليأس وأثره في الركود الحضاري دراسة في رسائل النور" والدراسة تنم عن نظر واقعي مستفاد من رسائل النور في واقعيتها التي يستشف منها تقديم حلول لمشاكل العصر، وخاصة الأمراض المعنوية ذات البُعد النفسي المدمّر، فحالة عالمنا الشرقي تبعث على اليأس عند عموم الناس، والمثقف الرساليُّ مسكون بالتنبيه إلى خطورة المرض المعنوي وتقديم ما يدفعه ويستأصله، وتطعيم المؤمنين ضد فشوّه وانتشاره في العالم، فكان الأمل معقودا بعد التطعيم من اليأس حصول نباهة عامة تبعث على دفع الركود الحضاري، وبعث الهمّة الحضارية الجماعية.

المقالة الآتية تظهر موسوعية رسائل النور وتؤكّدها، فقد انتقل بنا الأستاذ الدكتور محمد خروبات. أستاذ التعليم العالي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بمراكش. من البحوث الكلامية والتشريعية والنفسية إلى الجوانب الفنية الجمالية والجمال عند بديع الزمان سعيد النورسي، وكان عنوان بحثه:" الجمالية والجمال عند بديع الزمان سعيد النورسي"

جعل الأستاذ خروبات منطلق تصور الجمالية والجمال عند النورسي قوله(رحمه الله):" إن عقلي يرافق قلبي في سيره، فيعطي القلب مشهوده الذوقي ليد العقل، فيبرزه العقل على عادته في صورة المبرهن التمثيلي". وهو مدخل مهمّ ورئيس لفهم النظر الجمالي عند الأستاذ النورسي، وقد خلص الدكتور خروبات إلى نتائج مستوحاة من رسائل النور، بيّن فيها تميّز الأستاذ بالنظر إلى الجمالية والجمال المنبثقة عن النظر في جمال الكائنات المستفاد من التأمّل في تجليات أسماء الله الحسنى في الكون، جمال في انسجام الوجود ووحدته، وقراءة الجمال في النظر الحرفي للكائنات والذي جعل وجودها وبقاءها ومصيرها مرتبط بخالقها، فضلا عن وقفات مع الجمال في الذكر وفي

الجواب عن سؤال الجمال.

وختم العدد ببحث للأستاذ الدكتور عمار جيدل من كلية العلوم الإسلامية جامعة الجزائر 1 بن يوسف بن خدة، وقد نظر فيما كُتِبَ من دراسات عن رسائل النور في العام الحالي، فاختار الكتابة عن آخر مؤلفين للأستاذ إحسان قاسم الصالحي - مترجم رسائل النور والمعرّف بها في البلاد العربية-، فكان عنوان دراسته:" وقفات مع دراسات حديثة عن رسائل النور والأستاذ النورسي -الأستاذ إحسان قاسم نموذجا-" أجال النظر في كتابين جعلهما مدار دراساته، أولهما كان له كبير الأثر في الأوساط التركية إذ أَلِّف بدئ الأمر باللغة التركية، ونفذت نسخه في طبعته الثالثة والعشرين، مما كان سببا لاستعجال ترجمته إلى اللغة العربية، والكتاب مدارسة لمسائل من رسائل النور أثراها شباب الجيل الراهن، وأجاب عنها الأستاذ إحسان، فجعل الكتاب العبودية محورا له، واختار له العنوان الآتي:" "العبودية لله السعادة العظمى".

كما آثر الكاتب تحليل مضمون الكتاب الثاني للأستاذ إحسان قاسم الصالحي الموسوم بـ" دراساتي حول رسائل النور" وهو مجموعة دراسات وبحوث ومداخلات ألقيت في كثير من الجامعات في آسيا وإفريقيا، تضمّن هذه الجهد ثمرة رحلات علمية في رحاب رسائل النور، وفق تجربة رجل عايش الرسائل مترجما ومتذوّقا وعالما بمضمونها ومتصرفا بمقتضاها، وقد انتفع بها كثير من الباحثين والمهتمين في بلاد المسلمين شرقا وغربا، إذ كان له شرف الاستماع المباشر لهذه الدراسات، فكان لها أيضا دور في تنشيط الفكر بمناقشة ما ورد فيها.

يتبيّن مما سلف من مقدمة العدد أنّ رسائل النور موسوعة دقيقة تنفع في جملة ميادين المعرفة لمن رام الاستفادة والإفادة من الروح القرآنية كما جسّدها الأستاذ النورسي في رسائله، كما أنّها (رسائل النور) أنفذ برنامج يمكن أن يستثمر في الإجابة عن أسئلة العصر بروح قرآنية جامعة بين العقل والقلب في توازن شامل ومتكامل، فهي تمثّل ذوقا قلبيا في ضوء العقل، ونظر عقلي تحت ضوء الذوق القلبي، مؤسسة للعلم العملي، وتَبَني هذا المسلك فتح مسارات للمعرفة والعمل في الوقت نفسه، هذه هي الروح اتي نريد نفثها في قراء مجلة النور للدراسات الحضارية و الفكرية، متلطّفة في خطّها ومنهجها، لعلّها تكون باعثة على نهضة حضارية جامعة شاملة، تعود بالأمة إلى الريادة الحضارية المنشودة.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

* * *

الدراسات والبحوث

قواعد بناء الإيمان في القرآن الكريم عند بديع الزمان سعيد النورسي

دة. حبيبة أبو زيد
كلية الشريعة- جامعة ابن زهر أكادير-المملكة المغربية

– ملخص –

إن أعظم منهج قامت عليه رسائل النور للأستاذ سعيد النورسي، الاستمداد الدقيق من القرآن الكريم، والتحرير الكافي العميق لقواعد التدبر الأمثل منه. وقد قصد إليه أولا بتعريفه وتحرير معناه، ثم بمعرفة مقاصده الأساس، ليسلم الاستمداد من أنواره والكشف عن بعض أسراره.

وقد قصد النورسي من الرجوع إلى القرآن الكريم، وهو في ظروف البلاء والمحنة، وبلاده تحت هجمة الفكر الإلحادي والمادي، قصد من ذلك إحياء الإيمان في القلوب وتجديده في النفوس، وبعث حرارة الإيمان وتمتين أصول العقيدة، لإغاثة المسلمين إثر سطوة المد الإلحادي العلماني.

ونجمل معالم المنهج القرآني في بناء الإيمان عند النورسي في عدد من القواعد:

1- التعريف بالله تعالى وإثبات وحدانيته بدليلي العقل والنقل.
2- الكون والطبيعة دليل قرآني ومعرض للتعريف بوحدانية الله تعالى وأسمائه.
3- التعريف بالله تعالى وباليوم الآخر بدليل الفطرة وحقيقة الإنسان.
4- الجمع بين العقل والنقل والحس.
5- العناية بالفوائد العملية للإيمان.

الكلمات المفتاحية: بناء، الإيمان، القرآن الكريم، النورسي، رسائل النور.

Rules of Building Faith in the Holy Quran By Badiuzaman Said Nursi

Dr. Habiba Abu Zaid
Faculty of Sharia-Ibn Zohr University Agadir – Kingdom of Morocco

–Abstract–

The greatest approach upon which the Risale-i Nur by Ustadh Said Nursi is based on the precise derivation from the Holy Qur'an and the sufficient deep elucidation of the rules for optimal reflection upon it. He intended first to define and clarify its meaning, and then to understand its primary objectives, so that one could derive from its lights and uncover some of its secrets.

Nursi aimed to return to the Holy Qur'an, particularly in times of trials and tribulations, while his country was under the assault of atheistic and materialistic ideologies. His purpose was to revive faith in the hearts, renew it in the souls, and kindle the warmth of faith and strengthen the foundations of belief, in order to assist Muslims in the face of the overwhelming secular and atheistic wave.

The features of this Qur'anic methodology in building faith according to Nursi can be summarized in several principles:

1- Defining God Almighty and proving His oneness through rational evidence supported by transmitted evidence.

2- The universe and nature as Qur'anic evidence and a means of introducing the oneness of God Almighty and His names.

3- Defining God Almighty and the Hereafter through innate disposition and the reality of humans.

4- Combining reason, transmission, and sensory perception.

5- Focusing on the practical benefits of faith.

Keywords: Building, faith, the Holy Quran, Nursi, Risale-i Nur.

* * *

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، الملك القوي المتين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على رسول رب العالمين، وسيد الخلق أجمعين، محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأزواجه وذريته، وعلى أصحابه وعلى التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد،

فلا أحد يمتري أن رسائل النور اكتسبت قوتها وشهرتها من المقصد الأسمى والأسنى الذي حمل النورسي على تأليفها، وهو أن تكون ترجمانا لمعاني القرآن الكريم.

إن الاستمداد من القرآن الكريم أصل راسخ في رسائل النور، فهو مصدرها الرئيس ومعينها الفريد، فبعد طول تدبر وعمق تأمل في حال الفكر الإسلامي في عصره، اهتدى النورسي إلى صرف الجهد إلى تجديد الإيمان في القلوب وترسيخه في النفوس، بعد أن اندرس إثر سطوة الفكر العلماني والمد الإلحادي.

ولما كانت السمة العامة للعصر الحاضر قائمة على الفكر العلمي المنهجي التجريبي، فقد اعتمد النورسي منهج تثبيت قضايا الإيمان المستمد من القرآن الكريم، وهذا ما أقصد إلى بيانه بالوقوف على قواعد المنهج القرآني في بناء الإيمان والتمكين له من قلوب المنكرين وتثبيت قضاياه في عامة قلوب المسلمين.

وأجمل معالم هذا المنهج في القواعد الآتية:

1- التعريف بالله تعالى بدليل العناية ودليل الاختراع.

2- إثبات التوحيد بدليل التمانع.

3- الكون والسنن الكونية (الطبيعة) دليل قرآني ومعرض لتجليات وحدانية الله تعالى وأسمائه.

4- مخاطبة العقل والحس والوجدان والجمع بين العقل والنقل.

5- تحكيم حقيقة الإنسان ونوازع الفطرة.

6- العناية البالغة بالفوائد العملية للإيمان.

نَصَّ النورسي على هذه القواعد وجعلها أصلا مقررا ومنهجا متبعا، ودَلَّ عليها عمله وتصرفه ومنهجه في الاستمداد من القرآن الكريم، يستشف منها درايته بمنهج الاستمداد

وطرق التدبر في القرآن الكريم، وأنه يسير على تصوّر جلي لمنهج قواعده واضحة. وهكذا يتم الاستمداد من القرآن الكريم والرجوع إليه؛ رجوع المحتاج إلى هديه الفقير إلى أنواره، وهذا سر كثير من الإشراقات التي استمدها النورسي من القرآن الكريم بعد فترة ألم أو حزن أو حيرة، أو في ظروف البلاء والشدة، ولأن المدد يأتي على قدر الحاجة إليه كما عبر رحمه الله، فاهتدى إلى تحرير هذه القواعد وصوّرها بأحسن أسلوب وأضبطه.

القاعدة الأولى: التعريف بالله تعالى بدليل العناية ودليل الاختراع:

1- دليل العناية:

استمد دليل العناية من جميع الآيات القرآنية التي توقف على منافع الأشياء وتعدد فوائد الموجودات، قال النورسي: (إن جميع الآيات الكريمة التي تعدد منافع الأشياء، تومئ إلى هذا الدليل وتنظم هذا البرهان، وزبدة هذا الدليل رعاية المصالح والحكم في نظام العالم الأكمل مما يثبت قصد الصانع وحكمته وينفي وهم المصادفة.)[1] وأضاف النورسي في تفصيل دليل العناية الإلهية (إن الحكم لا يجري بكليته فيما لا نظام فيه، فكلية القاعدة إذن دليل على حسن انتظام النوع، فبناء على كلية القاعدة هذه، غدا كل علم من علوم الأكوان برهانا على النظام الأكمل في العالم بالاستقراء التام.)[2]

وبناء عليه تكون كل علوم الكون من فروع هذا الدليل ومن تفصيله وتجلياته، فهي على الرغم من كثرتها وتنوعها تلتقي في وصف جامع هو الكشف عن النظام والفائدة والمصلحة، مما يدل قطعا على العناية والرعاية التي يتولى الله بها خلقه، والتي لا تكون إلا ممن له الجمال والكمال.

وآي القرآن في هذا كثيرة منها ما ورد في موضوع تسخير الكون والامتنان بما أودع الله فيه من المنافع والمصالح، وما هيأ منه من أسباب الحياة والمعاش مما يدل على العناية والرعاية، من مثل قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعا مِّنۡهُ﴾[3]، وعلى هذا الوجه لا يمل النورسي من الإفادة من حقائق علوم الكون، لأنها بمنزلة لغات مختلفة، لكنها تعبر عن معنى واحد هو العناية والرعاية التي يتولى الله عز وجل بها الخلق.

2-دليل الاختراع:

اندرج دليل الاختراع عند النورسي مع دليل العناية تحت اسم الدلائل الإجمالية

لوجود الصانع، ومفاد هذا الدليل أن كل ما ينطق به الكون من النسبية الجارية على جميع الكائنات، يدل بالضرورة العقلية على حدوثها وافتقارها إلى الصانع القادر المخترع، قال النورسي: (إن الفلسفة وعلم الجيولوجيا وعلم الحيوان والنبات يشهد أن الأنواع التي يزيد عددها على مائتي ألف نوع، كل منها له مبدأ وأصل معين،... وكل مبدأ منها قد حدث حدوثا مستقلا عن غيره... نعم إن الصانع الجليل قد ختم في جبهة كل شيء ختم الحدوث والإمكان.) [4] أما إثبات التوحيد فسلك إليه دليل التمانع.

القاعدة الثانية: إثبات التوحيد بدليل التمانع والإشارة إلى تجلياته

1- دليل التمانع:

استمد دليل التمانع من القرآن الكريم، وقد عَبَّرَ عنه النورسي بالاصطلاح نفسه (التمانع)، لما قال: (إن دلائل التوحيد أكثر بكثير من أن يضمها هذا الكتاب (رسائل النور)، وما تضمنته الآية الكريمة: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا[5]﴾ من برهان التمانع دليل كاف ومنار ساطع على هذا المنهاج)[6]، وسماه أيضا التعاون والتجاوب والتعانق والاندماج، وكلها أختام وبصمات ساطعة ودلائل على التوحيد.[7]

2- تجليات دليل التمانع:

يتجلى دليل التمانع في جملة الكائنات، وهي من الأدلة عليه في موجودات هذا العالم، وهي عند الأستاذ كثيرة، واستحضار هذا الدليل في النظر إلى الإنسان يستفاد منها أنّ صور أفراد عالم الإنسان تجليات لختم التوحيد في وجه كل إنسان، قال رحمه الله: (لكل إنسان علامة فارقة في وجهه تميزه عن غيره، فالذي لا يستطيع أن يضع تلك العلامات في كل وجه، ولا يكون مطلعا على جميع الوجوه السابقة واللاحقة منذ آدم عليه السلام إلى يوم القيامة، لا يمكنه أن يمد يده من حيث الخلق والإيجاد ليضع تلك الفوارق المميزة الهائلة في ذلك الوجه الصغير لإنسان واحد... نعم إن الذي وضع في وجه الإنسان ذلك الطابع المميز... لابد أن أفراد البشر كافة هم تحت نظره وشهوده، وضمن دائرة علمه، حتى يضع ذلك الختم للتوحيد في ذلك الوجه... كذلك فإن العلامات الفارقة الموضوعة على كل وجه لصيانة حقوق كل فرد في المجتمع، ولمنع الالتباس والتمييز- هي الأخرى دليل واضح على الإرادة المطلقة والمشيئة الكاملة لذلك الخالق الواحد سبحانه وتعالى، وآية بديعة جلية أيضا للأحدية).[8] هذا المنهج يسوقنا إلى منهج آخر عند النورسي ملازم لهذه الأدلة وهو منهج الارتباط بعالم الشهادة.

القاعدة الثالثة: الطبيعة دليل قرآني ومعرض لتجليات وحدانية الله تعالى وأسمائه الحسنى:

1- السنن الكونية (الطبيعة) دليل قرآني:

عالم الشهادة دليل حاضر عند الأستاذ النورسي بقوة، وقد متح أصول هذا المنهج في بناء الإيمان من القرآن الكريم، فسلك هذا المنهج الذي يحكم على الموجودات بالحضور لا الفناء.

فالموجودات كلها إعلانات ناطقة بلسان حالها، والكون دليل قرآني، والطبيعة شريعة فطرية إلهية، كما عبر النورسي رحمه الله لما قال: (ما يطلقون عليه الطبيعة: هو الشريعة الفطرية الإلهية الكبرى، التي هي عبارة عن مجموع قوانين عادة الله، التي تبين تنظيم الأفعال الإلهية ونظامها. من المعلوم أن القوانين أمور اعتبارية لها وجود علمي، وليس لها وجود خارجي، ولكن الغفلة والضلالة أدت بهم إلى الجهل بالكاتب الأزلي والنقاش الأزلي، لذا ظنوا الكتاب والكتابة كاتبا والنقش نقاشا والقانون قدرة والمسطر مصدرا والنظام نظاما والصنعة صانعا.[9])

2- معرض تجليات وحدانية الله في السنن الكونية (الطبيعة)

يسعفك الأستاذ في رسائل النور بالاستماع معه إلى الموجودات كل بلسان حاله وهو يتأمل قول ربنا تبارك وتعالى: ﴿وإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ[10]﴾.

فكانت رسائل النور عبارة عن سياحة روحية وعقلية تطوف بك في أجزاء الكون وتوقفك على صور الجمال المبثوثة فيه لتثبيت دليل الكون في التعريف بالله وبجمال أسمائه الحسنى، إذ كل الحوادث والموجودات مظاهر لتجليات أسماء الله الحسنى ورسائل ربانية مفتوحة أمام الإنسان المتدبر يعرف منها خالقه تعالى ويفهم معاني أسمائه وآثار صفاته في تدبيره لخلقه عز وجل.

ومما أفاده النورسي أيضا من أنوار القرآن الكريم من قواعد بناء الإيمان، وهي:

القاعدة الرابعة: مخاطبة العقل والحس والوجدان والجمع بين العقل والنقل:

1- مخاطبة العقل والحسن:

اقتفى النورسي منهج القرآن الكريم في التعريف بقضايا الإيمان، فالقرآن الكريم يجد فيه كل صنف ضالته، ففيه المعاني الدقيقة المجردة، وفيه مراعاة حسيات عامة الناس الذين لا يستوعبون إلا من خلال التشخيص والتمثيل.

2- التوازن في مخاطبة العقل والحس والنقل:

فوجد عند النورسي منهج التوازن بين مخاطبة العقل والحس والتأليف بين العقل والنقل، ففي مخاطبة العقل اعتمد المحاكمة العقلية القائمة على السبر والتقسيم وحصر الاحتمالات الممكنة ثم التدرج إلى استخلاص الحقيقة، ومن الأمثلة عليه مناقشاته ومحاكماته العقلية للفكر المادي القائم على قانون الطبيعة.[11]

3- مراعاة التدرّج في مخاطبة العقل والقلب والحس:

اعتمد أيضا مسلك التدرج العقلي والانتقال من البسيط إلى المعقد ومن المثال المحسوس إلى القاعدة النظرية، ولهذا تكثر عنده الأمثلة والحكايات التشخيصية والتمثيلية. ومثاله تصوير تعدد أسماء الله الحسنى وتجلياتها في الكون بالسلطان الذي يحضر بحكمه وسلطانه بعناوين مختلفة وصفات معنوية متنوعة بحسب تنوع شؤون مملكته، فله اسم الحاكم في دوائر العدل والقضاء، وله عنوان السلطان في دوائر الحياة المدنية، وله اسم القائد في دوائر الجيش والدفاع، فكذلك الله تعالى المتفرد بالملك في ملكوته وخلقه، له ضمن مراتب ربوبيته شؤون وعناوين وأسماء مختلفة، وكل اسم يتجلى فيما يناسبه من عوالم الكون، فكل حقائق الأشياء وأمور العالم وحوادث الوجود تستند إلى أسمائه.[12]

وفي مخاطبة القلب والوجدان قاعدة أخرى وهي: تحكيم حقيقة الإنسان ونوازع الفطرة:

1- تحكيم حقيقة الإنسان:

لا يستقل العقل وحده بإدراك الإيمان ولا يحصل به تمام المعرفة وكمالها، ولذلك قد تجد أكبر العقلاء وأعظم الأذكياء من الملحدين، وسبب ذلك أن نوازع الفطرة وإشراقات الروح وهتاف القلب قد تعطلت، وفي الإنسان قوى معنوية تدفعه دفعا نحو الخير والحقيقة، وهي الفطرة المغروزة في كل إنسان، فلا بد من إثارتها، يقول النورسي: (إن وجدان الإنسان لا ينسى الله قط، لما غرز فيه من نقطتي "الاستمداد والاستناد"، بل حتى لو عطل الدماغ أعماله، فالوجدان لا ينسى لأنه منهمك بتلك الوظيفتين المهمتين... والخالق الكريم ينشر نور معرفته ويبثها في وجدان كل إنسان من هاتين النافذتين... فمهما أطبق العقل جفنه، ومهما أغمض عينه، فالفطرة تراه، وعيون الوجدان مفتحة دائما، والقلب نافذة مفتوحة.)[13] هذا عن نوازع الفطرة.

2- الأدلة على حقائق الإيمان من حقيقة الإنسان:

أكبر الأدلة على حقائق الإيمان أيضا، حقيقة الإنسان وميوله ورغائبه الممتدة إلى الدار الآخرة، ففي إثبات حقيقة الجزاء في الآخرة اعتمد النورسي ما في الإنسان من ميول واستعدادات لا تناسبها الحياة الدينا، قال رحمه الله: (إن هذه الدنيا الضيقة لا تسع ولا تلائم نمو وتزاهر ما أودع في جوهر البشر من استعدادات غير محدودة وميول ورغبات مخلوقة للأبد، لذا يبعث إلى عالم آخر كي تربى وتكمل تلك الميول والاستعدادات.

إن جوهر الإنسان جليل، وماهيته رفيعة... نعم! إن المرشح للأبد عظيم، لن يترك سدى، ولا يكون عبثا، ولا يحكم عليه بالفناء المطلق، ولا يهرب إلى العدم الصرف... بل جهنم فاغرة فاها، والجنة قد فتحت ذراعيها اللطيفتين لاحتضانه).[14]

وقال أيضا: (...استعداد الإنسان غير المتناهي وآماله ورغباته غير المحصورة وأفكاره وتصوراته غير المحدودة وقوته الشهوية والغضبية غير المحددة، فنرى الإنسان يتأسف ويتأفف ويقول: ليت كذا وكذا، حتى لو منح ملايين السنين من العمر وتمتع بلذائذ الدنيا وحكم حكما نافذا في كل شيء، وذلك بحكم اللاتناهية المغروزة في استعداده، فكأن عدم الرضا هذا يرمز ويشير إلى أن الإنسان مرشح للأبد، و مخلوق للسعادة الأبدية... في عالم غير متناه وغير محدود بحدوده وأوسع بكثير من عالمه هذا... إن هذه الدنيا... لا تسع كمالات الإنسانية، بل تحتاج تلك الكمالات إلى عالم أرحب).[15]

وأختم بقاعدة راسخة في رسائل النور من قواعد بناء الإيمان وتجديده، وهي:

القاعدة الخامسة: العناية بالفوائد العملية للإيمان:

1- أصالة العناية بالفوائد العملية:

أصل هذه القاعدة قول الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صٰلِحا مِّن ذَكَرٍ اَوُ اُنثٰي وَهُوَ مُومِن فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيٰوة طَيِّبَة وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ اَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ[16]﴾، فسار النورسي على هذه القاعدة المقتضية وعد الحياة الطيبة لصاحب الإيمان والعمل الصالح، وفي الحديث النبوي "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان" فأثبت للإيمان حلاوة وأثرا، فراح النورسي يثبت بأنواع الأمثلة ما في الإيمان من لذة غامرة وما في الكفر من عذاب دنيوي.

قال: (إن معرفة الله نقطة استناد وحيدة للإنسان تجاه تقلبات الحياة ودواماتها،

وتزاحم المصائب وتوالي النكبات. إذ لو لم يعتقد الإنسان بالخالق الحكيم الذي أمره كله حكمة ونظام، وأسند الأمور والحوادث إلى المصادفات العمياء، وركن إليها وإلى ما يملكه من قوة هزيلة لا تقاوم شيئا، فسينتابه الفزع والرعب وينهار من هول ما يحيط به من بلايا، وسيشعر بحالات أليمة تذكر بعذاب جهنم).[17]

2- البُعْد العملي لأصل العناية بالفوائد العملية:

يبقى الإيمان بالله تعالى سر الوجود ولغز الحياة، ومن الأمثلة على ذلك ما قدم رحمه الله من التفصيل والتحليل للموت الذي هو أكبر المصائب، فقد نظر إليه أو لا بنظر الكفر فبدا شبحا مخيفا ووحشا مرعبا وعدوا لذودا ولغزا محيرا، لأنه يختطف من الكافر دنياه التي هي محبوبه وأمله الوحيد، فيذهب به إلى العدم النهائي والفناء السرمدي والزوال والفراق الذي لا لقاء بعدهما.

ثم نظر إليه بنظر الإيمان فبدا له مشرقا منورا لأنه استبدال دار بدار، وتسريح من مهمة التكليف في الحياة، واستراحة من سجن الدنيا، ودعوة إلى الحياة الباقية ومقدمة لها، ووصال مع الأحبة الذين سبقوا إلى عالم البرزخ وعلى رأسهم سيد الخلق أجمعين ورسول رب العالمين محمد صلى الله عليه وسلم.[18]

هذا هو المعراج القرآني الذي سلكه النورسي من أجل التعرف على الله تعالى وترسيخ حقائق الإيمان، وتثبيتها في القلوب والعقول، وكل هذه القواعد العامة والجزئية مما استمده من القرآن الكريم، فهي كلها، كما يردد دائما، قبسات من أنوار القرآن الكريم.

* * *

الخاتمة:

فتحصل من مجموع ما سبق أن للنورسي منهج قرآني في بناء قضايا الإيمان، يقوم على جملة من القواعد، أجملها فيما يلي:

1- التعريف بالله ووحدانيته عن طريق دليل العناية ودليل الاختراع ودليل التمانع.
2- اعتماد المحاكمة العقلية القائمة على السبر والتقسيم وحصر جميع الاحتمالات الممكنة ثم المناقشة الواعية لكل احتمال ثم التدرج حتى تخلص الحقيقة.
3- الانطلاق من عالم الشهادة وتحكيم حقائقه وعلومه ثم الارتقاء منه إلى حقائق عالم الغيب.

4- اتباع مسلك التدرج العقلي والانتقال من البسيط إلى المعقد، ومن المثال المحسوس إلى القاعدة النظرية.
5- التوازن في إثارة مواطن الإدراك في الإنسان، فتثار قوى الحواس والعقل والقلب.
6- مراعاة تفاوت مدارك المتلقين، فيكون لكل فئة خطابها وأدلتها.
7- الرجوع إلى القرآن الكريم رجوع المحتاج والفقير بعد تحرير الحاجات وتحديد المعضلات التي تحتاج إلى دواء.
8- العناية البالغة بالفوائد العملية للإيمان لتثبيت الفرق بين المؤمن والكافر في الاستمتاع بجمال الحياة ولذة العيش.

* * *

لائحة المصادر والمراجع:

- "صيقل الإسلام" للأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي، إعداد وترجمة الأستاذ إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الرابعة، 2004م، شركة سوزلر، مصر القاهرة.
- "الكلمات" للأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي، إعداد وترجمة الأستاذ إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الرابعة، 2004م، شركة سوزلر، مصر القاهرة.
- "المكتوبات" للأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي، إعداد وترجمة الأستاذ إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الرابعة، 2004م، شركة سوزلر، مصر القاهرة.
- "الملاحق" للأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي، إعداد وترجمة الأستاذ إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الرابعة، 2004م، شركة سوزلر، مصر القاهرة.
- "اللمعات" للأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي، إعداد وترجمة الأستاذ إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الرابعة، 2004م، شركة سوزلر، مصر القاهرة.

* * *

الهوامش:

[1] "صيقل الإسلام": 123.

[2] نفسه.

[3] سورة الجاثية، الآية 13.

[4] "صيقل الإسلام": 125.

[5] سورة الأنبياء، الآية 22.

[6] "صيقل الإسلام": 133.

[7] لأن الموجودات كلها يجمع بينها التعاون والتساند والتكامل، ولأن كل جزء منها يكمل الآخر ويمده بحاجته، فدل على أن الذي يدبر أمرها واحد، لأنه لو تعدد لانعدم التعاون.

[8] "اللمعات": 541-542.

[9] "الملاحق": ملحق بارلا: 68.

[10] سورة الإسراء، الآية 44.

[11] انظر"رسالة الطبيعة" وهي أنموذج واضح لمنهج البرهان العقلي. (اللمعات)

[12] ينظر"الكلمات": 375.

[13] صيقل الإسلام 122.

[14] صيقل الإسلام: 55.

[15] صيقل الإسلام: 136-137.

[16] سورة النحل، الآية 97.

[17] صيقل الإسلام: 122.

[18] ينظر"المكتوبات": 8-9.

منهجيّة النورسي في الرّد على الملحدين
رسالة الطبيعة نموذجا

د. محمد الهادي وناس[1]
مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم- تركيا

- ملخص-

يهدف هذا البحث إلى بيان منهجية الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي (ت 1960م) في الرد على الإلحاد، وخاصة فى قضية إنكار وجود الله تعالى، هذه القضية التى نمت وانتشرت فى صفوف المسلمين بصفة لافتة فى مطلع القرن التاسع عشر، ولاسيما بعد سقوط الخلافة العثمانية. والحقيقة أن هذه المشكلة فى تفاقم وازدياد لاسيما مع تطور التقنية وتوفر وسائل التواصل الرقمية، حيث صار من اليسير فتنة الشباب المسلم وتشكيكه فى دينه وعقيدته.

يتطرق البحث إلى مسألة عقدية عند عالم دينى جليل تركى يلقب ببديع الزمان سعيد النورسى-رحمه الله-، والمعروف بمؤلفاته رسائل النور التي خطّها صامدا في وجه التغريب والمد الإلحادي آنذاك. وللإجابة عن سؤال البحث الذي يُتطلع به إلى بيان منهجية الأستاذ النورسى فى نقض مقولات الملحدين، وتوضيح أبرز أساليبه المعتمدة فى المحاججة وإثبات وجود الله تعالى، وتحقيقا لذلك عَمَدَ الباحث إلى تتبع هذه المسألة فى ثنايا رسالة الطبيعة التى أُلِّفَت لهذا الغرض؛ ليتسنى للباحث الوقوف على معالجة الأستاذ لمسألة إنكار وجود الخالق تعالى؛ وذلك بعد بيان مفهوم الإلحاد وحقيقته في رسائل النور.

الكلمات المفتاحية: النورسي، الإلحاد، رسالة الطبيعة، الإنكار، الرد، المنهجية.

Nursi's Methodology in Responding to Atheists The Message of Nature as a Model

Dr. Mohamed Hedi Ouannes
Istanbul Foundation for Culture and Science – Turkey

–Abstract–

This research aims to explain the methodology of Professor Badi' al-Zaman Said Nursi (d. 1960) in responding to atheism, especially in the issue of denying the existence of God Almighty, this issue that grew and spread among Muslims in a striking manner at the beginning of the nineteenth century, especially after the fall of the Ottoman Caliphate. The truth is that this problem is worsening and increasing, especially with the development of technology and the availability of digital communication means, as it has become easy to tempt Muslim youth and make them doubt their religion and faith.

The research addresses a doctrinal issue with a great Turkish religious scholar known as Badi' al-Zaman Said Nursi- may God have mercy on him- who is known for his works, the Letters of Light, which he wrote steadfastly in the face of Westernization and the atheistic tide at that time. To answer the research question that seeks to clarify the methodology of Professor Nursi in refuting the statements of atheists, and clarifying his most prominent methods adopted in argumentation and proving the existence of God Almighty, and to achieve this, the researcher sought to follow this issue in the folds of the Epistle of Nature that was composed for this purpose; so that the researcher can stand on the professor's treatment of the issue of denying the existence of the Almighty Creator; This is after clarifying the concept of atheism and its reality in the Epistle of Light.

Keywords: Nursi, atheism, Epistle of Nature, denial, response, methodology

* * *

المقدمة

عرف القرنان التاسع عشر والعشرين انتشارا واسعا للتيار الإلحادي الذي يتنكر حقائق الدين وينكر وجود الله تعالى مما جعل علماء الأمة الإسلامية ورجالاتها، يبادرون بالتصدي للمذهب المادي الهدّام والرد عليه، وخاصة في ظل سعيه المستميت لإضعاف عقيدة إيمان الأمة بالله تعالى ثم إبطاله، لأجل تيسير ضرب وحدتها ثم تفتيتها في القابل، فكتب الأفغاني (ت 1897م) "الرد على الدهريين"[2] انتقد فيها مذهب الماديين والدهريين، وكتب محمد فريد وجدي (ت 1954م) كتابه "على أطلال المذهب المادي"[3] رادا فيه

على القائلين بالمادية العلمية، فضلا عما خطّه الشيخ مصطفى صبري (ت 1954م) في ذات السياق من الرد على الملحدين، وأقصد بذلك كتابه الموسوعي "موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين"[4].

لتأتي محاولة الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي (ت 1960م) في الرد على الملحدين، والطبيعيين منهم على وجه التحديد، والتي عليها مدار رسالة الطبيعة، وقد ضمّنها حججاً وأدلة تهدم أسس المذهب الطبيعي، وتقوّض أركانه. ومن ثم تبرز أهمية هذه الرسالة في اختصارها، ومما رفع شأنها بساطة عبارتها ووضوحها؛ فهي تتميز بأسلوب جمع بين الوعظ وإقامة الحجة (تذكير القلب وإقناع العقل)؛ حيث أخذ الأستاذ بقلب المتلقي قبل عقله إلى رياض الإيمان، ويورده موارد السكينة والاطمئنان.

وللوقوف على منهجية الأستاذ النورسي في الرد على الطبيعيين في رسالته، قَسَّمَ الباحث المقال إلى ثلاثة مباحث، عرض في الأول التحديات الفكرية والثقافية في واقع الأستاذ ومقاومته لذلك، ثم تناول اهتمام الأستاذ النورسي بقضية إنكار وجود الله؛ مبينا فيها حقيقة الإلحاد عنده، وأهمية رسالة الطبيعة في الرد على الملحدين؛ ليخصص المبحث الثالث والأخير لبيان منهجية الأستاذ في الرد، وما تضمنه من ردود وأساليب في نقض شبهات الطبيعيين.

ما الملابسات التي ولّدت اهتمامه بقضية إنكار وجود الله؟ وما أسس منهجية بديع الزمان سعيد النورسي ومميزاتها في الرد على الطبيعيين؟.

المبحث الأول: بديع الزمان سعيد النورسي منافحًا عن الحقائق الإسلامية

ولد سعيد النورسي في ولاية بتليس في شرق تركيا سنة 1877م؛ ونشأ في أسرة متديّنة ومُحبة للعلم وقد عرف عن أبويه الكرديين الورع والتقوى[5] ليأخذ هذا الشاب نصيبا وافرا من العلم والحلم والأدب من أبويه قبل أن انتقاله إلى مجالس شيوخ قريته الذين استفاد منهم كثيرا، وشهدوا له بالنجابة والذكاء والعبقرية حيث عُرِف بالتفوق والتميّز في مختلف العلوم والفنون المنتشرة في عصره؛ مما أهّله ليكون مبلغا وداعيا ومعلما مرموقا؛ غير أن مع بداية حقبة الجمهورية الجديدة على يد مصطفى كمال ظهرت تحديات صعبة للأستاذ سعيد النورسي الذي اختار مدافعة الخطر الذي يتهدّد وجود أمّة، وبذل النفس والنفيس ليحول دون موت الإيمان في قلوب الناس عندئذ.

وتأكيدا لثقل المهمّة التي أنجزها الأستاذ، يتعيّن الوقوف على التحديات التي عرفها

عصره، والتي كان له فيها الأيادي البيضاء التي حفظ الله بها الوجود المعنوي للأمة.

1. تحديات الواقع الفكري في عصر الأستاذ النورسي

عاصر سعيد النورسي الفترة الأخيرة لسقوط الدولة العثمانية والتي سيطرت فيها نخبة سياسية فاسدة تسعى إلى إهلاك الحرث والنسل. ولا ريب أن الحياة الفكرية والثقافية تتأثر بالمناخ السياسي من أحداث وما يعتمل فيه من مؤامرات، خاصة إذا في ظل استغلال السياسيين للمجال الثقافي في تمرير برامجهم السياسية تعجيلا لتقويض الدولة العثمانية من الداخل. قال الدكتور عمار جيدل "هيأ المهيمنون الجدد على السياسة جوا ثقافيا ميسرا لتحقيق رغباتهم مستغلين في ذلك الجو الذي ولَّده الجمود الثقافي في المجتمع العثماني"[6]. وبذلك يمكن ملاحظة ذلك بكثرة المؤامرات التي تعرّضت لها الدولة العلية، وتستهدف بذلك استبعاد التصور الإسلامي من الحياة، وإضعاف دوره التنظيمي والتربوي والتعليمي فيها.

يرتبط النمو والازدهار الفكري والثقافي بمدى انتشار العلم والتعليم ارتباطا وثيقا؛ فالتقدم العلمي هو معيار التحضر والتطور في المضمار الدولي؛ إلا أن الدولة العثمانية لم تستطع أن توفق بين العلم والقوة باعتبار أنها دولة قامت على الجندية، وانشغلت بالحروب مع دول كثيرة وقوية، وكان توجهها نحو العلوم الرياضية والطب خدمة للأغراض العسكرية، وكان هذا الباعث أساس نشأت كل المدارس العسكرية[7].

ظهرت في سنة 1908م بعض محاولات الإصلاح في المجال التعليمي، حيث عمدت الدولة إلى تشجيع التعليم الحديث، كما قامت باستقدام معلمين وأساتذة غربيين للعمل في المدارس والكليات العسكرية، وسمحت بإقامة مؤسسات تعليمية أوروبية بإشراف مباشر من الحكومات الغربية؛ فضلا عن ازدهار حركة ترجمة الفكر الأوروبي في الفلسفة والتاريخ والأدب[8]؛ تمَكَّنَ الغزو الثقافي الغربي المُمَكَّن له بعنوان الإصلاحات من تغريب الأمة، ولا سيما بعد استيراد المناهج الغربية في التعليم دون فحص أو نقد، وهو ما سمح بتغلغل الفلسفات العدمية والتوجهات الإلحادية في كثير من أفراد الجيل الصاعد.

كما تم في السياق نفسه تعكير الجو الثقافي الإسلامي بنشر عدد من المؤلفات والكتب المخصّصة لتشويه الدين والتلبيس على منتسبيه. ولعل أهم هذه الكتب التتريك لصاحبه عمر رضا دغرول الذي كتبه ونشره بين طبقات الشعب يدعوه فيه إلى نبذ كل

ما يتعلق بدينهم وتراثهم؛ لأنها أصبحت رموزا للتخلف والرجعية ومما جاء في كتابه: "ومما لا ينكر أن الدين شيء إضافي أو بعبارة أخرى أمر ثانوي بالنسبة للإنسان وتنظيم حياته وأن الذين فسدت مشاعرهم السامية وتحللت روابطهم القومية فالدين لهم والدين عندهم كل شيء"[9].

وقد أسهم الاستشراق المستظل بمظلة البحث العلمي في هذه الهجمة الشرسة على الدين، ومبادئ الإيمان الذي نشر عدة كتب من بينها: كتاب تاريخ الإسلام للمستشرق دوزي[10] الذي هاجم فيه الإسلام، وقد سجّل النورسي- رحمه الله-هذا ونبه عليه في دفاعه في محكمة دنيزلي بقوله: " لماذا سمحتم لكتب إلحادية وكتب تهاجم الإسلام بصراحة أمثال كتاب "تاريخ الإسلام" للدكتور دوزي"[11].

ولم تقتصر محاربة الثقافة الإسلامية على الكتب والمؤلفات فحسب؛ بل وظف الاتحاديون الصحافة لتكون في خدمتهم، وفي نشر الثقافة الغربية المعادية للدين "فأصدروا صحفا وجرائد حاربت المسلم التركي في معتقده وصلته بربه وشنت حربا شرسة على العرب والمسلمين كجريدتي "الوطن" و"صباح" وجريدتي "حريات" و"مللیات" وغيرها.."[12].

وكانت الأوضاع الفكرية والثقافية في غاية الاضطراب والتوتر؛ ذلك الاضطراب الذي كان نتيجة تكالب الدول الاستعمارية على الدولة العثمانية؛ طمعا في أرضها وانتقاما للأسلاف مما نتج عنه إلغاء الدين الإسلامي، وإبعاده بالكلية من الحياة السياسية؛ فضلا عن تقهقر قيّمه ومبادئه السمحة في تنظيم الحياة الإنسانية. وقد كان الإمام النورسي طيلة هذه الفترة شاهدا حيا على كل هذه الأجواء الثقافية المشحونة برياح التغريب والإلحاد.

فقد انبرى الأستاذ النورسي لمهمّة مقاومة الإلحاد، فما الوسائل التي اتّخذها لتحقيق هذا الهدف النبيل؟.

2. مقاومة النورسي للتيار المادي

برع الأستاذ النورسي في تحصيل العلم وبلغ مراتب عالية من الوعي، والإدراك جعلته ينظر إلى واقعه نظرة عميقة ونظرة الناقد المتفحص الذي يقف على مواطن الخلل وثغرات العلل فيه؛ حاول دفع الأذى وإبعاد الضرر عن الناس في عصر تكاثرت فيه التيارات المعادية للإسلام؛ مما أدى إلى سقوط الدولة العثمانية سنة 1923م، وقيام الدولة

الجديدة مكانها وفق النمط الغربي العلماني؛ فلم يتأخر الأستاذ عن القيام بواجبه في التوعية والمشاركة في الشأن العام، ومواجهة هذا الخطر المحدق بأمته ولا سيما من المنبر الفكري وفق ما أملته الظروف والأحداث في تلك اللحظة، وفيما يأتي ذكر لأهم أنشطة وإسهامات النورسي الفكرية.

أ. تقديم مشروع جامعة الزهراء

عاين الاستاذ النورسي في مواعظه ودروسه أحوال شعبه، وعرف أنه يرزح تحت وطأة الجهل كما وصل إلى حقيقة مفادها: إن العلوم الدينية بمفردها لا يمكن أن تصل إلى عقول النشء المنبهر بالحضارة الأوروبية التي تشهد تقدما تكنولوجيا مبهرا؛ فلهذه الأسباب وغيرها قرر إنشاء مدرسة تجمع في دروسها بين العلوم الدينية مثل علم الفقه وعلم التفسير وعلم الحديث والعلوم الطبيعية مثل علم الحساب وعلم الجغرافيا وعلم الفلك؛ حيث سافر إلى استنبول سنة 1907 لرفع طلبه يومئذ للسلطان عبد الحميد الثاني؛ لكن سرعان ما تلقته بطانة السلطان وحولوه إلى مستشفى المجانين ثم إلى وزارة الداخلية ليكون له مع الوزير حوار رائع ينبئ عن إخلاص الأستاذ في خدمة أمته ومما جاء في الحوار ما يأتي بيانه:

"الوزير: السلطان يخصك بالسلام مع مرتب بألف قرش وعندما تعود إلى بلدك سيجعل مرتبك ثلاثين ليرة كما أرسل لك ثمانين ليرة هدية سلطانية لك.

بديع الزمان: لم أكن أبدا متسولَ مرتب ولن أقبله ولو كان ألف ليرة لأنني لم آتِ لغرض شخصي؛ وإنما لمصلحة البلد فما تعرضون علي سوى رشوة السكوت [...].

الوزير: ستكون العاقبة غير سارة.

بديع الزمان: تعددت الأسباب والموت واحد فلئن أعدم فسوف أرقد في قلب الأمة؛ علما بأنني لما جئت استنبول كنت واضعا روحي على كفي، اعملوا ما شئتم فإني أعني ما أقول: إنني أريد أن أوقظ أبناء الأمة ولا أقوم بهذا العمل إلا لأنني واحد من أبناء هذا البلد لا لأقتطف من ورائه مرتبا، لأن خدمة رجل مثلي للدولة لا تكون إلا من خلال إسداء النصائح وهذه لا تتم إلا بحسن تأثيرها وهذا لا يتم إلا بترك المصالح الشخصية فإنني معذور إذن عندما أرفض المرتب.

الوزير: إن ما ترمي إليه من نشر المعارف في بلدك هو موضع دراسة في مجلس الوزارة حاليا.

بديع الزمان: إذن فلمَ يتأخر نشر المعارف ويستعجل في أمر المرتب؟ لماذا تؤثرون منفعتي الشخصية على المنفعة العامة للأمة"[13].

وهو حوار إنسانيّ راق يكشف عن شخصية دعوية واعية بنهوض الأمة ؛ومدركة لمآلات الانسلاخ عن قيم العقيدة؛ فالنورسي مالك لنفسه؛ وليس مملوكا لغيره ؛ تحرّكه حظوظ النفس، والمنافع العاجلة.

ب. الرحلة الدعوية إلى الشام

سافر الأستاذ النورسي إلى الشام في شتاء عام 1911م ضمن نشاطه الفكري والدعوي "وألقى خطبة باللغة العربية في الجامع الأموي في دمشق مخاطبا العلماء وجمعا غفيرا من المصلين بدأها بقوله "يا إخوتي العرب الذين يستمعون إلى هذا الدرس في هذا الجامع الأموي إنني ما صعدت هذا المنبر الذي هو فوق حدي لأرشدكم فهذا أمر فوق طوقي [...] لقد تعلمت الدروس في مدرسة الحياة الاجتماعية البشرية وعلمت في هذا الزمان والمكان أن هناك ستة أمراض جعلتنا نقف على أعتاب القرون الوسطى في الوقت الذي طار فيه الأجانب وخاصة الأوروبيين نحو المستقبل"[14].

وقد طبعت خطبة الأستاذ النورسي هذه في كتيب عنوانه (الخطبة الشامية) التي شخّص فيها أمراض الأمة الإسلامية، وبيّن فيها علاجاتها. ومن أهم الأمراض التي شخّصها الأستاذ هي اليأس والقنوط الذي مازال يجد أسباب الحياة في نفوسنا وموت الصدق في حياتنا الاجتماعية والسياسية وحب العداوة وتجاهل الرابطة الروحية التي تربط المؤمنين بعضهم ببعض[15].

ولا تقتصر ثمرة هذه الرحلة على إلقاء الخطب والمحاضرات العلمية فحسب، وإنما تمكن الأستاذ أيضا من اللقاء مع جملة من العلماء الأجلاء للتشاور فيما تعيشه الأمة من أزمات فكرية وأخلاقية، جراء ما توافد إليها من أفكار الفلسفة المادية المنكرة لوجود الخالق تعالى.

ج. التأليف والنشر

وهب الله الأستاذ النورسي قلما مدرارا سبّاقا لا يتأخر عن نصرة الحق، وتبيينه للناس؛ نشر بعض الكتب التي كان قد ألفها قبل تعيينه عضوا في دار الحكمة الإسلامية (1918م)، منها: إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز وهو كتاب تفسير ألفه باللغة العربية أيام الحرب العالمية الأولى؛ وهو على جبهة القتال كما نشر سنة 1921م كتاب قزل إيجاز في المنطق،

وفي السنة نفسها قام بنشر بعض الرسائل باللغة التركية وهي رموز، وإشارات، وطلوعات، ولمعات، وشعاعات من معرفة النبي صلى الله عليه وسلم ونقطة من معرفة الله تعالى وفي سنة 1923 قام بنشر السنوحات[16].

كما ألف الأستاذ النورسي باللغتين العربية والتركية وتتمثل مؤلفاته باللغة العربية في إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، والمثنوي العربي النوري، وقزل إيجاز على السلم وتعليقات وصيقل الإسلام الذي استوعب كل آثار سعيد قبل سنة 1926م بما فيها الخطبة الشامية والخطوات الست. أما مؤلفاته باللغة التركية فهي: الكلمات، والمكتوبات، واللمعات والتي منها انتخبنا رسالة الطبيعة موضوع البحث، والشعاعات والملاحق. وقد تولى الأستاذ إحسان قاسم الصالحي ترجمتها إلى العربية، وكان له الفضل في تحقيق المؤلفات الأخرى، التي جمعت في تسعة مجلدات عاشرها خُصِص للفهارس، لتبقى هذه الكتب القيمة شاهدة على إنتاجه الفكري وإسهاماته في تذكير الناس، وتبصيرهم بحقيقة الإسلام وأهمية الإيمان عسى أن تزاح الغشاوة التي أصابت الكثير من العقول من جراء المادية الغربية التي تنكر وجود الخالق ولا تصدق إلا بما تراه العين المحردة.

المبحث الثاني: اهتمام النورسي بقضيّة الرد على إنكار وجود الله

تُعدُّ قضية إنكار وجود الله من أكثر القضايا التي شغلت الأستاذ النورسي في رسائله؛ بل إنها القضية المحورية التي تدور في فلكها باقي الرسائل؛ فالحرب التي خاضها الأوروبيون والغربيون ثقافية وفكرية بامتياز ولم يبق للنورسي سوى المرابطة على قلاع العقيدة الإسلامية، وما يتعلق بها من مسائل مدافعا وكاشفا عن حقيقة الإلحاد التي لا تعدو أن تكون مجرد إنكار ونفي وقبول للعدم؛ في حين كانت رسالة الطبيعة من أكثر الرسائل أهمية في الرد على الملحدين ونقض شبهاتهم.

وهذا يتوقّف على التعريف بحقيقة الإلحاد في رسائل النور؟.

1. حقيقة الإلحاد عند النورسي

تطلق كلمة الإلحاد عند العرب وتؤخذ من الأصل الرباعي (ألحد) تارة ومن الأصل الثلاثي (لحد) تارة أخرى، وكلاهما يؤدي المعنى نفسه الذي اتفق عليه أرباب اللغة وأصحاب المعاجم من الميل والانحراف سواء كان حسيا أو معنويا. قال ابن فارس (ت 395هـ) "اللام والحاء والدال أصل يدل على ميل عن استقامة، يقال ألحد الرجل إذا مال عن طريقة الحق والإيمان، وسمي اللحد لأنه مائل في إحدى جانبي الجدث، ويقال

لحدت الميت وألحدت، والملتحد أي الملجأ، سمي بذلك لأن اللاجئ يميل إليه"[17].

قال ابن منظور (ت 711هـ) بأن الإلحاد هو "الميل عن القصد ولحد علي في شهادته يلحد لحدا أثم ولحد إليه بلسانه مال، وأصل الإلحاد الميل والعدول عن الشيء [...] وألحد في الحرم ترك القصد فيما أمر به ومال إلى الظلم. واللحد الشق الذي يكون في جانب القبر موضع الميت لأنه قد أميل عن وسط إلى جانبه. ولحد في الدين يلحد وألحد مال وعدل [...] العادل عن الحق المدخل فيه ما ليس فيه ويلحدون يعترضون"[18].

أما في الاصطلاح فالإلحاد ليس بعيدا عن المعاني الواردة في المعاجم، لأنّها تنتهي إلى الميل والإنكار والانحراف عن جادة الصواب. وللأستاذ النورسي إضافة في تحقيق هذا الاصطلاح في مطلع رسالة الآية الكبرى. قال (رحمه الله): "إن ماهية الكفر الذي يظهر العداء للحقائق الإسلامية ويبارزها إنما هي إنكار وجهل ونفي، وحتى لو بدت –ظاهريا- إثباتا ووجوديا إلا أن معناها عدم ونفي"[19].

يستشف من هذا النص أن مؤلف رسائل النور استبعد أن تكون المقولات الإلحادية التي يلوكها الملحدون أن تكون عقيدة مثبتة؛ فهي محض جهل ونفي يفتقد إلى أدنى المقومات العلمية والمنطقية "فلو أن أهل الكفر الذين يصدون عن الإيمان سعوا ليثبتوا- بمشكلات عويصة- اعتقاداتهم المنكرة السلبية ويجعلونها مقبولة بصورة قبول العدم وتصديق العدم فإن ذلك الكفر يمكن أن يعد –من جهة- علما خطأ وحكما غير صائب وإلا فإن ما هو سهل ارتكابه من مجرد عدم القبول والإنكار وعدم التصديق ليس إلا جهلا مطلقا وعدم حكم"[20].

وواصل النورسي تقريب هذه المسألة من الأذهان فقال مختصرا بأن للاعتقاد بالكفر قسمين أحدهما لا علاقة له بمجال الحقائق الإسلامية، والآخر هو ما يهمنا حيث يقوم على مبارزة الحقائق الإيمانية ويعارضها؛ وهذا الأخير ينقسم إلى نوعين يتمثل الأول في الرفض وعدم القبول وعدم تصديق الإثبات جهلا وعدم حكم فيكون سهل الارتكاب. أما القسم الثاني فينبني على قبول للعدم وتصديق قلبي له فهو إذا اعتقاد يفضي بصاحبه إلى الالتزام حيث سيجد نفسه مضطرا إلى إثبات هذا النفي والإنكار[21].

يرجع حكم النورسي على تلك المقولات الإلحادية النافية لوجود الله تعالى بعدم قابليتها للإثبات إلى سبب أساس يتمثل في أن "النفي والإنكار في المسائل الإيمانية والقدسية والعامة والمحيطة التي تتوجه إلى الدنيا وتشمل الكون وتتطلع إلى الآخرة

وتضم العصور [...] لا يمكن إثباتها مطلقا لأنه يلزم أن يكون هناك نظر محيط بالكون ورؤية شاملة للآخرة ومشاهدة نافذة في الزمان غير المحدود بجميع جهاته ليثبت مثل هذا النفي"[22].

ولكن يبدو أن عقول أهل الإلحاد من ضيقها أمام المطلق غير المتناهي، وقصورها عن إدراك المسائل الإيمانية بسبب الغفلة والانغماس في الشهوات والمداومة على المعاصي جعلها تسقط في حضن الإنكار والنفي، "ولو تمكن هؤلاء من إنعام النظر في كنه كفرهم وفي ماهية ضلالهم لرأوا أن ما يوجد في الإيمان من العظمة المعقولة واللائقة واللازمة يقابله المحال تلو المحال وغير الممكن والممتنع طي ذلك الكفر وضمنه"[23].

ظهر إذن أن إلحاد الملحد الذي يقوم على الإنكار وقبول العدم ونفي وجود الخالق تعالى مجرد أمر عدمي لا يمكن إثباته، ومن ثَمَّ فهو مجرد إنكار لا أساس علمي له، وفضلا عن ذلك فإن الذي ينكر وجود واجب الوجود "سيحيل وجوب وجوده وأزليته سبحانه وصفات الألوهية إلى جميع الموجودات غير المحدود ة بل إلى الذرات غير المتناهية ليتمكن من الاعتقاد بكفره أو عليه أن يتخلى عن العقل كالسفسطائيين الحمقى بإنكاره وجود نفسه ونفيه وجود الكون"[24].

2. أهمية رسالة الطبيعة في الرد على الملحدين

أ. نبذة عن الرسالة

تُعدُّ رسالة "الطبيعة" رسالة علمية قيمة وتقع في (61) صفحة من الحجم الصغير طبعته دار سوزلر؛ والرسالة وردت ضمن كليات رسائل النور؛ وبالتحديد في مجموعة اللمعات، وهي اللمعة الثالثة والعشرين، واعتبر الأستاذ النورسي أن الأهمية الفائقة لهذه الرسالة "جعلتها اللمعة الثالثة والعشرين فهي تبيد تيار الكفر النابع من مفهوم الطبيعة إبادة تامة وتفتت حجر زاوية الكفر وتحطم ركيزته الأساس"[25].

فقد جاءت هذه الرسالة للرد على الطبيعيين وتفنيد ادعاءاتهم حول وجود الموجودات، ويظهر ذلك من تقسيم المؤلف رؤيته في رسالته إلى مقدمة وثلاثة محاور رئيسة وخاتمة، جاءت كلها لتبيين ضعف نظرية الطبيعة وبينت أن "ماهية المذهب الذي يسلكه الجاحدون من الطبيعيين وأوضحت مدى بعد مسلكهم عن موازين العقل ومدى سماجته وخرافيته وذلك من خلال تسعة محالات مستخلصة من تسعين محالا في الأقل"[26].

ارتكزت هذه الرسالة في ردها على الطبيعيين على تفنيد ثلاث مسائل محورية هي من أعمدة المذهب الطبيعي، كما قرر ذلك الأستاذ النورسي و"أولاها قولهم عن الشيء أوجدته الأسباب، أي إن الأسباب هي التي توجد الشيء المعين، وثانيتها قولهم عن الشيء تشكل بنفسه، أي إن الشيء يتشكل من تلقاء نفسه ويوجد نفسه، وينتهي إلى صورته التي انتهى إليها كما هي، وثالثتها قولهم عن الشيء اقتضته الطبيعة، أي إن الشيء طبيعي والطبيعة هي التي أوجدته واقتضته"[27].

ليبطل مؤلف رسالة الطبيعة كل هذه المقولات الثلاث؛ أورد المحالات التي تلزم عن القول بها، ويخلص إلى نتيجة مفادها أن الشيء يوجد بقدرة الخالق القدير ذي الجلال وأن أولئك الطبيعيين فعلا "لم يتبنوا حقيقة مسلكهم ولا باطن مذهبهم ولم يدركوا ما يقتضيه مسلكهم من محالات وما يستلزمه مذهبهم من أمور فاسدة وممتنعة عقلا"[28].

وفيما يلي مخطط توضيحي لهيكلة رسالة الطبيعة:

<table>
<tr><td>تعليل الوجود</td><td colspan="4">علة الوجود</td></tr>
<tr><td>الاحتمالات</td><td>الاحتمال الأول</td><td colspan="2">الاحتمال لثاني</td><td>الاحتمال الثالث</td><td>الاحتمال الرابع</td></tr>
<tr><td></td><td>اجتماع الأسباب المادية.</td><td colspan="2">تشكل بنفسه</td><td>مقتضى الطبيعة وتأثيرها</td><td>قدرة الخالق القدير</td></tr>
<tr><td rowspan="3">المحالات المترتبة عليها</td><td>المحال الأول</td><td>استحالة خلق الأحياء من تجمع الأسباب.</td><td>تدبر خلق الإنسان يعارض هذه الفكرة</td><td>الطبيعة صماء عمياء وجاهلة.</td><td rowspan="3">متوافق مع العقل السليم إذ لا محال فيه، بل هو واجب التصديق.</td></tr>
<tr><td>المحال الثاني</td><td>في إسناد خلق الأحياء إلى الأسباب استحالة مطلقة.</td><td>استحالة تنظم الذرات دون مدبر وآمر</td><td>الطبيعة صماء عمياء وجاهلة.</td></tr>
<tr><td>المحال الثالث</td><td>لا يصدر الواحد إلا عن واحد.</td><td>في إسناد خلق الأشياء لنفسها استحالة مطلقة وفي إسنادها إلى الله سهولة مطلقة</td><td>استحالة رد النظام الكوني إلى قوانين الطبيعة الاعتبارية.</td></tr>
<tr><td>النتيجة</td><td>استحالة تعليل الوجود باجتماع الأسباب</td><td colspan="2">استحالة تعليل الوجود بالتشكّل بنفسه</td><td>استحالة تعليل الوجود بالطبيعة وتأثيراتها.</td><td>"هو الصانع الجليل الذي تشهد له جميع الموجودات من الذرات إلى المجرات بألسنة متنوعة وتشير إليه إشارات مختلفة"</td></tr>
</table>

ب. أسباب تأليفها:

ذكر الأستاذ في مطلع رسالة الطبيعة السبب المباشر الذي شغل فكره، ودعاه لتأليفها،

وفاء بمهمّة الدفاع عن رسالة القرآن، في مواجهة الإلحاد الذي بدأ بالتسلل إلى جسد الأمة على حين غفلة منها، سبب نشوتها بانتصار جيش المسلمين على اليونان.

قال الأستاذ (رحمه الله): "إلا أنني أبصرت خلال موجة الفرح هذه زندقة رهيبة تدب بخبث ومكر وتتسلل بمفاهيمها الفاسدة إلى عقائد أهل الإيمان الراسخة بغية إفسادها وتسميمها فتأسفت من أعماق روحي وصرخت مستغيثا بالله العلي القدير ومعتصما بسور هذه الآية الكريمة من هذا الغول الرهيب الذي يريد أن يتعرض لأركان الإيمان فكتبت برهانا قويا حادا يقطع رأس تلك الزندقة في رسالة باللغة العربية واستقيت معانيها وأفكارها من نور هذه الآية الكريمة[29] لإثبات بداهة وجود الله سبحانه ووضوح وحدانيته"[30].

واصل الأستاذ النورسي شرح ملابسات السبب الذي حداه إلى التأليف قائلا "إلا أنني لم ألمس آثار البرهان الرصين في مقاومة الزندقة وإيقاف زحفها إلى أذهان الناس [...] لذا فقد انتشرت أوهام ذلك الإلحاد واستشرت في صفوف الناس مع الأسف الشديد مما اضطرني إلى إعادة كتابة تلك الرسالة ببراهينها بالتركية مع شيء من البيان والتوضيح فكانت هذه الرسالة" [31].

ويستشف من النظر الفاحص في رسالة الطبيعة أنّ الأستاذ كان صاحب همّة عالية، ورغبة فائقة للدفاع عن ميراث الأمة، ودفع كلّ ما شأنه أنه يهدد وجودها المعنوي والمادي، زرأي ما يعتنى به الحفاظ على عقيدة الأمة.

تستفاد هذه المعاني من قول الأستاذ: "إن الداعي الأشد إلحاحا إلى تأليف هذه الرسالة هو ما لمسته من هجوم صارخ على القرآن الكريم والتجاوز الشنيع على الحقائق الإيمانية بتزييفها وربط أواصر الإلحاد بالطبيعة وإلصاق نعت الخرافة على كل ما لا تدركه عقولهم القاصرة العفنة "[32].

وأضاف الأستاذ معلقا على سبب أسلوبه حاد الذي صيغت به رسالة الطبيعة، خلاف ما كانت عليه بقية الرسائل، والتي اتّسمت في الغالب بأسلوبها الرقيق المتلطّف الليّن مع المخالف والموالف، فقال "قد أثار ذلك الهجوم الإلحادي غيظا شديدا في القلب ففجّر فيه حمما سرت إلى أسلوب الرسالة فأنزلت هذه الحمم والصفعات على أولئك الملحدين وذوي المذاهب الباطلة المعرضين عن الحق معتبرا أنه ليس من دأب رسائل النور إلا القول اللين في الخطاب والرفق في الكلام"[33]. وهذا دليل على أن السمة العامة

لمضامين رسائل النور هي التلطّف واللين، إلاّ إذا دعت الضرورة التربوية والإرشادية.

المبحث الثالث: منهج النورسي في الرد على الطبيعيين المنكرين لوجود الله

المتأمل في طريقة الأستاذ النورسي في رده على الطبيعيين يدرك حرص الأستاذ منطقية العرض في مواجهة الملحدين؛ فكان الخطاب خاضعا لموازين العقل فحسب، فالأستاذ كان مدركا لردود مخاطبه فلم يقحم في كلامه ما لا تطاله دائرة فهم المخاطب في رد طروحاته ليوظف فيما بعد أساليب وأدوات إرشادية لغاية التأثير في قلب المخاطب؛ وهو ما أكسب منهج النورسي قوة أكثر، حيث جمع بين مخاطبة العقل والقلب فيتمكن من دحر مفهوم الطبيعة الإله في فهوم مخالفيه.

ولكن ما مفهوم الطبيعة عند النورسي؟

1. مفهوم الطبيعة عند النورسي

يرى النورسي أن الطبيعة أمر موهوم ليس له حقيقة، وهي وإن كانت شيئا موجودا فهي شبيهة بالكراسة أو الدفتر للقدرة الإلهية؛ لذلك نراه منتقدا لتصور الملحد للطبيعة، ومذكرا له بغلطه الشنيع ووهمه الفظيع، مقربا له المعنى لتبقى الطبيعة "دفتر ملاحظات دونت فيه خطة مفصلة لعملية بناء القصر وخط فيه أيضا فهرس موجوداته وقوانين إدارة ممتلكاته. فرغم أن ذلك الدفتر كمحتوياته ليس من شأنه تشييد القصر وتزيينه إذ لا يملك يدا يعمل بها ولا بصيرة يبصر بها، إلا أن (الملحد) تعلق به إذ وجده متطابقا بمحتوياته مع مجاميع أشياء القصر، ومنسجما مع سير العمل فيه –إذ هو عنوان قوانين الله العلمية– لذا قال مضطرا إن هذا الدفتر هو الذي شيد هذا القصر ونظمه وهو الذي أوجد الأشياء فيه ورتبها هذا الترتيب ونسقها هذا التنسيق"[34].

ومن ثم فقد أكّد على أنّ الطبيعة لا يمكن أن تكون "طابعة؛ بل مطبعة وهي صنعة صانع ولن تكون صانعا؛ وهي نقش ولن تكون نقاشا ومجموعة أحكام ولن تكون حاكما وشريعة فطرية ولن يكون شارعا وستار مخلوق للعزة، ولن يكون خالقا وفطرة منفعلة، ولن يكون فاطرا فاعلا، ومجموعة قوانين ولن يكون قادرا، ومسطرا ولن يكون مصدرا"[35].

وواصل النورسي شرح فكرته عن الطبيعة فَقَسَّمَ الشريعة الإلهية إلى قسمين، "إحداهما الشريعة التي هي من صفة الكلام التي تنتظم أفعال العباد الاختيارية، والثانية هي الشريعة التي تتعلق بصفة الإرادة والتي تسمى بالأوامر التكوينية والشريعة النظرية،

وهي محصلة قوانين عادات الله الجارية في الكون، فكما أنَّ الشريعة الأولى عبارة عن قوانين معقولة فإن الشريعة الثانية أيضا عبارة عن مجموع القوانين الاعتبارية التي تسمى خطأ بالطبيعة فهذه القوانين لا تملك التأثير الحقيقي ولا الإيجاد الذين هما من خواص القدرة الإلهية"[36].

هكذا؛ يمكن الخلوص إلى أن مفهوم الطبيعة عند النورسي يتحدد بما هو شريعة إلهية فطرية أوقعت نظاما دقيقا بين أفعال، وعناصر وأعضاء جسد الخليقة المسمى بعالم الشهادة هذه الشريعة الفطرية هي التي تسمى بالطبيعة والمطبعة الإلهية [37].

وفي هذا السياق يذكرنا تصور الأستاذ لنورسي لمفهوم الطبيعة بكلام الإمام الغزالي (ت 505هـ) في رسائله عن قول القائلين بألوهية الطبيعة حيث يعتبر أنها (أي الطبيعة) "كآدم في افتقارها إلى محدث وإن كانت الطبيعة حية لا فاعل لها ولا علة فهي الإله فأسقطوا لفظ الطبيعة وقولوا إلها فهذا الذي نريد بيانه فإن الحوادث التي لا أول لها محالة إلا إذا قلنا فعلت الطبيعة طبيعة فذلك منتف فلا بد من استناد إلى مبدأ لا علة له وليس بمعلول أصلا وهذا يبطل اعتقاد من يقول آدم من آدم آخر"[38].

وهكذا يمكن القول إن تصور الأستاذ النورسي للطبيعة يعكس الرؤية الإسلامية للطبيعة في أجلى وأوضح صورها حيث بيّن أن الطبيعة هي سنة الله في الكون، وفطرة الله، وهذه الرؤية التي يتوافق فيها مع الغزالي وهذه الرؤية السليمة هي التي وضع أساسها القرآن الكريم، لتكون الطبيعة سببا ووسيلة للوصول إلى معرفة الله، والتقرب إليه لا أن تكون إلها وتعبد من دونه سبحانه وتعالى. ويحسن بهاذ السياق بيان ردود الأستاذ النورسي على الطبيعيين.

2. رد النورسي على الطبيعيين

رد الأستاذ سعيد النورسي على المذهب الطبيعي في رسالة الطبيعة، وشنّ فيها هجمة قويّة على أسس تصوّر الطبيعيين للعالم وإنكارهم لوجود الخالق سبحانه وتعالى؛ مكرسا خبرته التي اكتسبها من مدارسة العلوم الطبيعية، وقد رد الأستاذ على مقولاتهم في ثلاث محطات محورية نقض في كل محطة منها شبهة، بإيراد ثلاثة محالات من بين الكثير من المحالات اللازمة لذلك القول. وفي ما يأتي ذكر لشبهات الطبيعيين التي نقضها الأستاذ مع المحالات التي أوردها في نقضها:

أ. الرد على الشبهة الأولى "أوجدته الأسباب":

ردَّ الأستاذ النورسي على هذه الشبهة التي كررها الطبيعيون وقصدوا بها أن الأشياء أوجدتها الأسباب، ومن ثمَّ فإنَّ أساسهم هذا استند إلى القول بأنَّ اجتماع أسباب العالم خلق الموجودات وأوجدها وأدى إلى تشكيل الأشياء. فَنَّدَ الأستاذ هذا القول، وفنّدها بالتنبيه إلى المحالات الثلاثة التي ترتبت على القول بها.

المحال الأول: استحالة خلق الأحياء من تجمع الأسباب

فَنَّد الأستاذ القول بأنّ الأشياء أوجدتها الأسباب، وذلك بالبرهنته على استحالة استواء مادة حيوية مضادة للسموم بمقادير دقيقة للغاية، وموازين مناسبة من مصادفة نتجت عن هزة أرضية لصيدلية مليئة بالقناني المملوءة بالسوائل والمستحضرات الطبية والمواد الكيمائية المتنوعة أدت إلى سيلان تلك السوائل والمستحضرات، واختلاط بعضها ببعض بمقادير معينة [...] بحيث لو نقص من تلك المقادير جزء من الغرام أو زاد، لفقدت تلك المادة الحيوية مفعولها وفسدت[39].

قال الأستاذ موضحا ما سبقت الإشارة إليه: "إن كل كائن حي هو مركب حيوي، ومعجون ذو حياة، وإن كل نبات شبيه بترياق حيوي مضاد للسموم إذا ركب من أجزاء مختلفة، ومن مواد متباينة على وفق موازين دقيقة في منتهى الحساسية، فلا ريب أن إسناد هذا الكائن البديع إلى الأسباب المادية والعناصر، والقول بأن الأسباب أوجدته باطل ومحال وبعيد عن موازين العقل بمثل بعد وبطلان ومحالية تكون المعجون الحيوي بنفسه من سيلان تلك المواد من القناني"[40]، فلم يبق شك في أن الأسباب رغم اجتماعها لا تقدر على الخلق والإيجاد وإنما هي قوة فوق قوتها وطور فوق طورها بيد الله تعالى مسبب الأسباب.

المحال الثاني: القول بإسناد خلق الأحياء إلى الأسباب، استحالة مطلقة

وبعد المحال الأول انتقل النورسي إلى تفصيل القول في المحال الثاني، وهو نقض لقول الماديين بأن اجتماع الأسباب وحده يخلق الموجودات، فقال إنه في حال عدم إسناد خلق كل شيء للخالق العظيم وإسناده إلى الأسباب المادية "يلزم عندئذ أن يكون لأغلب عناصر العالم وأسبابه دخل وتأثير في وجود كل ذي حياة. والحال أن اجتماع الأسباب المتضادة والمتباينة قيما بينها بانتظام تام وبميزان دقيق، (...) هو محال ظاهر إلى حد يرفضه من له عقل بمقدار جناح ذبابة، لأن الجسم الصغير ذو علاقة مع أغلب الكائنات (...)، فإن لم يسند إيجادها إلى القدرة المطلقة يلزم أن تكون الأسباب حاضرة

ومحتشدة إلى ذلك الجسم عند إيجاده (...)، وعندئذ يقتضي قبول جميع العناصر في جميع أركان العالم مع طبائعها المتباينة في ذلك المسبب دخلا ماديا، وعملها في تلك الحجرة المتناهية في الصغر بمهارة وإتقان."[41]

ومن جهة أخرى ذكر النورسي أنَّ الأسباب أعراض زائلة كالمسببات، وبالتالي فلا يمكن أن تكون خالقة للمسببات فيقول "إن زوال الأسباب السفلية مع المسببات في الانقلابات السنوية والعصرية ثم إعادة أمثال المسببات مع الأسباب، يشهد قطعا على أن كل هذه المصنوعات اللطيفة السيالة، وهاتيك الموجودات الجميلة الجوالة، إنما هي صنعة متجددة للذات الأحدية ذات الجمال والجلال"[42].

المحال الثالث: لا يصدر عن الواحد إلا الواحد

فحوى هذا المحال في أن الموجود إن كانت له وحدة واحدة "فلا بد أن يكون صادرا عن مؤثر واحد، ومن يد واحدة، حسب مضمون القاعدة البديهية المقررة بأن الواحد لا يصدر إلا عن واحد، فلما كان الوجود في غاية الدقة والانتظام وكان مالكا لحياة جامعة، فمن البداهة أنه لم يصدر من أيد متعددة قط والتي هي مدعاة الاختلاف والتنازع؛ بل لا بد أنه صادر من يد واحدة لواحد أحد قدير حكيم، لذا فإنّ إسناد الموجود المنتظم المتناسق الموزون الواحد إلى أيد أسباب الطبيعة العمياء الصماء الجامعة غير المنضبطة، (...)، واختياره من بين إمكانات واحتمالات لا حد لها لا هو عين المحال"[43].

يقول النورسي "إن قبول هذا الإسناد والادعاء هو –في الحقيقة– قبول لمائة محال ومحال، إذ هو بعيد كل البعد عن جميع مقاييس العقل وموازينه"[44].

وهكذا نقف على درجة تناسب وتناسق هذه المحالات الثلاثة والتي تعبر عن متانة فكر الأستاذ النورسي وقوته المنهجية، لتملأ كل محال ثغرة وترد على فرية. فالمحال الأول استهدف دحض نظرية المصادفة التي يبني عليها الملحدون تشكل العالم. والمحال الثاني اهتم بدحض نظرية السببية في صيغتها السطحية المقدمة من قِبل الماديين، وذلك حين تكون للأشياء القدرة على الخلق بعنصر السبب، ليستهدف المحال الثالث القول بالكثرة والتعدد في صيغتهما عند الملحدين وذلك حتى تكون الأسباب متعددة وكثيرة وعن هذه الكثرة يكون الواحد[45].

ب. الرد على الشبهة الثانية "تشكل بنفسه"

سلك الملحدون هذه الشبهة قائلين بأن الشيء يتشكل بنفسه وهذا القول ينطوي كما

يرى النورسي على محالات عديدة تفيد بطلانه وعدم تقرره وهو ما وضحه وبينه من نواح كثيرة.

المحال الأول: تدبر خلق الإنسان يعارض هذه المقولة

يرى الأستاذ النورسي أن الإنسان الجاحد الذي ينكر وجود الله هو نفسه دليل على هذا الوجود لأنه معمل عظيم لا يمكن أن يكون قد تشكل بنفسه، ويوضح صاحب رسالة الطبيعة هذه الفكرة قائلا "إنك أيها الجاحد العظيم موجود بلا شك، وأنك لست من مادة بسيطة وجامدة، تأبى التغيير بل أنت معمل عظيم متقن الصنع، أجهزته دائمة التجدد وأنت كالقصر المنيف أنحاؤه دائمة التحول، فذرات وجودك أنت تعمل دوما وتسعى دون توقف وترتبط بوشائج وأواصر مع مظاهر الوجود في الكون من حولك، فهي في أخذ وعطاء مع الكائنات وبخاصة من حيث الرزق من حيث بقاء النوع فإن لم تعتقد أن تلك الذرات موظفات صغيرات لدى القدير الأزلي ومأمورات مسخرات منقادات لقوانينه سبحانه، أو هي نهايات قلم القدر الإلهي (...) وهذا محال"[46].

فلا شك أن في الإنسان ما يدل حتما على وجود الخالق الكريم فهي عملية خلق منظمة ومنضبطة، وليست محلا للمصادفة والعشوائية، وإنما خلق في أحسن صورة وتقويم يقول تعالى: "وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ"[47].

المحال الثاني: استحالة تجمع الذرات دون مدبر وآمر

يرى النورسي أن الذات الإنسانية هي بناء هندسي متكامل متناسق ومنسجم وأن إسناد خلق هذا الكائن إلى ذراته وجزئياته يلزم منه أن يكون لكل ذرة عقلا ولكل خلية تدبيرا، وتكون الذرة حاكمة ومحكومة في الوقت نفسه وتابعة ومتبوعة في الآن ذاته، ومطلقة الإرادة ومقيدة في الوقت الواحد وهو ما لا يقبله ويحيله العقل السليم.

وشرح النورسي فكرته معتبرا أن الذرات في جسد الإنسان "قد تعاونت وتعانقت بعضها مع البعض الآخر في انتظام تام وتوازن كامل –كالأحجار في تلك القباب- وكونت بناء خارقا وصنعة رائعة بديعة، فأظهرت للعيان معجزة عجيبة من معجزات القدرة الإلهية (كالعين واللسان) مثلا فلو لم تكن هذه الذرات مأمورة منقادة لأمر الصانع القدير، فإن كل ذرة منها لا بد أن تكون حاكمة حكما مطلقا كذلك، وأن تكون مثل كل منها، وضد كل منها –من حيث الحاكمية- في الوقت نفسه،[...] فالمصنوع الواحد المنتظم المنسق الذي لا يمكن أن يكون بسر الوحدانية إلا أثرا من آثار الواحد الأحد

محال أن يسند إلى تلك الذرات غير المحدودة بل هو مائة محال في محال"[48].

المحال الثالث: في إسناد خلق الأشياء إلى نفسها استحالة مطلقة وفي إسنادها إلى الله سهولة مطلقة

يقدم النورسي لنا هذا المحال الثالث بأسلوبه وبطريقة تحليلية لطيفة فيقول مخاطبا الإنسان "إن لم يكن وجودك هذا قد كتب بقلم الواحد الأحد القدير الأزلي، وكان مطبوعا بمطابع الطبيعة والأسباب، فيلزم عندئذ وجود قوالب طبيعية بعدد ألوف الألوف من المركبات المنتظمة العاملة في جسمك، والتي لا يحصرها العد، ابتداء من أصغر الخلايا العاملة بدقة متناهية وانتهاء بأوسع الأجهزة العاملة فيه [...].

وضرب النورسي المثال تقريبا للمعنى فقال: "إن اعتقدت أن هذا الكتاب مستنسخ باليد فيكفي إذن لاستنساخه قلم واحد بحركة قلم كاتبه ليدون به ما يشاء ولكن إن لم يعتقد أنه مستنسخ باليد، ولم يسند إلى قلم كاتب، وافترض أنه قد تشكل بنفسه، وأسندت كتابته إلى الطبيعة، فيلزم عندئذ أن يكون لكل حرف من حروفه قلم معدني خاص به ويكون عدد الأقلام بعدد تلك الحروف، وهذا محال"[49].

وهكذا فإن القول بإسناد خلق الأشياء إلى نفسها فيه استحالة مطلقة لا يمكن تجاوزها بحال، وأما في إسنادها إلى الله سهولة مطلقة لأنها تنسجم مع خالقها الحقيقي والذي خلق كل الكائنات وصورها فأحسن صورها.

ج. الرد على الشبهة الثالثة "اقتضته الطبيعة"

تتمثل الشبهة الثالثة- من الشبهات المحورية التي يكررها الملحدون- في القول بأن وجود الأشياء يكون كما اقتضته الطبيعة، ويرد النورسي على هذا الحكم الذي يستصحب مشكلات عدة بذكر بعض المحالات التي لا تنفك عنه.

المحال الأول: الطبيعة صماء عمياء وجاهلة

ذكر بديع الزمان النورسي في هذا المحال أن الإتقان والإيجاد المتسمين بالبصيرة والحكمة الظاهرين في الموجودات ظهورا جليا، ولا سيما في الأحياء إن لم يسند إلى قلم القدر الإلهي وإلى قدرته المطلقة، وأسند إلى الطبيعة الصماء الجاهلة وإلى القوة يلزم أن توجد الطبيعة –من أجل الخلق- مطابع ومكائن معنوية لا حد لها في كل شيء أو تدرج في كل شيء قدرة قادرة على خلق الكون كله.

وفي ضوء هذا المثال قال (رحمه الله): "إن لم يسند خلق الموجودات والأحياء إسنادا

مباشرا إلى تجليات أسماء الله الحسنى الذي هو نور السماوات والأرض، يلزم الاعتقاد إذن بوجود طبيعة وقوة تملكان قدرة مطلقة وإرادة مطلقة مع علم مطلق وحكمة مطلقة في كل موجود من الموجودات ولا سيما الأحياء أي يلزم قبول ألوهية وربوبية في كل موجود"[50].

فمن الحماقة عزو خلق الأشياء إلى من لا يملك ذلك ففاقد الشيء لا يعطيه ولاسيما إذا كان ذو صمم وعمى، وكذلك هي الطبيعة التي يسند لها الماديون خلق الأشياء متغافلين عن حقيقة الطبيعة وماهيتها.

المحال الثاني: الطبيعة ليست علة النظام والجمال الكوني

ذهب النورسي في هذا المحال إلى أنه لا يمكن التسليم للطبيعيين في قولهم كما اقتضته الطبيعة ذلك أن "هذه الموجودات التي هي في غاية الانتظام وفي منتهى الروعة والميزان وفي غاية الإتقان وكمال الحكمة والاتزان، إن لم تسند إلى من هو قدير مطلق القدرة وحكيم مطلق الحكمة وأسندت إلى الطبيعة فعليها أن تحضر في كل حفنة تراب معامل ومطابع بعدد معامل أوروبا ومطابعها كي تتمكن تلك الحفنة من أن تكون منشأ الأزهار والأثمار الجميلة اللطيفة [...] ومن ثمة فلو أسند الأمر إلى الطبيعة فستظهر مئات الألوف من المشكلات والمعضلات بدرجة الامتناع"[51].

تبين إذا أن ذلك النظام والجمال الذي تتوشح به الكائنات لا يمكن عقلا أن يكون من مقتضيات الطبيعة، وإنما يجب أن يسند لمن يتمتع بقدرة وحكمة مطلقة حيث تكون له مطلق التصرف في جزئيات خلقه وتفاصيل ملكه وهو ما يمكن للعقل قبوله دون ورود محالات.

المحال الثالث: استحالة رد النظام الكوني إلى قوانين الطبيعة الاعتبارية

ضرب النورسي لتوضيح هذا المحال مثالين لبيان عدم إمكان الطبيعة إحداث الحوادث، واقتضائها للخلق؛ ويتلخص مضمونهما في أن تأليه الطبيعة التي يتعلق بها الماديون؛ إنما هو مجرد وهم يفتقر للدليل والبرهان وإن كان ولا بد من أنّ لها وجودا خارجيا فهو لا يعدو أن يكون صنعة صانع لا صانع ونقش نقاش لا نقاش.

قال النورسي شارحا عقلية الملحد الذي يحمل فكرة الطبيعة الجاحدة مع ما يتخللها من جهل مركب "يتصور (الملحد) القوانين المعنوية التي نشاهد آثارها في ربط أنظمة الكون البديع والنابعة من الحكمة البالغة للبارئ المصور سبحانه، يتصورها كأنها قوانين

مادية، فيتعامل معها في أبحاثه كما يتعامل مع المواد، والأشياء الجامدة ويتخيل أحكام قوانين الربوبية التي هي قوانين اعتبارية ودساتير الشريعة الفطرية الكونية للمعبود الأزلي والتي هي بمجموعها معنوية بحتة وليس لها وجود علمي يتخيلها، وكأنها موجودات خارجية ومواد مادية"[52].

ويكمن القول الصائب كما يرى النورسي في أن الله بقدرته الواسعة عين طبيعة الأشياء وجعها مرآة عاكسة لتجليات الشريعة الفطرية الكبرى، التي فطر عليها الكون والتي هي قوانين الله وسننه الجارية التي تخص تنظيم شؤون الكون[53].

ويُلاحظ مما سبق أن الأستاذ النورسي استثمر خبرته الكلامية في مواجهة المقولات الإلحادية المتعلّقة بالطبيعية بقصد تقويضها، حيث استدل على وجود الله ووحدانيته، وأبطل إسناد الخلق إلى الطبيعة والأسباب. وقد برع في الرد؛ منتهجا الأسلوب الجدلي حيث ألزم الملحد في مناسبات كثيرة وأبطل ادعاءاته متوسلا بالقياس التمثيلي[54] تارة، والقياس بالخلف[55] تارة أخرى، وهو ما يعكس براعة ومهارة معتبرة يمكن الاستفادة منها في المجال الدعوي، لما تقدمه من انسجام مع روح العصر الذي نعايشه.

3. أساليب النورسي في نقض شبهات الملحدين

مزج النورسي في رده على المنكرين لوجود الله تعالى بين العقل والقلب، وبين الصرامة المنطقية الحرص على مخاطبة العاطفية فلم يكن خطابه جافا تجريديا؛ بل كان مرنا ولينا في شيء من التوازن والاعتدال، يتكلم فيأخذ بالقلوب العقول معا، ويعود ذلك-كما يرى الباحث- إلى الأدوات والأساليب التي وظفها الأستاذ في مخاطبة الملحدين، فكان أسلوبه يتسم بالقوة والهيبة ويتعامل مع المعارضين بقوة هجومية عنيفة وذلك بدحض أباطيلهم، وإيراد الأدلة القوية الكافية، وتفنيد اتهاماتهم الظالمة، مع التذكير المستمر بأن هناك عذابا ينتظرهم في الدنيا، كما أن هناك عذابا أليما في الآخرة.

ومن جهة أخرى كان هذا الهجوم لا يفتر ولا يلين، ويتصف بصفة مهمة وهي عدم تحديد الأسماء والأشخاص على الأغلب؛ فالرسالة تعبر عن هؤلاء على الإطلاق دون التقييد، فمثلا كان يقول "أهل الضلالة السفاهة المنافقون وأهل الزندقة والكفر"[56]. ولا غرو فالنورسي هو القائل "إن كنت في بحث الإلهيات وتصوير الأصول فعليك بالأسلوب العالي، ففيه الشدة والقوة والهيبة بل عليك ألا تغادر هذا الأسلوب"[57].

وفيما يأتي ذكر لأبرز الأدوات التي وظفها بديع الزمان في رسالة الطبيعة للرد على

منكري وجود الله تعالى من أهل الإلحاد والطغيان:

أ. طريقة السبر والتقسيم[58]

يعد أسلوب السبر والتقسيم من الأساليب القوية في الاستدلال والبرهنة، ويرجح الباحث أن الأستاذ النورسي قد اكتسبه من مدارسته للعلوم الحديثة في رحلته إلى مدينة وان سنة 1909م حيث درس علم الكيمياء والرياضيات والجغرافيا، وها هو يكرس مخرجات العلوم الحديثة وقواعدها وأساليبها في عملية الرد على الملحدين، وإقناعهم بحقيقة وجود الله تعالى ووحدانيته.

ويمكن القول إن رسالة الطبيعة كانت حصيفة الأسلوب ورسينة الحبك من بدايتها إلى نهايتها؛ قال الأستاذ النورسي في مقدمة الرسالة مخاطبا الملحد "فيا أيها الملحد إما أنك تقول إن هذا الموجود –وليكن هذا الحيوان مثلا- توجده أسباب العالم، أي أنه يكتسب الوجود نتيجة اجتماع الأسباب المادية، أو إنه تشكل بنفسه، أو أنه يرد إلى الوجود بمقتضى الطبيعة ويظهر بتأثيرها، أو عليك أن تقول إن قدرة الخالق القدير ذي الجلال هي التي توجده، لأنه لا سبيل إلى حدوثه غير هذه الطرق الأربعة حسب موازين العقل، فإذا ما أُثبت –إثباتا قاطعا- أن الطرق الثلاثة الأولى محالة، باطلة ممتنعة غير ممكنة فبالضرورة والبداهة يثبت الطريق الرابع وهو طريق وحدانية الخالق بيقين جازم لا ريب فيه"[59].

وبعد إبطال الأستاذ الطرق الثلاثة لما تستلزمه من محالات وصعوبات يقرها كل ذي عقل راشد وسليم، خَلُصَ في الختام إلى القول: "فلا بد وبالضرورة والبداهة أن يثبت بيقين لا سبيل مطلقا إلى الشك فيه الطريق الرابع وهو طريق الوحدانية ذلك الطريق الذي تنيره الآية الكريمة "أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ"[60] والتي تدل بداهة ويقينا على وجود واجب الوجود وعلى ألوهيته المهيمنة وعلى صدور كل شيء من يد قدرته وعلى أن مقاليد السماوات والأرض بيده سبحانه وتعالى" على حد تعبير النورسي.

ب. دور القياس التمثيلي في الرد والإقناع

كثيرا ما يضرب الأستاذ النورسي المثال في سياق برهنته على حقيقة وجود الله تعالى ووحدانيته ورده على الملحدين فنجده مثلا يقرب قانون النظام الكوني بمثال الصيدلية وما تحتويه من مواد مركبة بموازين دقيقة فيقول "تحوي الصيدلية مئات الدوارق والقناني المملوءة بمواد كيمياوية متنوعة وقد احتجنا-لسبب ما- إلى معجون حيوي من تلك

الأدوية والمواد لتركيب مادة حيوية خارقة مضادة للسموم فلما دخلنا الصيدلية وجدنا فيها أعدادا هائلة من أنواع ذلك المعجون الحيوي [...] وعندنا بدأنا بتحليل كل معجون رأيناه مركبا مستحضرا بدقة متناهية من مواد مختلفة طبق موازين محسوبة فقد أخذ من تلك القناني الدرهم من هذه وثلاثة غرامات من هذه وعشرة غرامات من الأخرى وهكذا فقد أُخذ من كل منها مقادير مختلفة بحيث لو كان ما أُخذ من هذه المقادير أقل منها بجزء من الغرام أو أزيد لفقد المعجون خواصه الحيوية"[61].

وفي موضع آخر حاول تقريب مشكلة الطبيعيين السذج وجهلهم فضرب مثال الإنسان البدائي والقصر قائلا: "يدخل إنسان بدائي ساذج التفكير لم يكن يملك أي تصور حضاري مسبق يدخل هذا الشخص قصرا فخما بديعا يزهو بزينته ويختال بأرقى ما وصلت إليه الحضارة من وسائل الأبهة والراحة ويتلألأ بأضوائه في عتمة فلاة خالية موحشة فيدلف إليه ويدور في أرجائه فتشده براعة بنائه ونقوش جدرانه وروعة إتقانه وبكل سذاجة تصوره وبلاهته يمنح القصر حياة ويعطيه قدرة تشييد نفسه بغرفه وأبهائه وصوره الجميلة ونقوشه الأخاذة لا لشيء إلا لكونه قاصرا عن تصور وجود أحد خارج هذا القصر وفي هذه الفلاة يمكنه أن ينسب إليه بناء هذا القصر"[62].

ولمعترض أن يقول أي قيمة للقياس التمثيلي وهو كما في علم المنطق لا يفيد اليقين العلمي فضلا عن أن هذه الأمثلة التي يضربها الأستاذ تكون في شكل حكايات والحكاية خيالية لا حقيقية بل قد تكون مخالفة للواقع ؟ يرد مؤلف رسالة الطبيعة مصرحا بأن القياس التمثيلي لا يفيد العلم اليقيني إلا أن للقياس التمثيلي نوعا هو أقوى بكثير من البرهان اليقيني للمنطق؛ بل هو أكثر يقينا من الضرب الأول من الشكل الأول للمنطق وذلك القسم هو إظهار جزء وطرف من حقيقة كلية بتمثيل جزئي ثم بناء الحكم على تلك الحقيقة وبيان قانون تلك الحقيقة في مادة خاصة كي تُعرف منها تلك الحقيقة العظمى وتُرجع إليها المواد الجزئية [63].

وواصل الأستاذ شرح فكرته فيضرب مثال الشمس ليقرب المعنى من الأذهان قائلا "فمثلا الشمس توجد قريبة من كل شيء لماع –بوساطة النورانية- مع أنها ذات واحدة، فبهذا المثال يبين قانون حقيقة هي أنه لا قيد للنور والنوراني فالبعيد والقريب سواء القليل والكثير يتساوى فلا يحده مكان"[64]. تمكن الأستاذ النورسي من الرد على الملحدين متوسلا القياس التمثيلي والذي استطاع به توضيح وتبسيط الفكرة للمخاطب الذي يعاني من قصور في النظر بسبب ما يحيل إليه من مسمى الطبيعة.

ج. مهارة الجدل والمناظرة[65] عند النورسي

المتأمل في ثنايا رسالة الطبيعة أن يلاحظ طغيان أسلوب الجدل والمناظرة فيها ولا ريب؛ فالأستاذ النورسي عالم من العلماء الأفذاذ المبرزين في فن الجدل والمناظرة؛ فضلا عن أن الأستاذ لم يؤلف هذه الرسالة إلا لمقارعة ومحاججة أصحاب مذهب الطبيعة المنكرين لوجود الخالق تعالى، ويمكن ملاحظة تجليات هذا الأسلوب من خلال توظيف المؤلف لبعض الأدوات الخادمة لهذا الأسلوب؛ ولعل من أبرزها أداة السؤال الاستنكاري واستخراج لازم قول المخالف وتقنية السؤال والجواب.

السؤال الاستنكاري[66]

اعتمد الأستاذ النورسي على السؤال الاستنكاري في مواجهة مخالفيه، وإيصال المعنى المطلوب للرد والإقناع؛ ويظهر ذلك في مواضع كثيرة في رسالة الطبيعة؛ ولعل أهمها قوله: "فهل يمكن عقلا لهذا الحاكم المطلق والآمر الفرد وهو الواحد الأحد أن يسلم أمر الإنسان الذي هو ثمرة الكون كله إلى غيره من الأسباب ويسلم ثمرة حياته وهي الشكر والعبادة إلى الآخرين بعدما خلق الكون كله لمعرفة ألوهيته ولمحبة ربوبيته. فهل يمكن أن يجعل نتيجة الخلق وثمرة الكون تسقط بين أشداق عفونة العبث؟ [...] ثم هل يمكن أن يرضى سبحانه بما يخالف حكمته وربوبيته بجعل بعض الأسباب مقصودة عبادة المخلوقات؟"[67].

وفي موضع آخر سأل الأستاذ مستنكرا "فهل يمكن أو يعقل أن يتكون ذلك المعجون المحسوب كل جزء من أجزائه حسابا دقيقا من جراء مصادفة غريبة أو من نتيجة تصادم القناني بحدوث زلزال عاصف في الصيدلية يؤدي إلى سيلان تلك المقادير بموازينها المعينة واتحادها بعضها بالبعض الآخر مكونا معجونا حيويا؟ فهل هناك محال أغرب من هذا وأكثر بعدا عن العقل والمنطق؟ وهل هناك خرافة أخرق منها وهل هناك باطل أوضح بطلانا من هذا؟"[68].

لازم قول المخالف[69]

كما وظَّف الأستاذ لازم قول المخالف في الرد على الشبهات ودحض المقولات المنحرفة؛ فنراه يرد على من ينكر وجود الخالق القدير سبحانه قائلا "فإن لم تعتقد أن تلك الذرات موظفات صغيرات لدى القدير الأزلي ومأمورات مسخرات منقادات لقوانينه سبحانه، أو هي جنود مجندة في جيشه المنظم أو هي نهايات قلم القدر الإلهي أو هي نقاط ينقطها قلم القدرة الإلهية، لزمك أن تقول إن لكل ذرة عاملة –في عينك

مثلا- عينا واسعة بصيرة ترى جميع أجزاء جسدك، ونواحيه وتشاهد جميع الكائنات التي ترتبط بها وتعلم جميع ماضيك ومستقبلك وتعرف أصلك وأجدادك وآبائك مع نسلك وأحفادك، وتدرك منابع عنصرك وكنوز رزقك"[70].

وخاطب الملحد الذي لا يعتقد أن وجوده يعود لوجود الخالق القدير قائلا "إن لم يكن وجودك هذا قد كتب بقلم الواحد الأحد القدير الأزلي، وكان مطبوعا بمطابع والأسباب، فيلزم عندئذ وجود قوالب طبيعية بعدد ألوف الألوف من المركبات المنتظمة العاملة في جسمك، والتي لا يحصرها العد ابتداء من أصغر الخلايا العاملة بدقة متناهية، وانتهاء بأوسع الأجهزة العاملة فيه"[71]. توضح جليا أن استعمال الأستاذ النورسي للازم قول المخالف في الرد على الملحد على درجة عالية من الأهمية، فهو يلجئ الملحد إلى التسليم وسحب كلامه، إذ أنه لم يتنبه إلى مآلاته الفاسدة وهو ما أكسب رد الأستاذ قوة وفاعلية.

تقنية السؤال والجواب

تعد تقنية السؤال والجواب من أكثر الوسائل فائدة في الرد على الملحدين؛ ومنها تظهر قدرة المناظر على درجة استيعابه للموضوع المتناظر فيه؛ فضلا عن دفع الأوهام وتقرير الفوائد. وقد اعتمد النورسي على هذه التقنية كثيرا وفي مواضع عديدة من رسالته. ولعل أبرز مثال يوضح ذلك قوله "إنني أؤمن بالله ربا وأنه خالق كل شيء ولكني أتساءل: ماذا يضر عظمته سبحانه وماذا يضر سلطانه جل وعلا أن نتوجه ببعض المدح والثناء إلى بعض الأسباب الجزئية في إيجادها الأشياء الصغيرة التافهة فهل ينقص ذلك شيئا من سلطانه سبحانه وتعالى؟ والجواب: [...] أن شأن الحاكمية رد المداخلة ورفضها كليا بل إن أدنى حاكم أو أي موظف بسيط لا يقبل تدخلا حتى من ابنه ضمن حدود حاكميته بل إن توهم التدخل في الحاكمية قد دفع بعض السلاطين إلى قتل أولادهم..."[72].

كما أورد الأستاذ النورسي في موضع آخر سؤالا محتملا عند المخالف ثم يجيب عنه الإجابة الشافية الكافية فنجده يقول "يقول الذي كان يعادي سابقا ووفق إلى الإيمان الآن واهتدى: ما بال بعض الفلاسفة المغالين في عصرنا هذا يطلقون مقوله: لا يُستحدث شيء من العدم ولا يفنى شيء من الوجود وأن ما يدير هذا الكون إنما هو تركيب المادة وتحليلها ليس إلا. الجواب: إن هؤلاء الفلاسفة الذين لم يتسن لهم النظر إلى الموجودات بنور القرآن المبين، عندما نظروا إليها بمنظار الطبيعة والأسباب توصلوا إلى

أن وجود هذه الموجودات وافتراض تشكلها بعوامل الطبيعة والأسباب مسألة تطرح مشكلات عويصة بدرجة الامتناع [...] فانقسم هؤلاء الفلاسفة إزاء هذه العقبة الكأداء إلى قسمين..."[73].

هكذا يكتسب خطاب الأستاذ فاعلية خاصة بتضمنه لهذه التقنية المهمة، والتي توسل بها في الرد على الملحدين وتفنيد حججهم سائرا بهم في مضمار الاقتناع أشواطا، فلا يخفى ما لطرح السؤال مرفقا بالجواب من فضل في فتح الذهن على آفاق آخرى، وتحريره من التقليد والجمود.

خاتمة:

بعد نهاية ما عرضناه من وقفات علمية ومنهجية لموقف النورسي من الإلحاد، نسجّل بعض النتائج؛ ومن أهمها:

- إنّ الأستاذ النورسي كان مثالا للعالم المهموم بهموم أمته الذي لا يدخر جهدا في الدفاع عن هويتها الإسلامية وعقيدتها الإيمانية؛ فألف وكتب ونشر العلم وبذل في ذلك النفس والنفيس فلم تأخره مخططات الأعداء ولم ترهبه كثرتهم بل سعى بما يملكه من قوة اللسان والقلم للتبليغ وإقامة الحجة على الملحدين.
- اهتم الأستاذ النورسي بقضية إنكار وجود الله تعالى اهتماما كبيرا استغرقت مؤلفات مستقلة مثل رسالة الطبيعة؛ والتي خصها للرد على الطبيعيين كما اهتم ببيان حقيقة الإلحاد والذي يعده محض عدم ونفي لا يقوم على دليل يستسيغه العقل والأمر ذاته لما اهتم ببيان التصور الإسلامي لمفهوم الطبيعة المخلوقة لله تعالى والمطبعة لا الطابعة على حد تعبيره؛ موضحا الأوهام التي وقع فيها الماديون الحمقى.
- ترتكز منهجية الأستاذ النورسي في الرد على الطبيعيين على مخاطبة كل من العقل والقلب ليمتزج في الخطاب النورسي الوعظ والحجاج؛ وهو ما يكسب هذا الخطاب قوة ومتانة تصمد أمام شبهات وملحدي هذا العصر خاصة.
- كما يلاحظ تنوع الأساليب والأدوات المعتمدة في الرد مثل أداة القياس التمثيلي وطريقة السبر والتقسيم؛ فضلا عن مهارة الجدل والمناظرة وهو ما يكسب رد الأستاذ النورسي مرونة وحيوية عالية تجعل من خطابه أقرب إلى إقناع المخالف، والخروج به من ظلمات الوهم إلى نور العلم والفهم السليم بعيدا عن الإفراط والتفريط.

* * *

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم، مصحف المدينة النبوية للنشر الحاسوبي، مجمع الملك فهد لطباعة القرآن بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.

ابن فارس **(أحمد)**، مقاييس اللغة، دار الفكر للنشر والتوزيع، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، بيروت، 1982م.

ابن منظور (محمد)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1988م.

الأفغاني **(جمال الدين)**، الرد على الدهريين، المكتبة المحمودية، مصر، 1935.

أورخان **(محمد علي)**، رجل القدر في حياة أمة، دار سوزلر، القاهرة، 2004م.

الجويني **(أبو المعالي)**، الكافية في الجدل، مكتبة القاهرة، مصر، 1998.

جيدل **(عمار)**، بديع الزمان النورسي وإثبات الحقائق الايمانية، دار الجزائر، [د.ت].

حبنكة الميداني **(عبد الرحمن)**، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، دار القلم، دمشق، 2011.

رينهارت **(دوزي)**، ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام، ترجمة كامل كيلاني، مؤسسة هنداوي، 2012.

الزناد **(الأزهر)**، دروس في البلاغة العربية نحو رؤية جديدة، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع –الدار البيضاء- بيروت، 1992.

شلبي **(عبد الودود)**، جنرالات تركيا لماذا يكرهون الاسلام، دار البشائر، 2004م.

الشنقيطي **(محمد أمين)**، آداب البحث والمناظرة، دار الرياض، المملكة العربية السعودية، 2001.

صبري **(مصطفى)**، موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، دار التربية، دمشق، 2007/2.

صابان **(سهيل)**، تطور الأوضاع الثقافية في تركيا من عهد التنظيمات إلى عهد الجمهورية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، 1431/1هـ- 2010م.

الصالحي **(إحسان قاسم)**، بديع الزمان سعيد النورسي نظرة عامة عن حياته وآثاره، دار سوزلر، القاهرة، 2010/1م.

الطوفي **(نجم الدين)**، الجذل في علم الجدل، دار النشر لجنة المستشرقين، ألمانيا، 1987.

عبد الحميد **(محسن)**، جهود سعيد النورسي في تجديد الفكر الإسلامي، المؤتمر العالمي لبديع الزمان النورسي، 2000م.

الغزالي **(أبو حامد)**، رسائل الغزالي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م.

النورسي **(بديع الزمان سعيد)**، سيرة ذاتية، دار سوزلر، القاهرة، 2011م.

ـــــــــ، الكلمات، دار سوزلر، القاهرة، 2011م.

ـــــــــ، صيقل الإسلام، دار سوزلر، القاهرة، 2011م.

ـــــــــ، الشعاعات، دار سوزلر، القاهرة،2011م.

ـــــــــ، اللمعات، دار سوزلر، القاهرة، 2011م.

ـــــــــــ، المثنوي العربي النوري، دار سوزلر، القاهرة، 2011م.
وجدي (محمد فريد)، على أطلال المذهب المادي، مكتبة الاقلام، 1998.

* * *

الهوامش:

[1] دكتوراه من جامعة الزيتونة (قسم أصول الدين) بتونس، والمشرف الأكاديمي على القسم العربي بمؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم بتركيا.

[2] اهتم الأفغاني في هذا الكتاب بالرد على طائفة الطبيعيين أو النيتشريين كما يسميهم مخصصا قسما كبيرا من الكتاب لهذا الغرض حيث وضح حقيقة مذهب النيشرية وبين أفكارهم، ومتعرضا لسؤال مدى تعارض القول بـــ الطبيعيّة مع أصول الدين، وهل أنها تفكير جديد أم أنه مذهب قديم. راجع الأفغاني جمال الدين، الرد على الدهريين، المكتبة المحمودية، مصر، 1935، ص11.

[3] خصـــص محمد فريد وجدي هذا الكتاب لقضـــية نقض المذهب المادي، حيث أورد المؤلف فيه أقوال طائفة من كبار الفلاسفة والعلماء على بطلانه، مبينا قصر نظر المتشبثين بالمادية البحتة، والتي يظنون أنها آخر ما يمكن التوصل إليه من حقائق هذا العالم. راجع وجدي محمد فريد، على أطلال المذهب المادي، مكتبة الاقلام، 1998، ص15.

[4] يعد هذا الكتاب من أكثر الكتب قوة في الرد على الملحدين وقد تطرق فيه المؤلف إلى قضـايا عقائدية مختلفة مثل قضـية وجود الله والرسـل وحقيقة الوحي والمعجزات مفندا لأهم المقولات الفلسـفية الغربية في ذلك. راجع مصـطفى صـبري، موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، دار التربية، دمشق، 2007/2، 9/1.

[5] راجع ترجمة بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتية، دار سوزلر، القاهرة، 2011/6، ص5.

[6] جيدل عمار، بديع الزمان النورسي وإثبات الحقائق الايمانية، دار الجزائر، ص38.

[7] راجع صـــابان ســـهيل، تطور الأوضـــاع الثقافية في تركيا من عهد التنظيمات إلى عهد الجمهورية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، 1431/1هـ - 2010م، ص126.

[8] راجع: المرجع نفسه، ص139.

[9] شلبي عبد الودود، جنرالات تركيا لماذا يكرهون الاسلام، [د.ت]، ص43.

[10] رينهارت دوزي: مستشرق هولندي توفي سنة 1883م، اشتهر خصوصا بأبحاثه في تاريخ العرب، وقد أولى اللغة العربية اهتمامًا كبيرًا فاطلع على كثير من كتب الأدب والتاريخ العربي والإســـلامي، ويعد كتابه ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسـلام من أشـهر كتبه المترجمة والتي تضـمنت مقولات مغلوطة تهدف للقدح في الإسـلام والمسـلمين. راجع دوزي رينهارت، ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام، ترجمة كامل كيلاني، مؤسسة هنداوي، 2012، ص8.

[11] راجع أورخان محمد علي، رجل القدر في حياة أمة، دار سوزلر، القاهرة، 2004، ص25.

[12] شلبي عبد الودود، جنرالات تركيا لماذا يكرهون الاسلام، ص41-42.

[13] النورسي، سيرة ذاتية، ص74.

[14] النورسي، صيقل الإسلام، دار سوزلر، القاهرة، 2011/6، ص461.

[15] راجع: المصدر نفسه، ص461-462.

[16] راجع الصالحي إحسان قاسم، نظرة عامة عن حياة بديع الزمان سعيد النورسي، ص39.

[17] ابن فارس أحمد، مقاييس اللغة، دار الفكر للنشـــر والتوزيع، تحقيق وضـــبط عبد الســـلام محمد هارون، بيروت، 1982، 129/6.

[18] ابن منظور محمد، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1988، 339/4.

[19] النورسي، الشعاعات، دار سوزلر، القاهرة، 2011/6، ص131.

[20] المصدر نفسه، ص132.

[21] راجع المصدر نفسه، ص133.

[22] النورسي، الشعاعات، ص133.

[23] المصدر نفسه، ص134.
[24] المصدر نفسه، ص136.
[25] النورسي، اللمعات، ص246.
[26] م ن، ص246.
[27] م ن، ص247.
[28] م ن، ص247.
[29] يقصد"قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ" سورة إبراهيم: 10.
[30] النورسي، اللمعات، دار سوزلر، القاهرة، 2011/6، ص246.
[31] المرجع نفسه، ص246.
[32] المرجع نفسه، ص248.
[33] راجع النورسي، اللمعات، ص246.
[34] النورسي، اللمعات، ص258.
[35] م ن، ص260.
[36] النورسي، المثنوي العربي النوري، دار سوزلر، القاهرة، 2011/6، ص415.
[37] راجع النورسي، صيقل الإسلام، ص117.
[38] الغزالي، رسائل الغزالي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996/2، ص68.
[39] راجع م ن، ص248.
[40] النورسي، اللمعات، ص248.
[41] النورسي، اللمعات، ص251.
[42] النورسي، المثنوي العربي النوري، ص66.
[43] النورسي، اللمعات، ص250.
[44] م ن، ص250.
[45] راجع عبد الحميد محسن، جهود سعيد النورسي في تجديد الفكر الإسلامي، المؤتمر العالمي لبديع الزمان سعيد النورسي، 2000، ص150.
[46] م ن، ص151.
[47] سورة الذاريات: 21.
[48] النورسي، اللمعات، ص252.
[49] م ن، ص253.
[50] المصدر نفسه، ص254.
[51] النورسي، اللمعات، ص255.
[52] النورسي، اللمعات، ص256.
[53] راجع المصدر نفسه، ص286.
[54] هو إلحاق أحد الشيئين بالآخر وذلك بأن يقيس المستدل الأمر الذي يدعيه على أمر معروف عند من يخاطبه أو على أمر بديهي لا تنكره العقول. راجع عبد الرحمن حبنكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، دار القلم، دمشق، 2011، ص167.
[55] هو إثبات مذهب بإبطال نقيضه وذلك بإضافة مقدمة ظاهرة الصدق والحصول على نتيجة ظاهرة الكذب. وتفنيد رأي الخصم بالقول أن النتيجة الكاذبة لا تحصل إلا من مقدمات كاذبة وإحدى المقدمات صادقة فيتعين الكذب في المقدمة الثانية التي هي مذهب الخصم. راجع عبد الرحمن حبنكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، دار القلم، دمشق، 2011، ص168.

[56] الصالحي إحسان قاسم، بديع الزمان سعيد النورسي نظرة عامة عن حياته وآثاره، ص161.

[57] النورسي، صيقل الإسلام، ص103.

[58] يطلق مصطلح السبر والتقسيم ويراد به حصر الأوصاف التى توجد فى الأصل وتصلح للعلية فى بادئ الرأى، ثم إبطال ما لا يصلح منها فيتعين الباقي. راجع محمد أمين الشنقيطي، آداب البحث والمناظرة، دار الرياض، المملكة العربية السعودية، 2001، ص102.

[59] النورسي، اللمعات، ص247.

[60] سورة إبراهيم، الآية: 10.

[61] النورسي، اللمعات، ص245.

[62] النورسي، اللمعات، ص257.

[63] النورسي، الكلمات، دار سوزلر، القاهرة، 2011/6، ص721.

[64] راجع النورسي، اللمعات، ص249.

[65] علم الجدل والمناظرة هو علم يتعلق بالضوابط والقواعد والآداب التي ينبغي أن يتقيد بها المتجادلان حول موضوع معين كي يصلا إلى الصواب. راجع الجويني، الكافية في الجدل، مكتبة القاهرة، مصر، 1998، ص73.

[66] استفهام يفيد موقفاً هو للمتكلم من سامعه، يتمثل في أنه لا يقبل منه مضمون ذلك الاستفهام. وهذا الموقف على درجات أقصاها الإنكار أو التقريع وأدناها العتاب وما بينهما درجات تتلوّن وفق السياق. راجع الأزهر الزناد، دروس في البلاغة العربية نحو رؤية جديدة، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع –الدار البيضاء- بيروت، 1992، ص115.

[67] النورسي، اللمعات، ص 265.

[68] النورسي، اللمعات، ص248.

[69] يطلق مصطلح لازم قزل المخالف ويقصد به كل ما يلزم على كلام المخالف من اللوازم الباطلة، والتي لا يقبلها الشرع ولا العقل. راجع نجم الدين الطوفي، الجذل في علم الجدل، دار النشر لجنة المستشرقين، ألمانيا، 1987، ص32.

[70] النورسي، اللمعات، ص251.

[71] م ن، ص252.

[72] م ن، ص264.

[73] النورسي، اللمعات، ص271.

المقاصد الجزئية للصلاة عند الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي

أ.م.د. حسن محمد إبراهيم
كلية العلوم الإسلامية- جامعة صلاح الدين- أربيل

-ملخص-

فرض الله سبحانه وتعالى الصلاة لأجل تحقيق مقاصد ومصالح عظيمة يرجع نفعها على الإنسان في العاجل والآجل، وقد تحدث العلماء عن بعض مقاصدها وحِكمها قديما وحديثا، ولعلّ من أهم العلماء الذين استوعبوا بيان المقاصد وتفاصيلها الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي-رحمه الله-، فقد بيّن مقصد كل ركن من أركانها، وكل ذكر وارد فيها، وشرح مقاصد آيات سورة الفاتحة التي هي ركن أساس من أركانها، بل توسّع في شأنها فأشار إلى مقاصد مواقيت أداء الصلاة وسر اختيار الشارع لكل ميقات من تلك المواقيت.

حاول الباحث إبراز مسألة المقاصد الجزئية للصلاة وحِكَمها وأسرارها في رسائل النور، وجمع ما ذكره الأستاذ بديع الزمان رحمه الله في بعض رسائله من المقاصد الجزئية في عموم الصلاة وفي أركانها، وفي سورة الفاتحة، وفي اختيار الشارع الحكيم هذه الأوقات لأدائها فيها، ورتبها في مباحث ومطالب مستقلة حسب ما يقتضيه البحث والدراسة.

الكلمات المفتاحية: المقاصد الجزئية- الصلاة- النورسي- رسائل النور.

Partial Objectives Of Prayer According To Ustad Badiuzzaman Said Nursi

Dr. Hasan Mohamed Ibrahim

–Abstract–

Allah the Almighty has imposed prayer in order to achieve great purposes and interests that benefit man in this life and the hereafter. Scholars have spoken about some of its purposes and wisdoms, both in the past and in the present. Perhaps one of the most important scholars who have fully understood the explanation of the purposes and their details is Professor Badi' al-Zaman Said Nursi (may Allah have mercy on him). He explained the purpose of each of its pillars and every mention mentioned in it, and explained the purposes of the verses of Surat Al-Fatihah, which is a fundamental pillar of it. Rather, he expanded on it and pointed to the purposes of the times for performing the prayer and the secret of the Lawgiver's selection of each of those times.

The researcher tried to highlight the issue of the partial purposes of prayer and its wisdom and secrets in the Risale-i Nur. He collected what Professor Badi' al-Zaman (may Allah have mercy on him) mentioned in some of his letters of the partial purposes in the generality of prayer and its pillars, in Surat Al-Fatihah, and in the selection of these times by the Wise Lawgiver for performing it, and arranged them in independent discussions and demands according to what the research and study require.

Keywords: Partial objectives - Prayer - Nursi - Risale-i Nur.

* * *

مقدمة:

إن الصلاة فريضة مهمة في منظومة التشريع الإسلامي؛ إذ هي الركن الثاني من أركان بنيانه، وهي معراج المؤمن، وأول عبادة يحاسب عليها المسلم يوم القيامة بعد الإيمان، وهي باب الدعاء والصلة الدائمة بين العبد وربه، ومن حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة كما نصت الأحاديث الشريفة على ذلك، وهي عنوان المؤمن المطيع، وطريق ضروري وأساسي لمن أراد أن يكون من أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وهي ذروة حضور الحاضرين لميدان الخشوع والحضور.

شُرِعَت هذه الشعيرة العظيمة لتحقيق مقاصد نبيلة وحِكمٍ عظيمةٍ يرجع نفعها في

الدنيا والآخرة إلى العبد، لذلك يجدر بالمسلم حضور القلب فيها طلبا لاكتشاف حِكَمِها وأسرارها-والتحلي بمتطلباتها في جميع ميادين حياته.

بيَّن العلماء بعض مقاصدها وألفوا كتبا مستقلة فيها منذ أن بدأ التأليف والتصنيف، ومن أوائل من صنف فيها الحكيم الترمذي (ت: 320هـ-932م)، حيث ألف كتابه الموسوم بـ: "الصلاة ومقاصدها"، كما ألف سلطان العلماء عز بن عبد السلام(ت: 660هـ- 1262م) كتابا في حِكم ومقاصد الصلاة وسماه: "مقاصد الصلاة"، وألف أيضا الإمام الحافظ قطب الدين أحمد القسطلاني (ت: 686هـ-1287م) وسماه: "مراصد الصلاة في مقاصد الصلاة"، كما وألّف بعض علماء عصرنا في الموضوع، وامتازت رسائل النور عنها بأسلوب صاحبها المشوّق العميق، سهل العبارة دقيق البيان، لذلك كان من المهم بمكان إبراز هذا الجهد المبارك وجمع ما تناثر من معانيه في الرسائل، رجاء أن يكون نافعا لكل من يريد أن يعرف مقاصد الصلاة طمعا في التحلي بمقتضياتها.

اختار الباحث لبلوغ المقصود المنهج الاستقرائي ثم التحليلي، بحيث جمع المقاصد الجزئية المتعلقة بكل ركن وبكل صلاة ووقتها، لأجل الخلوص إلى كلياتها الضابطة لها، ثم حاول شرحها وتحليلها.

ويتضمن البحث ما يأتي بعد مقدمة:

المبحث الأول: مفهوم المقاصد الجزئية ومفهوم الصلاة وأهميتها عند الأستاذ النورسي.

وفيه ثلاثة مطالب: الأول: تعريف المقاصد. الثاني: تعريف المقاصد الجزئية. الثالث: تعريف الصلاة وأهميتها عند الأستاذ النورسي.

المبحث الثاني: المقاصد الجزئية للصلاة عند الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي.

وفيه ثلاثة مطالب: الأول: المقاصد الجزئية المتعلقة بعموم الصلاة.. الثاني: المقاصد الجزئية لأوقات الصلاة. الثالث: المقاصد الجزئية لأركان الصلاة وأذكارها عامة وسورة الفاتحة خاصة.

الخاتمة: ذكر الباحث فيها أهم ما توصل إليه من النتائج.

مفهوم المقاصد الجزئية ومفهوم الصلاة وأهميتها عند الأستاذ النورسي

المطلب الأول: تعريف المقاصد

المقاصد لغة: المقاصد جمع مقصد، وهو مصدر ميمي من الفعل قصد، وتأتي كلمة "قصد" عند أهل اللغة العربية لمعان منها: استقامة الطريق، والاعتدال والتوسط، والعدل والجَور، الاعتماد، والاعتزام، والتوجه والنهود والنهوض نحو الشيء[1]

المقاصد اصطلاحا: عرف العلماء قديما وحديثا مصطلح المقاصد بتعريفات كثيرة متقاربة المضمون والمعنى نختار تعريفا واحدا منها في هذه العجالة، وهو تعريف الشيخ نور الدين الخادمي لكونه أوفق ببحثنا:

وهو يقول: "هي المعاني الملحوظة في الأحكام الشرعية، والمترتبة عليها، سواء أكانت تلك المعاني حكمًا جزئيًا أم مصلحة كلية، أم سمات جمالية، وهي تتجمع ضمن هدف واحد، هو: تقدير عبودية الله، ومصلحة الإنسان في الدارين"[2].

والأستاذ النورسي وإن لم يعرف المقاصد على وجه الخصوص لكنه تحدث عن المقاصد ومشتقاتها في أكثر من مائة موضع في رسائل النور[3] وتناوله بالشرح والتفصيل والبيان، فمرة يتحدث عن المقاصد الربانية والمقاصد الجزئية والمقاصد الدنيوية والمقاصد الأخروية والمقاصد الأصلية والمقاصد التابعة، و أكثر ما ذكره في الرسائل مصطلح المقاصد الربانية العامة من الخلق الذي يعتبر تشريع الأحكام جزءا منها، وأشار بأنه يرجع إلى تحبيب الخالق نفسه إلى خلقه ودفعهم إلى توحيد الحمد والشكر والثناء له تعالى، يقول الأستاذ: " أهم المقاصد الربانية في خلق الموجودات، هو تعريف وتحبيب نفسه سبحانه إلى ذوي الشعور، ودفعهم إلى تقديم حمدهم وشكرهم وثنائهم له وحده".[4]

ويقرر بأن الذين تمسكوا بالشريعة بشكل كامل هم الذين انسجموا مع المقاصد الإلهية إذ مقصد الشارع من انز ال الشريعة للبشر هو الانسجام معها في الحياة وجعلها جزءا من الحركات والسكنات يقول- رحمه الله-: "..هم الذين انسجموا مع المقاصد الربانية، وحبّبوا أنفسهم إليه بالإيمان والتسليم، وجعلهم أولياءه المحبوبين المخاطبين له، أكرمهم بالمعجزات والتوفيق في الأعمال وأدّب أعداءهم بالصفعات السماوية"[5].

المطلب الثاني: تعريف المقاصد الجزئية

عرف بتعاريف كثيرة منها: "هي الحكم والأسرار التي راعاها الشارع في حكم معين

متعلق بالجزئيات.، وعرف أيضا بأنها: علل الأحكام وحكمها وأسرارها".[6]

ومنها أيضا: ما يقصده الشارع من كل حكم شرعي، من إيجاب أو تحريم، أو ندب أو كراهة, أو إباحة أو شرط أو سبب[7] وهي القسم الثالث من تقسيمات المقاصد باعتبار تعلقها بعموم التشريع وخصوصه، وهناك قسيمان آخران له من هذا النوع وهما: المقاصد العامة والمقاصد الخاصة.

ويرى الاستاذ النورسي أن المقاصد الجزئية التي يذكرها الشارع الحكيم يقصد بها أن تتحول إلى مقاصد وقواعد كلية، يقول الاستاذ: " إنّ القرآن الكريم قد يذكر بعضا من المقاصد الجزئية، ثم لأجل أن يحوّل تلك الجزئيات إلى قاعدة كلية ويجيلَ الأذهان فيها يثبّت ذلك المقصد الجزئي ويقرره ويؤكده بالأسماء الحسنى التي هي قاعدة كلية"[8].

وقد أكد هذا المعنى الدكتور نور الدين الخادمي فهو يقول: "المقاصد الجزئية؛ فهو يتمثل في تتبع العلل الكثيرة الثابتة، والواردة في تحديد حكمة واحدة مشتركة؛ فتكون تلك الحكمة بمثابة المقصد الكلي الأصلي، ومثال ذلك: مقصد الأخوَّة ودوام العشرة، المستخرج من علل النهي عن الخطبة، والسوم على السوم، والنهي عن الوقوع في العرض أو المال أو الكرامة بالغيبة أو النميمة والغصب والتغرير وغير ذلك"[9].

المطلب الثالث: تعريف الصلاة وأهميتها عند الأستاذ النورسي

الصلاة عند جمهور الفقهاء: هي أقوال وأفعال مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم مع النية بشرائط مخصوصة. وقال الحنفية: هي اسم لهذه الأفعال المعلومة من القيام والركوع والسجود [10].

وللصلاة مكانة عظيمة في الإسلام، فهي آكد الفروض بعد الشهادتين وأفضلها، وأحد أركان الإسلام الخمسة. [11] وورد في فضلها والحثّ على إقامتها، والمحافظة عليها، ومراعاة حدودها آيات وأحاديث كثيرة ومشهورة. وقد ثبتت فرضيتها بالكتاب والسنة والإجماع.

ويرى الأستاذ بديع الزمان أن الصلاة شعيرة شاملة لجميع أنواع العبادات وهي بمثابة فهرس نوراني شامل لها وخريطة دقيقة تدل عليها قال (رحمه الله): " كما أن الإنسان هو مثال مصغّر لهذا العالم الكبير، وأن سورة الفاتحة مثال منوّر للقرآن العظيم، فالصلاةُ كذلك فهرس نوراني شامل لجميع العبادات، وخريطة سامية تشير إلى أنماط عبادات المخلوقات جميعا"[12].

اهتم الأستاذ كثيرا بالصلوات الخمس، وأوصي ووعظ معظم زوّاره ومن زارهم بأدائها، فعندما كان يتحدث إلى الموظفين والعمال (أثناء تجواله) يلقى عليهم دروساً تناسب عملهم ويوصيهم فيها كثيراً بأداء الصلوات. ويقول لهم: "إن أعمالكم الدنيوية أيضاً تكون أعمالاً مثابة عليها ما أديتم الصلوات".[13] وهذا الكلام لا يختص بهم، بل يعمّ كلّ من بلغه صوته.[14]

ومما يدل على اهتمام الأستاذ بها تضمينها خطابه الذي ألقاه في مجلس الأمة التركي بتاريخ 1923/1/19 وهو محفوظ في سجلات المجلس، وتضمن الخطاب عشر مواد إحدى موادها بيان أهمية الصلاة، لأنه لاحظ أن معظم أعضاء نواب مجلس الأمة آنذاك لا يؤدون الصلاة، واستهل خطابه بقوله: (يا أيها المبعوثون.. إنكم لمبعوثون ليوم عظيم). فقال في النقطة الرابعة من الخطاب: " إنّ الأمة الإسلامية مع أن قسما منهم لا يؤدون الصلاة إلا أنهم يتطلعون أن يكون رؤساؤهم صالحين أتقياء حتى لو كانوا هم فسقة، بل أن أول ما يبادر أهل الولايات الشرقية مسؤوليهم هو سؤالهم عن صلاتهم، فإن كانوا مقيمين لها، فبها ونعمت ويثقون بهم، والا فسيظل الموظف المسؤول موضع شك وارتياب رغم كونه مقتدراً في أداء واجباته".[15]

وحثّ الأستاذ النورسي النواب في هذ الخطاب على إقامتها ووضح لهم أهميتها بسرد حادثة شاهدها في منطقته، فقال: " ولقد حدثتْ في حينه اضطرابات في عشائر (بيت الشباب) فذهبتُ لأستقصي أسبابها، فقالوا: إن مسؤولنا (القائم مقام) لا يقيم الصلاة ويشرب الخمر، فكيف نطيع أوامر أمثال هؤلاء المارقين من الدين؟! هذا علماً إن الذين قالوا هذا الكلام هم أنفسهم كانوا لا يؤدون الصلاة بل كانوا قطاع طرق!"[16]

أثّرَ هذا الخطاب في النواب كثيرا، فأقبل ما يقارب ستين نائبا على أداء الصلاة حتى إن مسجد بناية مجلس الأمة لم يسع المصلين، فانتقلوا إلى غرفة مجاورة أكبر منه. فامتعض(مصطفى كمال) رئيس الدولة آنذاك من هذا المشهد، ولم يرضَ عن هذا البيان – وهو الذي كرر دعوة الأستاذ النورسي إلى أنقرة مراراً لاشتهاره بعدائه للمحتلين الإنكليز ولكون (أنقرة) مركز حركة المقاومة – فاستدعى (النورسي) وجرت بينهما مشادة عنيفة، وكان مما قاله (مصطفى كمال): " لا ريب إننا بحاجة إلى أستاذ قدير مثلك، لقد دعوناك إلى هنا للاستفادة من آرائك المهمة، ولكن أول عمل قمت به لنا هو الحديث عن الصلاة، لقد كان أول جهودك هنا هو بث الفرقة بين أهل هذا المجلس فأجابه (النورسي) مشيراً إليه بأصبعه في حِدَّة: "باشا.. باشا.. إنَّ أعظم حقيقة تتجلى بعد الإيمان

هي الصلاة، وأن الذي لا يصلي خائن، وحكم الخائن مردود"[17].

فمما ذكرنا ثبت مدى اهتمام أن الأستاذ النورسي بالصلاة وأدائها، تقديمها لها على كل شيء، و قد عدّ –كما ذكرنا- التهاون فيها من أسباب نفور الرعية عن الولاة.

ولهذا فإن لمعرفة مقاصدها أهمية بالغة، وأن معرفة أسرارها باعثة على أدائها وعدم التهاون بها.

وقد ذكر الأستاذ مقاصد الصلاة ركنا ركنا، فاشتمل البيان النيات والأفعال والأقوال والأوقات، وسنفرد مقاصد تخصيص الأوقات لها بالتفصيل في مطلب مستقل بإذن الله تعالى.

المبحث الثاني: المقاصد الجزئية للصلاة عند الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي

تناول الأستاذ مقاصد الصلاة ومصالحها الجزئية بتفصيل دقيق، وقسمت هذا المبحث إلى ثلاث مطالب بناء على ما كتبه الأستاذ عن الصلاة ومقاصدها الجزئية، وفي ضوء ذلك ذكرت ما يأتي: المطلب الأول: المقاصد الجزئية المتعلقة بعموم الصلاة. والمطلب الثاني: المقاصد الجزئية لأوقات الصلاة. والمطلب الثالث: المقاصد الجزئية لأركان الصلاة وأذكارها عامة وسورة الفاتحة خاصة.

المطلب الأول: المقاصد الجزئية المتعلقة بعموم الصلاة

ذكر الأستاذ في حديثه عن الصلاة وأهميتها مقاصد كثيرة، نشير إلى بعضها باختصار:

أولا: تحقيق العبودية لله

بيّن الأستاذ بأن الإنسان عندما يقف أمام الخالق الجليل فإنه يخلص العبودية لله ويستصغر في نفسه كل ما يُظنّ أنه مستحق للخضوع والتذلل، قال (رحمه الله): ".. ولأجل ذلك كله يقوم بأداء الصلاة، فيتشرف بالمثول أمام مَن هو المعبود المحبوب الباقي بدلا من المحبوبات الفانية، وينتصب قائما أمام مَن هو القدير الكريم بدلا من جميع العجزة المتسولين، وليسْموَ بالمثول في حضرة مَن هو الحفيظ الرحيم"[18].

وأكّد بأن الصلاة هي أساس العبودية الحقة، قال-رحمه الله-: "إن الصلاة المفروضة التي هي وظيفةُ الفطرة وأساسُ العبودية والدَّين المفروض، لائقة جدا ومناسِبة جدا في أن تكون في هذه الأوقات حقا"[19].

ثانيا: الحفظ واطمئنان النفس

بيّن الأستاذ أن الصلاة إحدى وسائل حفظ النفس واطمئنانها أمام الأرواح غير المرئية (الجن والشياطين)، والتي تخيفها في بعض الاحيان، فضلا عن كونها مبعث الراحة النفسية النافعة في متاعب الحياة وأعبائها، قال-رحمه الله- عن وقت صلاة العشاء: "ليسمو بالمثول في حضرة مَن هو الحفيظ الرحيم لينجو من شر من يرتعد منهم من المخلوقات الضارة".[20]

ثالثا: حسن الخاتمة

عندما تحدث الأستاذ عن آخر صلاة الإنسان(صلاة العشاء) في يومه وقبل نومه التي شبهه الله سبحانه بالموت في آيات عديدة منها في قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى﴾[21]، قرر بأن المقصد من ال من تلك الصلاة الخاتمة في اليوم هو ضمان حسن الخاتمة الدائمة؛ لأن الذي ينام لا يدري أيمهله الله سبحانه وتعالى ليوم آخر أم يقبض روحه، فإذا أدى الصلاة كان آخر شيء في حياته هذه العبادة الجليلة التي شرعها الله سبحانه.

قال-رحمه الله-: "ليقوم بوظيفة عبوديته النهائية قبل الدخول فيما هو مجهول العاقبة، ولا يعرف ما يُفعل به بعده، من نوم شبيه بالموت، وليختم دفتر أعماله اليومية بحسن الخاتمة"[22]

رابعا: الصلاة معراج المؤمن

تُمَثِّلُ الصلاة عند الأستاذ معراجا للعبد، ويتكرّر هذا المعراج في خمس محطات روحية، يقف فيها العبد بين يدي الله سبحانه وتعالى ويستفتح صلاته بالتكبير، فيجد نفسه حاضرا في ديوان السلطان الأعظم لطفا منه وتكرّما، هذا هو المعنى الحقيقي للصلة بين العبد وربه. قال-رحمه الله-: ".. إنّ حقيقة الصلاة التي هي كمعراج المؤمن شبيهة بقبول دخول جندي بسيط إلى ديوان السلطان الأعظم بمحض لطفه-كما ذكر في المثال السابق- فقبولك أيضا إلى المثول أمام جلاله سبحانه إنما هو بمحض لطف الجليل ذي الجمال والمعبود ذي الجلال.

فأنت عندما تقول: الله أكبر. تمضي معنىً وتقطع خيالا أو نيّةً الدنيا والآخرة، حتى تتجرد عن القيود المادية، فتصعد مكتسبا مرتبة عبودية كلية أو ظلاّ من ظلال المرتبة الكلية أو بصورة من صورها، وتتشرف بنوع من الحضور القلبي والمثول بين يديه تعالى

فتنال حظوة عظمى بخطاب ﴿إياك نَعبدُ﴾ كلّ حسبَ درجته.. وهكذا فإن البلوغ إلى ظل أو شعاع من حقيقة الصلاة هذه، معنىً أو نيةً أو تصورا أو خيالا لهو نعمة عظمى وسعادة كبرى." [23]

خامسا: التسبيح والتعظيم والشكر

بيّن الأستاذ أن بذور الصلاة وخلاصتها هذه الكلمات الثلاث التي تنطوي على مخ العبودية والتعظيم للخالق الكريم، فهي بمثابة فهرس عام لجميع العبادات الأخرى. شاهد هذه المعاني قوله: " إن معنى الصلاة هو التسبيحُ والتعظيم والشكر لله تعالى، أي تقديسُه جلّ وعلا تجاه جلالِه قولا وفعلا بقول: "سبحان الله"، وتعظيمُه تجاه كماله لفظا وعملا بقول: "الله أكبر"، وشكرُه تجاه جماله قلبا ولسانا وجسما بقول: "الحمد لله". أي إن التسبيح والتكبير والتحميد هو بمثابة نوى الصلاة وبذورها، فوُجِدتْ هذه الثلاثة في جميع حركات الصلاة وأذكارها. ولهذا أيضا تُكرَّر هذه الكلمات الطيبة الثلاث ثلاثا وثلاثين مرة عقِبَ الصلاة، وذلك للتأكيد على معنى الصلاة وترسيخه، إذ بهذه الكلمات الموجزة المُجمَلة يؤكَّد معنى الصلاة ومغزاها".[24]

سادسا: الصلاة غذاء الروح ووسيلة للنجاة من هموم الدنيا ومتاعبها

الإنسان كائن اجتماعي يصيبه في هذه الدنيا أنواع من الآلام والأحزان نتيجة احتكاكه بمحيطه، فيحتاج إلى ما يغذي روحه ويهدئها، لذلك كان الرسول الأكرم- صلى الله عليه وسلم- يقول لمؤذنه بلال: "يا بلالُ، أقِمِ الصَّلاةَ، أرِحْنا بها"[25]. ويقول: (جُعِلَت قُرَّةُ عَيني في الصَّلاةِ)[26]

قال الأستاذ-رحمه الله-: "إنّ القلب المتعرض لأحزان وآلام لا حدّ لها، المفتونَ بآمال ولذائذ لا نهاية لها، لا يمكنه أن يكسب قوةً ولا غذاء إلاّ بطرق باب الرحيم الكريم، القادر على كل شيء بكل تضرع وتوسل. وإنّ الروح المتعلقة بأغلب الموجودات الآتية والراحلة سريعا في هذه الدنيا الفانية لا تشرب ماء الحياة إلاّ بالتوجه بالصلاة إلى ينبوع رحمة المعبود الباقي والمحبوب السرمدي"[27].

المطلب الثاني: المقاصد الجزئية في أوقات الصلاة.

بيّن الأستاذ أسرار وحكم ومقاصد مواقيت كلّ صلاة من الصلوات الخمس وصلاة العيدين، يرى الأستاذ أن تلك الأوقات بداية انقلاب زمني عظيم ومهم، قرّر هذه الحقائق في الكلمة التاسعة: "أيها الأخ! تسألني عن حكمةِ تخصيصِ الصلاة في هذه الأوقات

الخمسة المعينة، فسنشير إلى حكمةٍ واحدة فقط من بين حِكَمها الوفيرة. نعم كما أن وقت كل صلاة بدايةُ انقلابٍ زمني عظيم ومهم، فهو كذلك مرآة لتصرُّف إلهيّ عظيم، تعكِس الآلاء الإلهية الكلية في ذلك الوقت. لهذا فقد أمر في تلك الأوقات بالصلاة، أي الزيادةِ من التسبيح والتعظيم للقدير ذي الجلال، والإكثارِ من الحمد والشكر لنِعَمه التي لا تُحصى"[28].

لقد استخرج أستاذنا من مواقيت الصلوات مقاصدَ نبيلة، ترجع كلها إلى مصالح العبد الدنيوية والأخروية، وربط بين هاتين المصلحتين ربطا يشوق الإنسان إلى الإقبال على أداء هذه الشعيرة تطلعا لجني ثمارها الكثيرة.

قال-رحمه الله- في الكلمة الحادية والعشرين في المقام الأول: "[إِنّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا][29] قال لي أحدهم يوما وهو كبير سنا وجسما ورتبة: "إنّ أداء الصلاة حسن وجميل، ولكن تكرارها كل يوم، وفي خمسة أوقات كثير جدا فكثرتها هذه تجعلها مملّة!.."

فأجاب عن هذا السؤال مخاطبا نفسه التي بين جنبيه، لأنه عندما أصغى إلى نفسه وجدها تردد هذا الكلام نفسه!! فحاول إصلاح نفسه أولا لأنّ مَن عجز عن إصلاح نفسه فهو عن غيرها أعجزُ، فخاطبتها في خمس تنبيهات:

في التنبيهات الأول والرابع والخامس ربط ثمرة الصلاة وأوقاتها وتكرارها بالمقاصد والمصالح الأخروية، فقال-رحمه الله- في الأول: "يا نفسي الشقية! هل إنّ عمركِ أبديّ؟ وهل عندك عهد قطعي بالبقاء إلى السنة المقبلة بل إلى الغد؟ فالذي جعلكِ تملّين وتسأمين من تكرار الصلاة هو توهمكِ الأبدية والخلود، فتظهرين الدلال وكأنك بترفك مخلّدة في هذه الدنيا. فإن كنت تفهمين أنّ عمركِ قصير، وأنّه يمضي هباء دون فائدة، فلا ريب أنّ صرف جزء من أربعةٍ وعشرين منه في أداء خدمة جميلة ووظيفة مريحة لطيفة، وهي رحمة لك ووسيلة لحياة سعيدة خالدة، لا يكون مدعاة إلى الملل والسأم، بل وسيلة مثيرة لشوق خالص ولذوقٍ رائع رفيع.

وقال في الرابع: "إنّ الصلاة التي هي قوت لقلبك العاجز الفقير وسكينة له في هذا المضيف الموقت وهو الدنيا. وهي غذاء وضياء لمنزلك الذي لابد أنّكِ صائرة إليه، وهو القبر. وهي عهد وبراءة في محكمتك التي لا شك أنكِ تحشرين إليها. وهي التي ستكون نورا وبُراقا على الصراط المستقيم الذي لابد أنّكِ سائرة عليه.. فصلاة هذه نتائجها، هل

هي بلا نتيجة وجدوى؟ أمْ أنها زهيدة الأجرة ؟!"[30]

وقال في الخامس: "يا نفسي المغرمة بالدنيا!.. هل إنّ فتورك في العبادة وتقصيرك في الصلاة ناشئان من كثرة مشاغلك الدنيوية؟ أمْ إنّك لا تجدين الفرصة لغلبة هموم العيش؟! فيا عجبا هل أنتِ مخلوقة للدنيا فحسب، حتى تبذلي كل وقتك لها؟ تأملي، إنّك لا تبلغين أصغرَ عصفور من حيث القدرة على تدارك لوازم الحياة الدنيا رغم أنّكِ أرقى من جميع الحيوانات فطرةً. لِمَ لا تفهمين من هذا أنّ وظيفتكِ الأصلية ليس الانهماك بالحياة الدنيا والاهتمام بها كالحيوانات، وإنّما السعيُ والدأب لحياة خالدة كالإنسان الحقيقي. مع هذا، فإنّ أغلبَ ما تذكرينه من المشاغل الدنيوية هي مشاغل ما لا يعنيك من الأمور.."[31]

وأما في التنبيهين الثاني والثالث، فربط ثمرة الصلاة وتكرارها وأوقاتها بالمقاصد والمصالح الدنيوية قال: "يا نفسي الشرهة! إنكِ يوميا تأكلين الخبز، وتشربين الماء، وتتنفسين الهواء، أمَا يورث هذا التكرار مللا وضجرا؟ كلا، دون شك! لأنّ تكرارَ الحاجة لا يجلب الملل بل يجدّد اللذة. لهذا فالصلاة التي تجلب الغذاء لقلبي، وماء الحياة لروحي، ونسيم الهواء لِلّطيفة الربانية الكامنة في جسمي، لابد أنّها لا تجعلك تملّين ولا تسأمين أبدا." ثم قال:" نعم، إنّ القلب المتعرض لأحزان وآلام لا حدّ لها، المفتونَ بآمال ولذائذ لا نهاية لها، لا يمكنه أن يكسب قوةً ولا غذاء إلاّ بطرق باب الرحيم الكريم، القادر على كل شيء بكل تضرع وتوسل.".

وزاد القضية وضوحا بقوله:" وإنّ الروح المتعلقة بأغلب الموجودات الآتية والراحلة سريعا في هذه الدنيا الفانية، لا تشرب ماء الحياة إلاّ بالتوجه بالصلاة إلى ينبوع رحمة المعبود الباقي والمحبوب السرمدي." وزيادة في البيان والتأكيد، قال(رحمه الله):" وإن السر الإنساني الشاعر الرقيق اللطيف، وهو اللطيفة الربانية النورانية، والمخلوق للخلود، والمشتاق له فطرةً والمرآة العاكسة لتجليات الذات الجليلة، لابد أنّه محتاج أشدَّ الحاجة إلى التنفس، في زحمةِ وقساوة وضغوط هذه الأحوال الدنيوية الساحقة الخانقة العابرة المظلمة، وليس له ذلك إلاّ بالاستنشاق من نافذة الصلاة."[32]

وأتى بتشبيهات عجيبة مرهفة ودقيقة أثناء الحديث عن وقت كل صلاة بحيث يُشعِرُ كلّ إنسان بأن هذه الأوقات حددت لحكم عظيمة لولاها لأصاب حياة الإنسان التقي نقص من حيث تَعَلُّقُه الروحي بالخالق العظيم.

1- مقاصد وأسرار وقت صلاة الفجر

شبّه وقت صلاة الفجر ببداية الربيع وببداية الولادة وباليوم الأول من الأيام الستة في خلق السموات. قال-رحمه الله-: "وقت الفجر إلى طلوع الشمس: يشبه ويذكّر ببداية الربيع وأوله، وبأوان سقوط الإنسان في رحم الأم، وباليوم الأول من الأيام الستة في خلق السموات والأرض، فينبّه الإنسانَ إلى ما في تلك الأوقات من الشؤون الإلهية العظيمة".[33]

ويقرر بأن وقت الفجر بداية عمر جديدة بعد نوم عميق يشبه الموت فعندما يستيقظ العبد ويرى عقبات كثيرة أمامه، فوقت الفجر مناسب لفتح باب الدعاء عليه بالصلاة كي يتسلط على كل العقبات التي قد تعترض طريقه، فيدخل في هذا اليوم الجديد بثقة واطمئنان.

قال-رحمه الله-: "إن الإنسان بفطرته ضعيف جدا، ومع ذلك فما أكثر المنغّصات التي تُورثه الحزنَ والألم. وهو في الوقت نفسه عاجز جدا، مع أن أعداءه ومصائبه كثيرة جدا. وهو فقير جدا مع أن حاجاته كثيرة وشديدة. وهو كسول وبلا اقتدار مع أن تكاليف الحياة ثقيلة عليه. وإنسانيتُه جعلته يرتبط بالكون جميعا مع أن فراقَ ما يحبه وزوال ما يستأنس به يؤلمانه، وعقلُه يُريه مقاصدَ سامية وثمارا باقية، مع أن يده قصيرة، وعمره قصير، وقدرته محدودة وصبره محدود."، لأنّ "روح الإنسان في هذه الحالة: (في وقت الفجر) أحوج ما تكون إلى أن تطرقَ-بالدعاء والصلاة- بابَ القدير ذي الجلال، وباب الرحيم ذي الجمال، عارضةً حالها أمامه، سائلة التوفيق والعون منه سبحانه. وما أشدَّ افتقارَ تلك الروح إلى نقطة استناد كي تتحمل ما سيأتي أمامها من أعمال، وما ستحمل على كاهلها من وظائف في عالم النهار الذي يعقبه. ألا يُفهم ذلك بداهةً؟"[34].

2- مقاصد وأسرار وقت صلاة الظهر

بيّن في الرسائل أنّ وقت صلاة الظهر هو وقت اكتمال النهار وتكامل الأعمال اليومية، ووقت حاجة الروح إلى التنفس والاسترواح من متاعب الحياة، وإسعاف النفس مما أورثته من غفلة وحيرة واضطراب، فضلا عن أنه وقت تظاهر الآلاء الإلهية. وعلاج هذه الحالة الالتجاء إلى الحقّ سبحانه في هذا الوقت، قال-رحمه الله-: "فخلاصُ روح الإنسان من تلك المضايقات، وانسلالها من تلك الغفلة والحيرة، وخروجها من تلك الأمور التافهة الزائلة، لا يكون إلاّ بالالتجاء إلى باب القيوم الباقي-وهو المنعم الحقيقي- بالتضرع والتوسل أمامه مكتوف اليدين شاكرا حامدا لمحصّلة نِعَمه المتجمعة، مستعينا

به وحد.. مع إظهار العجز أمام جلاله وعظمته بالركوع، وإعلان الذلّ والخضوع- بإعجاب وتعظيم وهيام- بالسجود أمام كماله الذي لا يزول، وأمام جماله الذي لا يحول. وهذا هو أداء صلاة الظهر، فما أجمَلها، وما ألذَّها، وما أجدرها، وما أعظم ضرورَتها! ومن ثم فلا يحسبنّ الإنسان نفسه إنسانا إن كان لا يفهم هذا".[35]

3- مقاصد وأسرار وقت العصر

بَيَّنَ الأستاذ مقاصد تخصيص وقت العصر بقوله: " وعند وقت العصر الذي يذكّر بالموسم الحزين للخريف، وبالحالة المحزنة للشيخوخة، وبالأيام الأليمة لآخر الزمان، وبوقت ظهور نتائج الأعمال اليومية، فهو فترة حصول المجموع الكلي الهائل للنعم الإلهية، أمثال التمتع بالصحة والتنعم بالعافية، والقيام بخدمات طيبة. وهو كذلك وقت الإعلان بأن الإنسان ضيف مأمور، وبأن كل شيء يزول، وهو بلا ثبات ولا قرار، وذلك بما يشير إليه انحناء الشمس الضخمة إلى الأفول."

و تتمة بيان هذه المعاني والإشارات قوله: "روح الإنسان التي تنشُد الأبديةَ والخلود، وهي التي خُلقت للبقاء والأبد، وتعشق الإحسان، وتتألم من الفراق، تُنهض بهذا الإنسان ليقومَ وقت العصر ويُسبغ الوضوء لأداء صلاة العصر، ليُناجي متضرعا أمام باب الحضرة الصمدانية للقديم الباقي وللقيوم السرمدي"، ملتجئا " إلى فضل رحمته الواسعة، وليقدم الشكر والحمد على نعمه التي لا تحصى، فيركع بكل ذلٍّ وخضوع أمام عزة ربوبيته سبحانه ويهوي إلى السجود بكل تواضع وفناء أمام سرمدية ألوهيته، ويجد السلوان الحقيقي والراحة التامة لروحه بوقوفه بعبودية تامة وباستعداد كامل أمام عظمة كبريائه جلّ وعلا. فما أسماها من وظيفةٍ تأديةُ صلاة العصر بهذا المعنى! وما أليَقها من خدمة! بل ما أحقَّه من وقتٍ لقضاء دَين الفطرة، وما أعظمَه من فوزٍ للسعادة في منتهى اللذة! فمن كان إنسانا حقا فسيفهم هذا".[36].

4- مقاصد وأسرار وقت المغرب

وذكر أنّ مقاصد تخصيص وقت المغرب بالصلاة، هو تذكير بوقت دخول الإنسان القبر وفراقه جميع أحبابه وبوفاة الدنيا وانتقال ساكنيها إلى عالم آخر ونهاية دار الامتحان ويذكر بإنذار قويّ لعاشقي الدنيا: "لأجل أداء صلاة المغرب في مثل هذا الوقت يولّي وجهه إلى عرش عظمة مَن هو قديم لم يزل، ومن هو باقٍ لا يزال، ومَن هو يدبر أمر هذه العوالم الجسيمة ويبدّلها، فيدوّي بصوته قائلا: "الله أكبر" فوق رؤوس هذه المخلوقات الفانية، مُطلقا يده منها، مكتوفا في خدمة مولاه الحق منتصبا قائما عند مَن

هو دائم باقٍ جل وعلا ليقول: "الحمد لله" أمام كماله الذي لا نقص فيه، وأمام جماله الذي لا مثيل له، واقفا أمامه مُثنيا رحمته الواسعة ليقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾"..[37]

5- مقاصد وأسرار وقت العشاء

وقت صلاة العشاء يذكر بانتهاء آثار الإنسان وانسداد أبواب دار الامتحان نهائيا، شاهد هذه المعاني قوله-رحمه الله-: "أما وقت العشاء: فيذكّر بغَشَيان عالم الظلام وسَتره آثارَ عالم النهار بكَفنه الأسود، ويذكّر أيضا بتغطية الكفن الأبيض للشتاء وجه الأرض الميتة، وبوفاة حتى آثار الإنسان المتوفى ودخولها تحت ستار النسيان، وبانسداد أبواب دار امتحان الدنيا نهائيا، ويعلن في ذلك كله تصرفات جلالية للقهار ذي الجلال"[38].

ويبين أن وقت صلاة العشاء يشير إلى التصرفات الربانية، والإجراءات الإلهية، بالشؤون الإلهية، ويشير إلى موت الدنيا الفانية، وأنه سبحانه وتعالى المالك الحقيقي لهذا الكون الذي غير هذا النهار الساطع إلى هذا الليل الدامس، يقول رحمه الله: "وعند وقت العشاء ذلك الوقت الذي تغيب في الأفق حتى تلك البقية الباقية من آثار النهار، ويخيّم الليل فيه على العالم، فيذكّر بالتصرفات الربانية لـ"مقلّب الليل والنهار" وهو القدير ذو الجلال في قلبه..

ويذكّر كذلك بالإجراءات الإلهية لـ"مسخّر الشمس والقمر" وهو الحكيم ذو الكمال في قلبه الصحيفة الخضراء المزيّنة للصيف إلى الصحيفة البيضاء الباردة للشتاء."، كما "يذكّر كذلك بالشؤون الإلهية لـ"خالق الموت والحياة" بانقطاع الآثار الباقية-بمرور الزمن- لأهل القبور من هذه الدنيا وانتقالها كليا إلى عالم آخر. فهو وقت يذكّر بالتصرفات الجلالية، وبالتجليات الجمالية لخالق الأرض والسموات، وبانكشاف عالم الآخرة الواسع الفسيح الخالد العظيم، وبموت الدنيا الضيقة الفانية الحقيرة، ودمارها دمارا تاما بسكراتها الهائلة." ومنها أنها "فترة-أو حالة- تُثبت أن المالك الحقيقي لهذا الكون بل المعبود الحقيقي والمحبوب الحقيقي فيه لا يمكن أن يكون إلاّ مَن يستطيع أن يقلّب الليل والنهار والشتاء والصيف والدنيا والآخرة بسهولة كسهولة تقليب صفحات الكتاب، فيكتب ويُثبت ويمحو ويبدّل، وليس هذا إلاّ شأن القدير المطلق النافذ حكمُه على الجميع جلّ جلاله".[39] إنّه وقت اللجوء إلى الله للخروج من الحيرة التي تصيب الإنسان بعد نصب اليوم المعبّر عن نصب الدنيا.[40]

المطلب الثالث: المقاصد الجزئية لأركان الصلاة وأذكارها عامة وسورة الفاتحة خاصة

المسألة الأولى: المقاصد الجزئية لأركان الصلاة وأذكارها

تناول الأستاذ بديع الزمان المقاصد الجزئية لأركان الصلاة عموما بشكل دقيق بحيث وقف على عشرات المقاصد العظيمة لاختيار الشارع هذه الأنواع من الهيئات والأذكار في الصلاة أشير إلى بعضها:

أولا: يحقق المصلي بتكبيرة الإحرام وتكبيرات الانتقال مقصد التقديس والتعظيم والشكر له سبحانه، وهي المقاصد والمعاني التي وضعت الصلاة لأجلها، قال (رحمه الله):

"إن معنى الصلاة هو التسبيحُ والتعظيم والشكر لله تعالى، أي: تقديسُه جلّ وعلا تجاه جلالِه قولا وفعلا بقول: "سبحان الله"، وتعظيمُه تجاه كماله لفظا وعملا بقول: "الله أكبر"، وشكرُه تجاه جماله قلبا ولسانا وجسما بقول: "الحمد لله".[41]

ويرى الأستاذ بأن هذا الذكر المبارك كلمة "الله أكبر" وتكرارَها في حركات الصلاة وأفعالِها عنوان لمجمل كمالات كبرياء الله تعالى، وفيه إشارة إلى قطع مرتبة من مراتب المعراج، ووسيلة للرقي المعنوي حال استحضار المعاني العظيمة وانطباعها في النفس، وهي من المعاني التي تثوي في هذا الذكر العظيم. شاهد ذلك قول الأستاذ (رحمه الله):

"حقا إن كلمة "الله أكبر.. الله أكبر" وتكرارَها في حركات الصلاة وأفعالِها هي إشارة لقطع المراتب والعروج إلى مراتب الرقي المعنوي، والصعود من الدوائر الجزئية إلى الدوائر الكلية، فهي عنوان لمجمل كمالات كبرياء الله سبحانه، والتي هي خارج نطاق معرفتنا، وكأنّ كلَّ كلمة من "الله أكبر" إشارة إلى قطع مرتبة من مراتب المعراج. وهكذا فإن البلوغ إلى ظل أو شعاع من حقيقة الصلاة هذه، معنىً أو نيةً أو تصورا أو خيالا لهو نعمة عظمى وسعادة كبرى."[42]

تستدعي سلطنة الربوبية الإنسان إلى عبادة الله وطاعته، وتتطلّب قدسيته تنزيهها من كل نقص وتقديسه من جميع تقصيرات الكائنات ونقائصها، قال الأستاذ: " قدرة الربوبية الكاملة تتطلب من العبد أيضا أن يلتجئ إليها، ويتوكل عليها لرؤيته ضعفَ نفسه الشديد وعجزَ المخلوقات قائلا "الله أكبر" بإعجاب وتقدير واستحسان تجاه عظمة آثار القدرة الصمدانية، ماضيا إلى الركوع بكل خضوع وخشوع".[43]

ثانيا: الركوع

إنّ تشريع الركوع يخدم المعاني والمقاصد الجزئية للصلاة، لأنّها هيئة إظهار العجز والضعف والفقر أمام كبرياءه سبحانه. ذلك أنّه "يركع إظهارا لعجزه وضعفه وفقره مع الكائنات جميعا أمام كبريائه سبحانه التي لا منتهى لها، وأمام قدرته التي لا حدّ لها، وأمام عزته التي لا عجز فيها، مسبحا ربّه العظيم قائلا: "سبحان ربي العظيم"[44].

ثالثا: السجود

وتشريع السجود خادم رئيس للمعاني والمقاصد الجزئية، إذ فيه إظهار التذلل بين يدي الله، والفناء في الله، والإعجاب به، والتعظيم والإجلال له، فعندما يتحدث عن الذين أنصتوا إلى المعلم العظيم والأستاذ الجليل ذي الحقيقتين" الرسول" (صلى الله عليه وسلّم) و شاهدوا بوضوح تفاصيلَ فريضة الصلاة وارتقوا في مقاماتها الرفيعة التي تشير إليها أذكارُها وحركاتُها المتنوعة يذكر السجود "..وهَوَوا إلى السجود في محبة مفعمة بالذل والفناء لله، وفي غمرة إعجاب وتعظيم وإجلال".[45]

ويؤكّد هذه الحقيقية وصفه لحال النبي (صلى الله عليه وسلّم) بين يدي مولاه: " ثم يهوي إلى السجود أمام جمال ذاته الذي لا يزول، وأمام صفاته المقدسة التي لا تتغير، وأمام كمال سرمديته الذي لا يتبدل، مُعلنا بذلك حبَّه وعبوديته في إعجاب وفناء وذلٍ، تاركا ما سواه سبحانه قائلا: "سبحان ربي الأعلى" واجدا جميلا باقيا ورحيما سرمديا بدلا من كل فانٍ. فيقدس ربَّه الأعلى المنزه عن الزوال المبرأ من التقصير[46].

ويذكّر الأستاذ الانسان بضرورة استحضار تلك المعاني حال سجوده، ويتأمل مع هذه الحال السجدة الكبرى للمخلوقات، قال (رحمه الله): "فهذا الإنسان الضعيف اقتداءً بتلك المخلوقات، يهوي إلى السجود أمام ديوان الرحمن ذي الكمال والرحيم ذي الجمال قائلا: "الله أكبر" في حبٍّ غامرٍ بالإعجاب وفي فنائيةٍ مفعمة بالبقاء وفي ذلّ مكلّلٍ بالعز"[47].

رابعا: التحيات والتشهد

مثّل هذا الذكر المبارك (التحيات والتشهد) عند الأستاذ أصلا لحوار دار ليلة المعراج بين الذات العلية جل جلاله وبين الرسول (صلى الله عليه وسلَم)، لدى حظوته (صلى الله عليه وسلَم)، بالحضور والخطاب[48] الذي تقدم به إلى الحضرة الإلهية باسم جميع الكون بدل السلام وباسم البشرية جمعاء، بل باسم جميع ذوي الحياة، بل باسم عموم

المخلوقات.. وأن الأمة الإسلامية تردد هذا الكلام المبارك يوميا مرات ومرات في صلواتهم لما فيه من معنى كلي.. وينال كل مؤمن- مهما كانت مرتبته في الإيمان- حظه من هذا الكلام.[49]

وشاهد ما سبقت الإشارة إليه قول الأستاذ: "فعندما كنت أقرأ في التشهد "التحيات.." خطرت معانيها الكلية على روحي فتحولت فجأة- في خيالي- عناصر دنياي الخاصة من تراب وماء و هواء و نور، إلى أربعة ألسن كلية ذاكرة. كل منها يذكر بأحواله: "التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله " بملايين بل ببلايين بل بما لا يعد ولا يحصى من المرات.[50]

والمعنى المقصود من هذا الذكر تقديم مفهوم العبودية بما تحملها من معنى الخضوع والتذلل والفقر.. لجميع المخلوقات كهدية إلى الحق سبحانه.

قال الأستاذ: "وهكذا، فالعبد العاجز عندما يقول في الصلاة: "التحيات لله ينوى بها: "إنني أرفع إليك يا إلهي باسمي هدايا العبودية لجميع المخلوقات، التي هي حياتها. فلو كنتُ أستطيع أن أقدم التحيات إليك يا ربي بعددهم لما أحجَمتُ ولا ترددت، فإنك أهل لذاك، بل أكثر. فهذه النية الصادقة والاعتقاد الجازم، هي الشكر الكلي الواسع".[51]

المسألة الثانية: المقاصد الجزئية لسورة الفاتحة

أولى الأستاذ اهتماما بالغا لبيان المقاصد والمعاني الجزئية التي تتضمنها هذه السورة المباركة التي جُعلت قراءتها ركنا أساسيا من أركان الصلاة، وتبطل الصلاة عند عدم قراءتها عند جمهور العلماء [52] مستدلين بقول الرسول الأكرم (صلى الله عليه سولم): (لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب)[53].

تمثِّلُ سورة الفاتحة مثالا مصغرا ومنورا للقرآن الكريم، فـ"كما أن الإنسان هو مثال مصغّر لهذا العالم الكبير، وأن سورة الفاتحة مثال منوّر للقرآن العظيم"[54].

تشير سورة الفاتحة إلى أركان الإيمان الستة، ويذكر الأستاذ في مقدمة بيان معاني آيات تلك السورة أنّه..اضطر-من جهة- إلى كتابة تفكره في الصلاة لإشارات تلك الخلاصة القرآنية الطيبة إلى أركان الإيمان وحججه فقط[55].

وإنّ الآية الأخيرة منها منبع لجميع الموازنات والمقايسات المعقودة في رسائل النور، لأن حقيقة واحدة من آية الختام لسورة الفاتحة تشير إلى الموازنة بين أهل الهداية والاستقامة وأهل الضلالة والطغيان. والآية هي منبع جميع الموازنات والمقايسات

المعقودة في رسائل النور.[56]

والإحاطة بكلّ المقاصد الجزئية لهذه السورة المباركة لا يسعه بحث جزئي، لهذا سأشير إلى بعضها، وخاصة البسملة عند القائلين بأنّها آية من الفاتحة.

أولا: المقاصد الجزئية في "بسم الله الرحمن الرحيم"

أجمع العلماء على أن "بسم الله الرحمن الرحيم" جزء من آية (30) من سورة النمل، وأجمعوا أيضًا على أنها ليست آيةً من سورة التوبة[57]، واتفق الشافعية على أنها آية من سورة الفاتحة[58]

وينقل الأستاذ عن الإمام الشافعي وبعض المجتهدين-رحمهم الله- بأن البسملة رغم أنها آية واحدة فإنها نزلت في القرآن مائة وأربع عشرة مرة" [59] لذلك درسناها من ضمن المقاصد الجزئية لسورة الفاتحة.

وقد خصص لها الأستاذ الكلمة الأولى من كتاب الكلمات والمقام الثاني من اللمعة الرابعة عشر بيانا منه لمقاصد وفضائل هذه الآية الكريمة، وقد سرد شيئا من تلك المعاني في مواضع كثيرة من الرسائل. نكتفي بالإشارة إلى بعضها:

قال (رحمه الله): "هذه الكلمةَ الطيبة المباركة كما أنها شعارُ الإسلام، فهي ذكرُ جميعِ الموجودات بألسنةِ أحوالها.. نعم، إن هذه الكلمة الطيبة "بسم الله" كنز عظيم لا يفنى أبدا، إذ بها يرتبط "فقرُك" برحمة واسعة مطلقة أوسعَ من الكائنات، ويتعلق "عجزُك" بقدرة عظيمة مطلقة تمسك زمام الوجود من الذرات إلى المجرات، حتى إنه يصبح كلّ من عجزك وفقرك شفيعين مقبولَين لدى القدير الرحيم ذي الجلال." [60]

وذكر رحمه الله "أن هناك ثلاث علامات نيرة ساطعة للربوبية على سيماء الكائنات، وعلى قسمات وجه الأرض، وعلى ملامح وجه الإنسان. هذه العلامات الزاهرة والآيات الساطعة متداخل بعضها في البعض الآخر، حتى إن كلا منها يبين نموذج الآخر ومثاله." ثم انتقل إلى سرد جملة من العلامات، مرتبة على النحو الآتي:

العلامة الأولى: هي علامة الألوهية، تلك الآية الكبرى، الساطعة من التعاون والتساند والتعانق والتجاوب الجاري في أجزاء الكون؛ بحيث يتوجه ﴿بسم الله﴾ إليها ويدل عليها. والثانية علامة الرحمانية، تلك الآية العظمى، الزاهرة من التشابه والتناسب والانتظام والانسجام واللطف والرحمة الساري في تربية النباتات والحيوانات؛ بحيث يتوجه ﴿بسم الله الرحمن﴾ إليها ويدل عليها.، والثالثة علامة الرحيمية، تلك العلامة السامية، الظاهرة

من لطائف الرأفة الإلهية ودقائق شفقتها وأشعة رحمتها المنطبعة على سيماء الماهية الجامعة للإنسان، بحيث يتوجه اسم "الرحيم" الذي في ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ إليها ويدل عليها.

ويستشف مما سلف أنّ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ عنوان قدسي لثلاث آيات من آيات الأحدية، حتى إنه يشكل سطرا نورانيا في كتاب الوجود، ويخط خطا ساطعا في صحيفة العالم، ويمثل حبلا متينا بين الخالق والمخلوق. أي أن ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ نزولا من العرش الأعظم يرتبط طرفه ونهايته بالإنسان الذي هو ثمرة الكائنات ونسخة العالم المصغرة، فيربط الفرش بالعرش الأعظم، ويكون سبيلا ممهدا لعروج الإنسان إلى عرش كمالاته.[61]

ثانيا: المقاصد الجزئية في "الحَمْدُ لِلهِ"

يشير الأستاذ إلى أن الحمد لله تتضمن معاني ومقاصد جليلة منها:

إظهار للصفات الكمالية لله تعالى ويبين الأستاذ رحمه الله كيفية دلالتها وبيانها فيقول: وتحقيقه: إن الله سبحانه خلق الإنسان وجعله نسخة جامعة للكائنات، وفهرسة لكتاب العالَم المشتمل على ثمانية عشر الف عالَم، وأودع في جوهره أنموذجا من كل عالَم تجلى فيه اسمٌ من أسمائه تعالى. فاذا صرفَ الإنسان كل ما أُنعِمَ عليه إلى ما خُلِقَ لأجله إيفاء للشكر العرفي- الداخل تحت الحمد- وامتثالاً للشريعة التي هي جلاء لصدأ الطبيعة، يصيرُ كلُّ أنموذجٍ مشكاةً لعالَمِهِ ومرآةً له وللصفة المتجلية فيه والاسم المتظاهر منه. فيكون الإنسان بروحه وجسمه خلاصةَ عالمَيْ الغيب والشهادة، ويتجلى فيه ما تجلى فيهما. فبالحمد يصير الإنسان مظهراً للصفات الكمالية الإلهية".[62]

ومن مقاصدها أنها ثمن وقدْر لقيمة الآلاء والنعم والإحسانات الاختيارية والإكرامات والضيافات الرحيمية التي غطت سطح الأرض برمته يقول رحمه الله:

"إن إشارة في منتهى الاختصار إلى حجتها الإيمانية هي: إن مبعث الحمد والشكر في الكون؛ هو الآلاء والنِعَم التي تُغدق قصداً.. والإحسانات والهدايا الاختيارية، والإكرامات والضيافات الرحيمة التي غطت سطح الأرض برمّته، بل غمرت الكونَ كله، وأن ما يقدّم لها من أثمان وقدْر لقيمتها هي قول: "بسم الله" بدءً ثم "الحمد لله" ختاماً[63].

ويستفاد من الحمد ربوبية عامة وموجودية المحمود المنعم الرحيم، شاهده قوله (رحمه الله): ".. وهكذا فإن الحمد غير المتناهي المنطلق بألسنة الأحوال والأقوال؛ إزاء

هذه الآلاء الشاملة؛ يبين كالشمس الساطعة ربوبية عامة وموجودية معبودٍ محمودٍ ومُنعم رحيم."[64] كما أنّ سر الحمد رؤية شجرة الإنعام.[65]

ثالثا: المقاصد الجزئية في "رَبِّ الْعَالَمِينَ"

يشير هذا الجزء من هذه الآية الكريمة إلى قلم قدرته وقَدَره الذي يدير شؤون الكون بدقة متناهية وتدبير دقيق، وهي شاهد على وجوب وجود ربّ العالمين ووحدانيته.

قال الأستاذ النورسي (رحمه الله): "إننا نشاهد بأبصارنا أن في هذا الكون ألوفَ العوالم والأكوان الصغيرة، بل ملايين منها، وأغلبها متداخل بعضها في البعض؛ وبرغم أن إدارة كل منها؛ وشرائط تدبير شؤونها متباينة، فإنها تُدار في منتهى التربية والتدبير والإدارة، فالكون كله صحيفة مبسوطة أمام نظره جل وعلا في كل آن، وجميع العوالم تُكتب كسطر بقلم قدرته وقَدَره، وتُجدّد وتُغيّر. فتنبعث شهاداتٌ كلية وجزئية وبعدد الذرات والموجودات الحاصلة من تركّبها، وفي كل لحظة وآن، على وجوب وجود ربّ العالمين ووحدانيته، الذي يدير هذه الملايين من العوالم والكائنات السيالة بربوبية مطلقة ذات علم وحكمة لانهاية لهما وذات عناية ورحمة وسعتا كلَّ شيء.[66]

وقال (رحمه الله) في مقام آخر: "وأنا أفهم من الآية الكريمة الآتي: إنَّ في السماوات ألوفاً من العوالم، ويمكن أن يكون كلُّ نجم في مجموعته، عالَماً بذاته، وإن في الأرض أيضاً كلُّ جنس من المخلوقات كذلك عالَم بذاته، حتى إنَّ كل إنسان عالمٌ صغير، فكلمة ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ تعني: أنَّ كل عالَم يُدار ويُربىّ ويدبّر شؤونُه بربوبيته سبحانه وتعالى مباشرةً".[67]

رابعا: المقاصد الجزئية المستفادة من قوله تعالى: "الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ"

يرى الأستاذ أن في ذكر هذين الاسمين دلالة على أساسَيْ التربية؛ إذ «الرحمن» لكونه بمعنى الرزاق يلائم جلب المنافع؛ و«الرحيم» لكونه بمعنى الغفار يناسب دفع المضار وهما الأساسان للتربية.[68]

خامسا: المقاصد الجزئية المستفادة من قوله تعالى: "مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ"

من المعاني التي تشير إليها هذه الآية وجود الحشر وحياة الآخرة، قال الأستاذ (رحمه الله): "إن جميع الدلائل المشيرة على الحشر والآخرة والشاهدة على حجة «وإليه المصير» في ختام القسم الأول من هذا الدرس، تشهد كذلك على الحقيقة الإيمانية الواسعة التي تشير إليها "مالك يوم الدين".[69]

سادسا: المقاصد الجزئيّة المستفادة من قوله تعالى: "إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ"

من المعاني والقصود التي تشير إليها هذه الآية الكريمة فعالية وخلاقية مهيبتين دائمتين، وربوبية مطلقة رحيمة مدبّرة ضمن هذه الفعالية تستجيب لاستعانات واستغاثات المخلوقات الفعلية والمقالية والحالية تجليات ألوهية مطلقة ومعبودية عامة ضمن هذه الربوبية وضمن مظاهر استجابة كل كائن حي على حدة استجابةً فعلية لمقابلة ألوف الأنماط من العبادات الفطرية والاختيارية،[70]

سابعا: المقاصد الجزئيّة المستفادة من قوله تعالى:"إهدنا الصراط المستقيم" دعاءٌ

يرى الأستاذ أن هذه الآية تشير إلى دعاء جامع وعبودية واسعة وتوحيد وحكمة وتعليم وأخلاق يقول رحمه الله: أن "اهدنا الصراط المستقيم" دعاءٌ جامعٌ وعبودية واسعة؛ كما أنها إشارة إلى حجة في التوحيد وإلى درس في الحكمة وتعليم الأخلاق.[71]

ثامنا: مقاصد ومعاني المستفادة من قوله تعالى:" صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ".

يرى الأستاذ أن هذه الآية الكرية تبيّن الطوائف الأربع المشار إليهم في قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللاهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ﴾ (النساء:69) الذين نالوا في النوع البشري نعمةَ سلوك طريق الاستقامة وهم أصدق نوع البشر وأقومهم سلوكاً وأرفعهم شأناً وهم قد دعوا إلى حقيقة التوحيد وأظهروا صدق دعواهم هم وعدالتهم بمئات الألوف من المعجزات والحجج والكرامات والأدلة والكشفيات التي لاتحد وصدّق دعواهم أغلبُ البشر منذ سيدنا آدم عليه السلام، وإجماعهم في المسائل الإيجابية كالتوحيد ووجوب وجود الخالق؛ لهو حجة قاطعة تزيل كل شبهة.

تاسعا: مقاصد ومعاني المستفادة من قوله تعالى: "غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلا الضَّالِّينَ".

يرى الأستاذ أن هذه الآية تشير على وجود رب حاكم عدل محسن كريم عزيز مدبر مسخر، وذلك لأن المرويات التأريخية المتنوعة للبشرية تشهد أن الله سبحانه وتعالى استجاب دعوة أنبيائه وأولياءه بإنزال الغضب على أعدائهم الكفار في مئات من الحوادث..

قال رحمه الله: "إن تاريخ البشرية والكتب المقدسة، يخبر بالاتفاق إخباراً قاطعاً وبصراحة تامة، استناداً إلى التواتر وإلى الحوادث الكلية الثابتة والمعارف البشرية

والمشاهدات الإنسانية، أن استجابة استمدادات الأنبياء عليهم السلام وهم أصحاب الصراط المستقيم استمداداً غيبياً فوق المعتاد في ألوف من الحوادث، وإنجاز مطالبيهم بذاتها، ونزول الغضب والمصائب السماوية بأعدائهم الكفار في مئات من الحوادث، تدل دلالة قاطعة لا ريب فيها على أن لهذا الكون ولنوع الإنسان الذي فيه؛ رباً حاكماً عادلاً محسناً كريماً عزيزاً مدبراً مسخراً؛ قد منح من لدنه النصر المؤزّر والنجاة[72]

هكذا بين الأستاذ المقاصد الجليلة التي تشير إليها هذه السورة المباركة، لكن مع ذلك نبه على أن تلك المعاني الواسعة لا تُقصد قصداً، وإنما تقصد بصورة تبعية لأن تفاصيل استحضار تلك المعاني في الصلاة قد تورث غفلة عن الصلاة وتخل بسكينة القلب والحضور، يقول رحمه الله: "أرى انه يمكن التفكر بالمعاني الواسعة الرفيعة للتشهد وسورة الفاتحة، ولكن لا تُقصد تلك المعاني قصداً، وإنما بصورة تبعية، إذ الذي يورث الحضور القلبي نوعاً من الغفلة هي تفاصيلها. بينما معانيها المجملة تبدد الغفلة وتنور العبادة والمناجاة وتسطعها. فتظهر إظهاراً تاماً القيم الرفيعة للصلاة والفاتحة والتشهد.[73].

وينبه رحمه الله أيضا إلى قضية مهمة أخرى وهي: عدم استصغار الإنسان للصلاة التي يؤديها دون استحضار جميع أو معظم تلك المقاصد، قال رحمه الله:

"فيا أخي! حذارِ أن تقول "أين صلاتي من حقيقة تلك الصلاة؟" إذ كما تحمل نواةُ التمر في طياتها صفات النخلة الباسقة، الفرق فقط في التفاصيل والإجمال. كذلك صلاة العوام-من هم أمثالي وأمثالُك- فيها حظ من ذلك النور وسر من أسرار تلك الحقيقة، كما هي في صلاة وليّ من أولياء الله الصالحين ولو لم يتعلق بذلك شعوره. أمَّا تَنوُّرها فهي بدرجات متفاوتة، كتفاوت المراتب الكثيرة التي بين نواة التمر إلى النخلة. ورغم أنّ الصلاة فيها مراتب أكثر فإنّ جميع تلك المراتب فيها أساس من تلك الحقيقة النورانية."[74]

هذا ما تسنى للباحث في هذه العجالة استخراجه من الدرر واللآلئ التي أشار إليها الأستاذ النورسي (رحمه الله) من مقاصد ومعاني الصلاة وأبعادها، فضلا عمّا اشتملت عليها من أركان وهيئات وأذكار مندرجة في مقاصد الصلاة وأبعادها النفسية والاجتماعية والتربوية العميقة. وينتظر من الناظر الفاحص فيما كتبنا أن يستثمر هذه المعاني، فتكون الصلاة هادية لطريق بذل المعروف ومدافعة المنكر، ذلك أنّ "الصلاة تنهى عن الفحشاء

والمنكر"، وطلب هذه الثمار فيما كان طريقا إليها، إذ هي وسيلة فعّالة لتهيئة المصلي لنيل أبعادها وثمراتها، تتطلّب في كل الأفعال المرتبطة بالصلاة، سواء التي تكون قبل الصلاة، من نحو طهارة مادية (رفع الخبث، ورفع الحدث أي الوضوء، والغسل، و...)، أو طهارة معنوية، أو أفعال تواكب الصلاة نفسها(الركوع، والسجود، والجلوس، و...)؛ وأقوال مندرجة فيها (التكبير، وقراءة الفاتحة، والسورة بعدها، والتشهّد وما تضمّنه من سلام على رسول الله).

خاتمة:

توصل الباحث في هذا البحث إلى النتائج الآتية:

أولا: يرى الأستاذ بديع الزمان أن الصلاة شعيرة شاملة لجميع أنواع العبادات وهي بمثابة فهرس نوراني شامل لها وخريطة دقيقة تدل عليها، وهي وظيفةُ الفطرة وأساسُ العبودية والدَّين المفروض، وأن أعظم حقيقة تتجلى بعد الإيمان هي الصلاة.

ثانيا: اختار الأستاذ بأن التسبيح والتعظيم والشكر بذور للصلاة، وحقائق عظمى ثلاث لها وخلاصة للصلاة، وأنها تنطوي على مخ العبودية والتعظيم للخالق الكريم فهي بمثابة فهرس عام لجميع العبادات الأخرى وهي لتقوية معنى الصلاة وتعميقه وترسيخه. وهي إجابة قاطعة للأسئلة التي تنشأ من التعجب واللذة والهيبة التي تأخذ بأقطار نفس الإنسان.

ثالثا: للأوقات التي وضعها الشارع الحكيم للصلوات الخمس حِكما ومقاصد عظيمة فكل وقت-من هذه الأوقات الخمسة- بداية انقلابٍ عظيم، ويذكّر بانقلابات أخرى عظيمة، فهو يذكّر أيضا بمعجزات القدرة الصمدانية وهدايا الرحمة الإلهية، سواء منها السنوية أو العصرية أو الدهرية وقد استخرج أستاذنا من تلك الأوقات المحددة مقاصدَ نبيلة يرجع كلها إلى مصالح العبد الدنيوية والأخروية، وربط بين هاتين المصلحتين ربطا يشوق الإنسان إلى الإقبال لأداء هذه الشعيرة تطلعا لجني ثمارها الغفيرة، وأتى بتشبيهات عجيبة مرهفة ودقيقة في أثناء الحديث عن وقت كل صلاة بحيث يحسّ الإنسان بأن هذه الأوقات حددت كل منها لحكم عظيمة لولاها لأصاب نقص في حياة العبد التقي من حيث تعلقاته الروحية مع الخالق العظيم.

فعندما يتحدث عن صلاة الفجر يشبّه وقته ببداية الربيع وببداية الولادة وباليوم الأول من الأيام الستة في خلق السموات.

وعندما يبين مقاصد تخصيص وقت الظهر بالصلاة يقول بأن ذلك الوقت وقت اكتمال النهار ووقت تكامل الأعمال اليومية ووقت حاجة الروح إلى التنفس والاسترواح من متاعب الحياة وإسعاف النفس مما أورثته من غفلة وحيرة واضطراب فضلا من أنه وقت تظاهر الآلاء الإلهية. ويبين أن العلاج لهذه الحالة الالتجاء إلى الحقّ سبحانه في هذا الوقت

ويبين مقاصد تخصيص وقت العصر بأنه يذكّر بالموسم الحزين للخريف، وبالحالة المحزنة للشيخوخة، وبالأيام الأليمة لآخر الزمان، وبوقت ظهور نتائج الأعمال اليومية، فهو فترة حصول المجموع الكلي الهائل للنعم الإلهية، أمثال التمتع بالصحة والتنعم بالعافية، والقيام بخدمات طيبة. وهو كذلك وقت الإعلان بأن الإنسان ضيف مأمور، وبأن كل شيء يزول، وهو بلا ثبات ولا قرار، وذلك بما يشير إليه انحناء الشمس الضخمة إلى الأفول.

وعن مقاصد تخصيص وقت المغرب بالصلاة يقول بأن وقت المغرب يذكّر بوقت دخول الإنسان القبر وفراقه جميع أحبابه وبوفاة الدنيا وانتقال ساكنيها إلى عالم آخر ونهاية دار الامتحان ويذكر بإنذار قويّ لعاشقي الدنيا: "

ويذكّر كذلك بانطفاء مصباح دار الامتحان هذه. فهو وقت إيقاظ قوي وإنذار شديد لأولئك الذين يعشقون لحدّ العبادة المحبوبات التي تغرب وراء أفق الزوال.

ويقرر بأن المقصد من وقت صلاة العشاء هو ضمان حسن الخاتمة؛ لأن الذي ينام لا يدري أيمهله الله سبحانه وتعالى ليوم آخر أم يقبض روحه، فإذا أدى الصلاة كان آخر شيء في حياته هذه العبادة الجليلة التي شرعها الله سبحانه.

رابعا: يبين الأستاذ بأن الحكمة من تكرار الصلاة كل يوم وخمس مرات هو جلب الغذاء للقلب وماء الحياة إلى الروح والهواء للجسم فكما أن الغذاء والماء والهواء لا يمل منها الإنسان ويحتاج إليها دائما كذلك الصلاة، لذلك ينبغي أنلا يمل منها ومن تكرارها.

خامسا: يرى الأستاذ بأن هذا الذكر المبارك كلمة "الله أكبر" وتكرارَها في حركات الصلاة وأفعالِها عنوان لمجمل كمالات كبرياء الله تعالى وفيه إشارة إلى قطع مرتبة من مراتب المعراج ووسيلة للرقي المعنوي بسبب استحضار المعاني العظيمة التي ينطوي عليها هذا الذكر العظيم.

سادسا: يرى الأستاذ أن ذكر التحيات المبارك الذي كان في الأصل حوارا دار ليلة المعراج بين الذات العلية جل جلاله وبين الرسول- صلى الله عليه وسلم-، لدى حظوته بالحضور والخطاب قد تقدم به إلى الحضرة الإلهية باسم جميع الكون بدل السلام وباسم البشرية جمعاء، بل باسم جميع ذوي الحياة، بل باسم عموم المخلوقات.. وأن الأمة الإسلامية تردد هذا الكلام المبارك يوميا مرات ومرات في صلواتهم لما فيه من معنى كلي.. وينال كل مؤمن- مهما كانت مرتبته في الإيمان- حظه من هذا الكلام.

سابعا: ويرى الأستاذ أن سورة الفاتحة هو مثال مصغر ومنور للقرآن الكريم يقول رحمه الله: "كما أن الإنسان هو مثال مصغّر لهذا العالم الكبير، وأن سورة الفاتحة مثال منوّر للقرآن العظيم

ويرى أن هذه السورة المباركة تشير إلى أركان الإيمان الستة وأن الآية الأخيرة منها منبع لجميع الموازنات والمقايسات المعقودة في رسائل النور

ثامنا: خصص الأستاذ الكلمة الأولى من كتاب الكلمات والمقام الثاني من اللمعة الرابعة عشر لبيان مقاصد وفضائل "بسم الله الرحمن الرحيم"، فضلا عن بيانه لها في بعض الأماكن الأخرى من رسائله، ويذكر رحمه الله أنه ظهر له نور ساطع أشرق من أفق رحمة الله في البسملة نحو ثلاثين سرا من أسراره وحاول إحاطته بِسُوْر لكن لم يوفق تماما في مسعاه، فانحسرت الأسرار إلى ستة فقط.

ويرى الأستاذ أن فيها حقيقة كبرى تملأ الكون نورا وضياء وأن الحاجة إليها كالحاجة إلى الطعام والشراب والهواء، وتشد الفرش بالعرش برباط وثيق.. فما من أحد إلاّ وهو بحاجة مسيسة إلى هذه الحقيقة في كل حين، فلو تكررت هذه الحقيقة العظمى ملايين المرات، فالحاجة ما زالت قائمةً باقيةً لا ترتوي. إذ ليست هي حاجة يومية كالخبز، بل هي أيضا كالهواء والضياء الذي يُضطر ويُشتاق إليه كل دقيقة.

ويرى بأن تكرارها ووضعها في أول كل سورة ملاذا وأمانا وملجأ لأهل الإيمان ونجاتا لهم من الشيطان

ويرى أن من مقاصد "الحمد لله" أنها ثمن وقدْر لقيمة الآلاء والنعم والإحسانات الاختيارية والإكرامات والضيافات الرحيمية التي غطت سطح الأرض برمته.

تاسعا: ويرى رحمه الله أن الحمد يشير إلى ربوبية عامة وموجودية المحمود المنعم الرحيم،

وتدل "رَبِّ الْعَالَمِينَ" هذا الجزء من هذه الآية الكريمة على قلم قدرته وقَدَره الذي يدير شؤون الكون بدقة متناهية وتدبير دقيق، وتشهد ذلك على وجوب وجود ربّ العالمين ووحدانيته.

ويرى الأستاذ أن في ذكر هذين الاسمين " الرحمن الرحيم" دلالة على أساسَيْ التربية؛ إذ «الرحمن» لكونه بمعنى الرزاق يلائم جلب المنافع؛ و«الرحيم» لكونه بمعنى الغفار يناسب دفع المضار وهما الأساسان للتربية.

ويرى بأن "إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ" تشير إلى فعالية وخلاقية مهيبتين دائمتين، وربوبية مطلقة رحيمة مدبّرة.

ويرى أن "إهدنا الصراط المستقيم" تشير إلى دعاء جامع وعبودية واسعة وتوحيد وحكمة وتعليم وأخلاق.

ويرى أن "صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ" تبيّن الطوائف الأربع المشار إليهم في قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللاهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ﴾ (النساء:69) الذين نالوا في النوع البشري نعمةَ سلوك طريق الاستقامة وهم أصدق نوع البشر وأقومهم سلوكاً وأرفعهم شأناً.

ويرى أن في قوله تعالى: "غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ" إشارة على وجود رب حاكم عدل محسن كريم عزيز مدبر مسخر، وذلك لأن المرويات التأريخية المتنوعة للبشرية تشهد أن الله سبحانه وتعالى استجاب دعوة أنبيائه وأولياءه بإنزال الغضب على أعدائهم الكفار في مئات من الحوادث..

عاشرا: وفي ختام بيانه لمقاصد الصلاة ووأوقاتها وبيان مقاصد سورة الفاتحة ينبه على أن تلك المعاني الواسعة لا تُقصد قصداً، وإنما تقصد بصورة تبعية لأن تفاصيل استحضار تلك المعاني في الصلاة قد تورث غفلة عن الصلاة وتخل بسكينة القلب والحضور، وينبه رحمه الله أيضا إلى عدم استصغار الإنسان للصلاة التي يؤديها دون استحضار جميع أو معظم تلك المقاصد، بأن يقول: "أين صلاتي من حقيقة تلك الصلاة؟" فيأتي بتشبيه جميل يطمئن إليه القلب والروح فيقول: إذ كما تحمل نواةُ التمر في طياتها صفات النخلة الباسقة، الفرق فقط في التفاصيل والإجمال. كذلك صلاة العوام-من هم أمثالي وأمثالُك- فيها حظ من ذلك النور وسر من أسرار تلك الحقيقة..

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..

قائمة المصادر والمراجع

1. الاجتهاد المقاصدي حجيته ضوابطه مجالاته: د. نور الدين بن مختار الخادمي، سلسلة دورية تصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الدوحة- قطر، العدد: 65، السنة الثامنة عشر، 1419هـ =1998،ط:1.
2. إشارات الاعجاز، تأليف: بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، مصر- القاهرة، الطبعة السادسة، سنة: 2011.
3. البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي المعروف بابن الملقن (ت: 804 هـ)، تحقيق: مصطفى أبو الغيط وعبد الله بن سليمان وياسر بن كمال، ط:1، دار الهجرة للنشر والتوزيع- الرياض-السعودية، 1425هـ/2004.
4. بلغة السالك لأقرب المسالك المعروف بحاشية الصاوي على الشرح الصغير (الشرح الصغير هو شرح الشيخ الدردير لكتابه المسمى أقرب المسالك لِمَذْهَبِ الْإِمَامِ مَالِكٍ)، أبو العباس أحمد بن محمد الخلوتي، الشهير بالصاوي المالكي (ت: 1241هـ)، دار المعارف، بدون طبعة وبدون تاريخ.
5. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري: أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت: 256هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط:1، دار طوق النجاة-مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي-، 1422هـ.
6. دقائق أولي النهى لشرح المنتهى المعروف بشرح منتهى الإرادات، منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتى الحنبلى، (ت: 1051هـ)، عالم الكتب، ط: 1، 1414هـ- 1993م.
7. سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت: 275هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، بدون رقم الطبع وتأريخه.
8. السيرة الذاتية، تأليف: بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، مصر- القاهرة، الطبعة السادسة، سنة: 2011.
9. الشعاعات، تأليف: بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، مصر- القاهرة، الطبعة السادسة، سنة: 2011.
10. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربي، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: 393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة 1407 هـ- 1987 م.
11. علم المقاصد الشرعية، نور الدين بن مختار الخادمي، مكتبة العبيكان، الطبعة: الأولى 1421هـ- 2001م.
12. فتح القدير:كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي المعروف بابن الهمام (ت: 861هـ)، دار الفكر، بدون رقم الطبع وتأريخه.

13. القاموس المحيط، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت: 817هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان الطبعة: الثامنة، 1426 هـ- 2005 م.
14. كشاف القناع عن متن الإقناع: منصور بن يونس بن إدريس البهوتي، تحقيق هلال مصيلحي مصطفى هلال، دار الفكر،1402، بيروت.
15. الكلمات، تأليف: بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، مصر- القاهرة، الطبعة السادسة، سنة: 2011.
16. لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: 711هـ)، دار صادر- بيروت الطبعة: الثالثة- 1414 هـ.
17. اللمعات، تأليف: بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، مصر- القاهرة، الطبعة السادسة، سنة: 2011.
18. المثنوي العربي النوري، تأليف: بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، مصر- القاهرة، الطبعة السادسة، سنة: 2011.
19. المجموع شرح المهذب "مع تكملة السبكي والمطيعي ": أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: 676هـ)، دار الفكر، بيروت بدون طبع، وبدون تأريخ.
20. مسند الامام أحمد بن حبل أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: 241هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط- عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، 1421 هـ- 2001 م.
21. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت:261)، تحيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، بدون رقم الطبع وتأريخه.
22. المصباح المنير: أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المكتبة العلمية – بيروت، بدون رقم الطبع وتأريخه.
23. مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج: لشمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت: 977هـ)، الطبعة الاولى، دار الكتب العلمية، ط:1، سنة: 1415هـ- 1994م.
24. مقاصد الشريعة الإسلامية دراسات في قضايا المنهج ومجالات التطبيق، محمد سليم العوا، دار النشر، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، القاهرة ط:1، 1427ه=ـ 2006 م.
25. المكتوبات، تأليف: بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، مصر- القاهرة، الطبعة السادسة، سنة: 2011.
26. الملاحق، تأليف: بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، مصر- القاهرة، الطبعة السادسة، سنة: 2011.
27. مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، المعروف بالحطاب الرُّعيني المالكي (ت: 954هـ)، الناشر: دار الفكر، ط:3، 1412هـ- 1992م.

28. نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة شهاب الدين الرملي (ت: 1004هـ)، دار الفكر، بيروت، ط: ط أخيرة- 1404هـ/1984م.
29. نيل الأوطار، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: 1250هـ)، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، مصر، ط:1، 1413هـ- 1993م.
نظرية المقاصد عند الامام الشاطبي د. أحمد الريسوني الدار العالمية للكتاب الإسلامي الطبعة: الثانية- 1412 هـ- 1992م.

* * *

الهوامش:

[1] القاموس المحيط للفيروز آبادي 396، الصحاح للجوهري1/ 521، ولسان العرب لابن منظور 3/ 96، المصباح المنير- الفيومي 260.

[2] لاجتهاد المقاصدي: نور الدين بن مختار الخادمي 38.

[3] ينظر: على سبيل المثال لا الحصر الكلمات: 66، و80، و137، و377، و518، والمكتوبات: 274، و390، واللمعات: 125، و539، 545، والشعاعات: 25، و249، وإشارات الاعجاز: 18، و58، و المثنوي العربي النوري: 12، و145، والملاحق: 32، و72، وصيقل الاسلام: 21، و93، 489...

[4] الشعاعات: 25

[5] الكلمات: 110

[6] الشريعة الإسلامية - دراسات في قضايا المنهج والتطبيق 280، والاجتهاد المقاصدي20.

[7] نظرية المقاصد عند الامام الشاطبي: 8

[8] الكلمات: 518

[9] علم مقاصد الشريعة نور الدي بن مختار الخادمي:69.

[10] ينظر: فتح القدير 2 / 409، مواهب الجليل 1 / 377، دار الفكر 1978م مغني المحتاج 1 / 120، كشاف القناع 1 / 221.

[11] قال النبي صلى الله عليه وسلم:" بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ" أخرجه البخاري في صحيحه (10/1) في كتاب الأيمان بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ» برقم: 8

[12] الكلمات: 40

[13] السيرة الذاتية: 580.

[14] راجع المصدر نفسه: 215 فما بعدها..

[15] المثنوي العربي النوري: 206.

[16] المصدر نفسه

[17] السيرة الذاتية: 220.

[18] الكلمات: 45.

[19] الكلمات: 42.

[20] الكلمات: 44.

[21] سورة الأنعام: 60، وقوله [اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ] سورة الزمر:42

[22] الكلمات: 42.

[23] الكلمات: 217.

[24] الكلمات: 39-40. وقال في موضع آخر:.." فتكرار هذه الكلمات وهي حقائق عظمى ثلاث في الصلاة وفي أذكارها إنما هو لتقوية معنى الصلاة وتعميقه وترسيخه. وهي إجابة قاطعة للأسئلة التي تنشأ من التعجب واللذة والهيبة التي تأخذ بأقطار نفس الإنسان" الشعاعات: 277

[25] أخرجه أبوداود في سننه (338/7) في كتاب الأدب في صلاة العتمة برقم: (4985) وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح

[26] أخرجه الإمام أحمد في المسند (305/19) في مسند عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه. وقال ابن الملقن في البدر المنير 1/ 501: إسناده صحيحٌ عن أنس بن مالك -رضي الله تعالى عنه-.

[27] الكلمات: 298، وقال في موضع آخر:" إن الصلاة بذاتها راحة كبرى للروح والقلب والعقل معا. فضلا عن أنّها ليست عملا مرهقا للجسم. وفوق ذلك فإن سائر أعمال المصلي الدنيوية المباحة ستكون له بمثابة عبادة لله، وذلك بالنية الصالحة، فيستطيع إذن أن يحوّل المصلي جميعَ رأسِ مال عمره إلى الآخرة، فيكسبُ عمرا خالدا بعمره الفاني" الكلمات: 17

[28] الكلمات: 39. وقال في موضع آخر:" فكل وقت إذن -من هذه الأوقات الخمسة- بداية انقلابٍ عظيم، ويذكّر بانقلابات أخرى عظيمة، فهو يذكّر أيضا بمعجزات القدرة الصمدانية وهدايا الرحمة الإلهية، سواء منها السنوية أو العصرية أو الدهرية، بإشارات تصرفاتها اليومية العظيمة. أي إن الصلاة المفروضة التي هي وظيفةُ الفطرة وأساسُ العبودية والدَّين المفروض، لائقة جدا ومناسِبة جدا في أن تكون في هذه الأوقات حقا". الكلمات: 42

[29] سورة النساء: 103.

[30] الكلمات: 300.

[31] الكلمات: 301.

[32] الكلمات: 298.

[33] الكلمات: 41.

[34] الكلمات: 42.

[35] الكلمات: 43. وقال أيضا:" أما وقت الظهر: فهو يشبه ويشير إلى منتصف الصيف، وإلى عنفوان الشباب، وإلى فترة خلق الإنسان في عمر الدنيا، ويذكّر ما في ذلك كلّه من تجليات الرحمة وفيوضات النعمة". الكلمات: 41

[36] الكلمات: 43-44.

[37] الكلمات: 44. وفي هذا السياق أمثلة نافعة، يمكن مراجعتها في الصفحة نفسها.

[38] الكلمات: 41.

[39] الكلمات: 45.

[40] راجع: الكلمات: 45-46.

[41] الكلمات: 39.

[42] الكلمات:217.

[43] الكلمات: 40.

[44] الكلمات: 44.

[45] الكلمات: 133.

[46] الكلمات: 45.

[47] نفس المصدر

[48] ينظر: الشعاعات: 641

[49] الملاحق: 388.

[50] الملاحق: 389.

[51] الكلمات:413.

[52] ينظر: الشرح الصغير للدردير مع حاشية الصاوي343/1، ونهاية المحتاج للرملي476/1، وشرح منتهى الإرادات للبهوتي 188/1.

[53] متفق عليه رواه البخاري في صحيحه151/1، في كتاب الأذان، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها، في الحضر والسفر، وما يجهر فيها وما يخافت برقم: 756، ومسلم في صحيحه، 295/1، في كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، وإنه إذا لم يحسن الفاتحة، ولا أمكنه تعلمها قرأ ما تيسر له من غيرها، برقم: 34.

[54] الكلمات:40.

[55] ينظر: الشعاعات:608.

[56] الشعاعات:635.، وقال أيضا في الشعاعات:619:".. فمنبع جميع الموازنات المذكورة في رسائل النور وأساسها ومرشدها هي هذه الآية الكريمة. وحيث إن رسائل النور قد فسرت هذه الآية الكريمة بمئات من موازناتها.

[57] ينظر: نيل الأوطار 2/ 233.

[58] المجموع- للنووي 3/ 289.

[59] اللمعات:138-139.

[60] الكلمات:7.

[61] الكلمات: 522، ينظر أيضا اللمعات: 105، 134. (بتصرف).

[62] إشارات الإعجاز: 25-26.

[63] الشعاعات: 609.

[64] الشعاعات: 609

[65] قال (رحمه الله):" الحمدَ عينُ اللذة. نعم، إن سرَّ الحمد؛ رؤيةُ شجرةِ الإنعام في ثمرة النعمة. فيزول ألمُ تصوّر الزوال فيُلتَذ بنفس الحمد.." المثنوي العربي النوري: 229.

[66] الشعاعات: 609.

[67] المكتوبات: 410. وأضاف في السياق نفسه، فقال (رحمه الله):"وهكذا فإن ﴿الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أيضا جامعةٌ لحقائق كثيرة جداً مثلما ذُكر، وإن أهل الكشف والحقيقة يبينونها بيانات متباينة حسب كشفياتهم."

[68] إشارات الإعجاز: 27.

[69] الشعاعات:612.

[70] الشعاعات:615.

[71] الشعاعات:617.

[72] الشعاعات: 618.

[73] الشعاعات: هامش ص: 620 للمؤلف.

[74] الكلمات: 303.

مسالك التعرف على الرسول صلى الله عليه وسلم في رسائل النور -دراسة تحليلية-

أ.د. أميد نجم الدين جميل المفتي
كلية العلوم الإسلامية- جامعة صلاح الدين- أربيل

-ملخص-

مقام الرسول صلى الله عليه وسلم والشرف وعلو الأخلاق الذي تسنمه بفضل من الله تعالى موضوع بحث طويل، وهو ذو شجون وله نوافذ متعددة.

أبرزالعلماء – كلّ بحسب مكانتهم العلمية وترسّخ الحب في قلوبهم - شيئاً من آثار المعرفية والقلبية الذوقية من التعرّف على النبي الأكرم(صلى الله عليه وسلم).

والبحث كشف لمسالك التعرّف على النبي الأكرم(صلى الله عليه وسلم) فس رسائل النور، وإظهار ما للأستاذ النورسي من مواقف وأبحاث تنمُّ عن رسوخ فهم في بيان مقام الرسول وعلو منزلته (صلى الله عليه وسلم).

تناول في البحث التعريف بمكانة رسول الله صلى الله عليه وسلم في رسائل النور، ثم ذكر وتحليل عدد من التعريفات الواردة فيها عن هذه الشخصية البَهِيَّة صلى الله عليه وسلم، ووقفة مع الشخصية المادية والمعنوية له صلى الله عليه وسلم، وبيان صدقه مع أحقيَّته صلى الله عليه وسلم، والكلام عن مفهوم رحمته صلى الله عليه وسلم وأدلّتها، وكلّ ذلك بقصد الكشف عن منهج رسائل النور في مخاطبة الإنسان في شأن الرسول صلى الله عليه وسلم، وتوظيف الرسائل لعبارات الصلاة والسلام على النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، والتي تتضمّن أسراراً عظيمة حَرِيٌّ بنا الوقوف عليها، ثم انتقلت إلى رد الشبهات المثارة في حقّ الرسول صلى الله عليه وسلم ومنهج إبطالها في رسائل النور، وفضل النبي صلى الله عليه وسلم كما تجلى فيها، وخاصة وقفات الأستاذ النورسي مع

الأثر الذي نصّه: (لولاك لولاك لما خلقت الأفلاك)، وفي الأخير بيّنت أهمية السنة وحكم اتباعها والمنهج في تقرير ذلك.هذه وقفات ليست إلاّ بعض ما حواه المصنّف الرئيس للأستاذ بديع الزمان النورسي عن الرسول ومكانته صلى الله عليه وسلم.

الكلمات المفتاحية: مقام الرسول- مكانة الرسول- رسائل النور- النورسي- السنة النبوية.

Paths to Getting to Know the Messenger, May God Bless Him and Grant Him Peace, in the Risale-i Nur- An Analytical Study

Prof. Dr. Omid Najmuddin Jamil Al-Mufti

–Abstract–

The status of the Messenger, may God bless him and grant him peace, and the honor and high morals that he attained by the grace of God Almighty, is the subject of long research, and it is full of views and multiple windows, and the scholars, each according to his status and place in knowledge, in addition to the love that was rooted in his heart, highlighted what they have, showing what they are in from the spiritual state of the heart, knowledge and pleasure, and this research tries through multiple discussions, to stand with a great scholar of the scholars of Muslims, and he is Badi' al-Zaman Saeed Nursi, may God Almighty have mercy on him, and shows his positions and axes to clarify something of the status of the Messenger and the high status of his position, may God bless him and grant him peace.

The definition of the status of the Messenger of Allah, may Allah bless him and grant him peace, in the Risale-i Nur, then mentioning and analyzing a number of definitions included in it about this personality, may Allah bless him and grant him peace, and a pause with his physical and moral personality, may Allah bless him and grant him peace, and clarifying his truthfulness with his right, may Allah bless him and grant him peace, and talking about the concept of his mercy, may Allah bless him and grant him peace, and its evidence, and the Risale-i Nur method in addressing people regarding the Messenger, may Allah bless him and grant him peace, and in the seventh point the Risale-i Nur employs the phrases of prayers and peace upon the noble Prophet, may Allah bless him and grant him peace, which include great secrets that we should stand on, then in the eighth point the response to the doubts raised about the Messenger, may Allah bless him and grant him peace, and the method of invalidating the doubts in the book of this great scholar (Nursi), and the virtue of the Prophet, may Allah bless him and

grant him peace as it was revealed in the Risale-i Nur, especially the pauses of Professor Nursi with the narration, In which god all mighty says: (If it were not for you, if it were not for you, I would not have created the heavens), and the last point is in clarifying the importance of the Sunnah and the ruling on following it and the method in establishing that. All of this is a drop in the ocean of what is in the book of Badi' al-Zaman Nursi about the Messenger, may Allah bless him and grant him peace, and his status.

Keywords: the status of the Messenger, the position of the Messenger, the Risale-i Nur, Nursi, the Prophetic Sunnah.

* * *

مقدمة:

نحاول في هذا البحث، تسليط الضوء في محاور تخص مسالك بيان شرف الرسول صلى الله عليه وسلم في رسائل النور، ومن حيثيات مختلفة، وبأساليب ومناهج متعددة، يصب جميعها في تقرير الحقائق المتعلقة بالنبوة وأساسها الإيماني وحججها الموافقة للعقول السلمية، فضلا عن بيان أبعادها التربوية في أفقيها العلمي والعملي.

إنّ الرسول صلى الله عليه وسلم النموذج الأكمل في الاقتداء، وهو النور الذي أنار الله به الكائنات، وهو في أعلى مقامات التأسي الشامل للعبادة والصدق والاستقامة والتمسك بالفضائل والخُلُق الرفيع، لأنّه في أعلى مراتب الكمال القلبي والعقلي والعلمي والعملي.

اكتشاف النبي (صلى الله عليه وسلم) في جهود العلماء السابقين يبدأ بمعرفة شخصه الكريم (صلى الله عليه وسلم)، وطريقته وسنته، وهذا لا يعرف إلاّ من جملة معارف علمية مضبوطة، وقد ألّف في هذه المعاني علماء أعلام، والإحاطة بكلّ هذه الجهود صعب، فآثرت تناول الموضوع في رسائل النور؛ نركز فيه على أغلب الحيثيات التي أخدتها الرسائل بعين الاعتبار، نعرّج فيها على التعريف بالنبّي(صلى الله عليه وسلم) ذوقيا كما تبدّى لنا عند الأستاذ في رسائل النور، ننقل التعريف به من خلال نقل رشفات منخرط في مقامات التعريف به (صلى الله عليه وسلم)، معرفة تقتبس من شريعته وسنته تجربة ومشاهدة.

يتعيّن على ما يريد معرفة شرف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن يبدأ أولا بالتعرّف على ذاته الكريمة (صلى الله عليه وسلم)، وفق تجليها في سنته القولية والفعلية والعملية

بل وحتى السكوتية، كما تَبَدَّت لنا في حركاته وسكناته، ولا شكّ أنّ بحثها من الزوايا المشار إليها، تتوزّعه علوم شتى، خاض غمارها كثير من العلماء تأليفاً وتدريساً وقبل ذلك معايشة، بيد أن بحثنا هذا لا يغطي كلّ المجالات السابق ذكرها، بل نقصر جهدنا على محور آخر، ونستعين فيه بشخصية ارتوت من هذا الكوثر الجاري، وذاقت طعم العلم برسول الله (صلى الله عليه وسلم) وسنته وشريعته والعمل بهما، عَلَمٌ كتب عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) مشاهدة ومعايشة تامة، اجتمع التأسي فيها القلب إلى القالب.

يُعَدُّ الأستاذ بديع الزمان النورسي من أهمّ الشخصيات العلمية والعملية التي تتوفّر على ما سبق تقريره، تتجلى في مواقفه العملية التي نقلت إليها من الشهود والنصوص، فقد تجلى في كمالاته في رسائل النور، التي هي رائدة حقل التعريف بشرف الرسول (صلى الله عليه وسلم)، خاصة والأستاذ النورسي عالم السنة معايش لها نَفَسِيًا، مُحِبٌ لها ومدافع قوي عنها في كلّ ميدان، وقد تيسّرت له هذه المهمّة بما له حباه الله به من رسوخ القدم في الحفظ والفهم والتحليل، فضلا عن قدرة عقلية خارقة، ميّزته عن أقرانه من علماء زمانه، تجلت هذه السمات في رسائل النور التي تصدى فيها لكثير من الهجمات التي تعرّض لها شرف الإسلام ونبيّه، فكانت جهودهم أكمل أنموذج في المرافعة عن صرح السنة ومكانة النبوة وصدقها.

عرضت رسائل النور التعريف بالرسول(صلى الله عليه وسلم) وفق رؤية منهجية مضبوطة، حاولنا بيانها ورسم معالمها في عشرة مسالك، واخترنا هذه المسالك وفق منهج مضبوط، رائده بيان سر تكرار تناول شرف الرسول (صلى الله عليه وسلم) في رسائل النور، والوقوف عندها بشيء من التفصيل، وجعلناها موضع دراسة، وأجلنا فيها النظر تَطَلُّبا للمنهج الثاوي فيها.

عرضت النقاط التي وعدت بها وفق ترتيب منهجي استهل بالتعريف بمكانة رسول الله في رسائل النور، ثم ذكرت في المسلك الثاني عدداً من تعريفات الرسول (صلى الله عليه وسلم) في الرسائل، وتأتي وقفة في المسلك الثالث مع الشخصية المادية والمعنوية للرسول (صلى الله عليه وسلم)، وعرضنا بعدها في المسلك الرابع بيان صدقه (صلى الله عليه وسلم) وأحقيَّته، وخصّصت المسلك الخامس للبحث في مفهوم رحمته (صلى الله عليه وسلم) وأدلّتها، ثم أتى الكلام في المسلك السادس عن الرسائل ومنهجها في مخاطبة الإنسان في شأن الرسول (صلى الله عليه وسلم)، أما المسلك السابع فعرضت

فيها توظيف الرسائل لعبارات الصلاة والسلام على النبي الكريم(صلى الله عليه وسلم)، والتي تتضمّن أسرارا عظيمة حَرِيٌّ بنا الوقوف عليها، ثم أفردت المسلك الثامن لموضوع رد الشبهات المثارة في حقّ الرسول (صلى الله عليه وسلم) ومنهج إبطالها، ووقفت في المسلك التاسع على فضل النبي (صلى الله عليه وسلم) كما تجلى في رسائل النور، وخاصة وقفات الأستاذ النورسي مع الأثر الذي نصّه: (لولاك لولاك لما خلقت الأفلاك)، وبيّنت في المسلك الأخير أهمية السنة وحكم اتباعها والمنهج في تقرير ذلك.

المسلك الأول: رسائل النور ومقصد صدق النبوة

تعدّدت زوايا الكتابة عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) واحسنهم قولا من يكتب عن يلفّه تعلّق القلب الأنموذج الأكمل وشوق ملاقاته في مستقر رحمة الله، لأنّ المتحدّث أو الكاتب عن محبّة تامة تسموا روحه بالاهتمام الحِبِّيَّ بما نقلته من أقولاه وأحواله وأفعاله وأعماله، فتنقله من العناية باللفظ إلى العناية بالمعنى، ومن العناية بالأقوال إلى تركيز العناية على الأحوال، فتنقله العناية بالأحوال إلى لب لباب التأسي، وهو طريق معبَّد لتذوّق النُّقْلَة النوعية في مراقي الفلاح، ولا يتأتى الاقتراب من هذه الحياض بغير استحكام الاستعداد العلمي والعملي في الظاهر والباطن.

يلاحظ الناظر في رسائل النور بعين البصيرة أنّها نابعة من معين صافية، تمكن صاحبها جلي علمياً وروحياً وعمليا، أسعفه هذا التمكُّن على العمل الدؤوب للأخذ بأيدي المسترشدين إلى مرضات الله، يداوي جراحهم المعنوية، فيأخذ بأيدهم للتحرّر من الأنانية أو عبادة المصلحة الدنيوية الشخصية.

يشعر قارئ رسائل النور بلذات قلبية عرفانية إيمانية، فضلاً عن اطمئنان وسكون علمي عقلي وقلبي وروحي، وهذا ما يسّر لرسائل النور الانتشار والاشتهار والقبول، فمكانتها بارزة وراسخة حيث توجهت وحلَّت.

والنورسي عندما يتكلم عن حقيقة من الحقائق الإيمانية، مثل حقيقة النبوة والرسالة وصدقها ومكانتها وفضائلها، يشعرك بأنك تسير مع صادق ثابت غير متردد، يريد أن يكون صديقاً حميماً لك ويسعفك على فتح قلبك لتقبّل الأنوار الإلهية والرسائل النبوية، فكلام الأستاذ رشحة من رشحات قلب مطمئن، قلب مليء بالعلم والتقوى والثبات والغيرة على الدين ومبادئه، يسير في أفق مبدأ مضبوط بالتوجيه الإلهي، يتلمّس مرضاة الله في السر والعلن، فكان الأستاذ صادرا عن تجربة السير في تطلّب اليقين، ولهذا امتاز الأستاذ بالرسوخ والثبات، والعشق والشوق، والسكينة والتفاؤل، والدقة والوسعة، فجمع

في مسعاه بين القلب والعقل، والتربية على إشباع مطالب الدنيا من غير غفلة عن التعلّق بالآخرة، فكان خطابه جامعا بين مطالب: الدنيا والآخرة، والفطرة والحقيقة، واليقين والاطمئنان، والشجاعة والمتانة، قال الأستاذ النورسي: (أقول تحديثا بالنعمة وأداءً للأمانة بأني لا أخدعكم، إنما أكتب ما أشاهد أو أتيقن عين اليقين أو علم اليقين) [1].

تمثّل جهوده أوضح بيان لمنزلة الحقائق الإيمانية، فقد أولاها مرتبة عالية، وحقّق القول فيها من حيثيات كثيرة، منها: من حيث إثباتها، وتقريرها، وتوضيحها، وتأصيلها، ونشرها، والاستماع إليها، و...، لأنه ثبت عن النبي (صلى الله عليه وسلم) – قوله لعلي (رضي الله عنه) عندما أرسله لفتح خيبر: ﴿ادْعُهُمْ إلى الإسْلَامِ، وأَخْبِرْهُمْ بما يَجِبُ عليهم مِن حَقِّ اللَّهِ فِيهِ؛ فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بكَ رَجُلًا واحِدًا، خَيْرٌ لكَ مِن أنْ يَكونَ لكَ حُمْرُ النَّعَمِ﴾2، فالهداية إلى الإسلام والعمل به أعظم المهمّات، ومن تبعاتها بيان حقيقة النبوة وصدق النبي الكريم (صلى الله عليه وسلم).

اشتغل الأستاذ النورسي في أفق هذا المسعى النبيل، وبذل فيه جهداً كبيراً، وتيسّرت له هذه المهمّة بالتحكّم في خطّته وأهدافها، فهو يتحرّك من حوي معرفة عمّا يتكلم؟ ولِم يتكلم؟ ومن يحاور؟. ورأس ما يتعيّن إشغال الهمّة به التعريف بمكانة النبوة والأنبياء ومرتبتهما في الإيمان والعقيدة، ووظيفتهما في حياة الإنسان.

إنّ النبوّة هي الوسيلة الأساسية التي تسعف البشر لتلقي الكلام الإلهي بواسطة الأنبياء وما أتوا به من كتب، فضلا عن الربط بين عالمي الشهادة والغيب- وفي صورته الوضاءة الصادقة-.

ألّف الأستاذ النورسي رسائل النور لأجل البرهنة- وهي دليل واحد كما يقوله – على صدق النبي الكريم (صلى الله عليه وسلم)، قال (رحمه الله): (وما رسائل النور بأجزائها التي تزيد على المئة ـ مثلاً ـ، إلاّ برهان واحد فقط على صدق وصواب هذا النبي الحبيب- صلى الله عليه وسلم-)[3].

المسلك الثاني: التعريف بالنبي (صلى الله عليه وسلم):

يحسن الاستهلال ببيان مفردات العنوان أولا، فما التعريف؟، وذكر بهذا الصدد أنّه: (بيان حقيقة الشيء أو إيضاح معناه) [4]، وهو أيضا: (العبارة التي تصف جوهر الشيء)[5]، ونقل أيضا أنّه (بداية العلم ومنتهاه، لأن غايته البحث عن الماهية) [6].

والتعريف من أهم مواضيع علم المنطق، يتوجه إلى تحقيق القول في ركنين أساسيين

هما: التعريف، والاستدلال. والمناطقة يشتغلون على التفكير الصحيح تعريفا وتدريبا، لهذا تراهم منشغلين برسم طريق صناعته، ومن ثمّ وضعوا للتعريف أسساً وشروطاً تضبطه، ومن أبرز مهمّات التعريف تمييز المعرَّف عن غيره، وبيان حقيقة المعرَّف على أتم الأوجه. من هنا اختصر التعريف المقبول في (الجامع المانع)، مفاده جمع ما يخص الشيء المعرَّف، ومنع الأغيار عنه.

وللوصول إلى هذا المبتغى فالتعريف عندهم إمّا يكون بالحَدِّ (للذاتيات والجواهر)، أو الرَّسم (للأوصاف أو الخواص)، وهما على قسمين: التام، والناقص. فالتعريف الأكمل الأحسن الأولى هو ما كان بالحَدِّ التام، الذي يتكون من الجنس القريب والفصل القريب (الإنسان حيوان ناطق)، ثم يأتي بعده رتبة الحَدُّ الناقص الذي يكون بالجنس البعيد والفصل القريب (الإنسان: الجسم الناطق)، ثم الرسم التام المكون من الجنس القريب والعرض الخاص (الإنسان: الحيوان الضاحك)، ثم أخيراً الرسم الناقص المكون من الجنس البعيد والعرض الخاص، أو بالخاصة وحدها(الإنسان: جسم ضاحك)، ومن الرسم الناقص: التعريف بالتشبيه، والتعريف بالقسمة، والتعريف بالمثال[7].

الخلوص إلى التعريف بالشيء يتم بأحد الطرق السابقة لذكر، كما يمكن الحصول عليه بالتعريف اللفظي، مفاده تعريف الشيء بما أوضح عند المتلقي، والذي يمكن أن نمسيه تجوّزا بمرادف المعرَّف (عند القائلين بالترادف)، أو بذكر مثال له، أو بذكر أقسامه، أو بذكر العرض الخاص لهذا الشيء، أو نعتمد على الحسِّ لبيانه وتمييزه، أو بالشرح [8].

المهم في التعريف هو تحقيق الغاية منه، وهي: البيان وإظهار المعرَّف إظهاراً مميزاً عن غيره، يطمئن إليه القلب، ويكون هذا عندما يصف التعريف لنا جوهر المعرَّف وماهيته، أو نصل منه إلى (الجمع والمنع) الذي يطلب في التعريف، سواء طال الكلام أو قصر، وهو التعريف الكفيل بالأخذ بأيدينا ومساعدتنا في بحثنا عن الحقيقة، ويجمع الذهن ولا يشتته، فيقضي على الحيرة في المعرّف.

توخّى الأستاذ النورسي- في رسائل النور – في التعريف بالحقائق الإيمانية الأخذ بأيدي المتلقي إلى الحقيقة، فاختار في توضيحها أسلس العبارة وأبينها، إلاّ أنه لم يراع التسلسل الأولي الحدّ والرسم (بحسب الترتيب المنطقي)، اختار غالبا الرسم الناقص، إذ عَرَّفَ الأشياء بذكر الخواص والأوصاف أي بالخاصة، وهو أحد طرق الصحيحة للتعريف، ويمكن أن يفسّر هذا الاختيار بالأمور هي:

1. إن التعريف بالرسم دون الحدِّ – مع أولوية الحدِّ على الرسم كما سبق- منهج قرآني، فنبي الله موسى "عليه الصلاة والسلام " لما سئل: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يٰمُوسَىٰ﴾، عرف الربَّ تعالى بالرَّسم والخاصة، وقال: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعطَىٰ كُلَّ شَيءٍ خَلقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ (سورة طه: 49-50).

2. إن التعريف بالحدِّ معتمد عند تعريف الجواهروحقيقة الذوات، ومعلوم أن حقيقة مثل كنه الذات الإلهية، أو النبي (صلى الله عليه وسلم) من الحقائق التي لا يمكن الإحاطة بها، فلذلك لا يمكن التعريف لمثل هذه الحقائق الإيمانية بالحدِّ، بل يلائمها التعريف بالرسم، فنذكر الخواص والصفات، وحينذاك نعرف الذات بما في وسعنا ومقدورنا، وهو الذي سار عليه القرآن.

3. إنّ المخاطب في الرسائل هم عموم الناس (وهو منهج القرآن في عرض الحقائق الإيمانية)، إذ هو أسهل أنواع التعريف في شأنهم، وأرجى لحصول الفهم بالنسبة لهم.

غلب على تعريفات الأستاذ النورسي جانب الشرح والتفصيل أو التوضيح بأكثر من كلمة والتوصيف والمثال. فكان نظره منصبًا على الجانب العملي والتماس الثمرة المرجوة من عرض الحقائق الإيمانية، يعرضها في أسلوب مشوّق مقصده معرفة تثمر التزاما، وذلك بإعلام القارئ وربط قلبه بعد المعرفة بمرحلة الذوق، تيسيرا لجني ثمار الحقائق الإيمانية.

فرض تحقيق هذه الغاية تبني التعريف التوصيفي، والعمل على تشغيل حواس الإنسان الظاهرة والباطنة، ولا يخفى أن هذا النوع من التعريف غالبا ما يكون طويلا.

وفق هذا المسلك المشار إليه، عَرَّف النبوة والنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) بأكثر من تعريف، وقد تَتَبَّعْتُ تعريفاته النبي (صلى الله عليه وسلم) في رسائل النور، فوجدت أنها بلغت أكثر من عشرين تعريفاً.

فنبدأ أولاً بما قاله وأورده الأستاذ عن النبوة عموماً، ثم نأتي إلى النبي (صلى الله عليه وسلم)، أي نبدأ من العام وننتهي إلى الخاص.

قال الأستاذ عن منظومة النبوة: (اعلم أن النبوة في البشرية فذلكة الخير، وخلاصة الكمال وأساسه)[9]، وقال أيضاً: (النبوة نواةٌ، أنبتت الشجرةَ الاسلامية بأزاهيرها وثمراتها)[10]، وقال في سياق آخر: (إن النبوة تكليف ثقيل، وعبء عظيم جداً، لا يُحمل

إلاّ بعد نمو الملكات العقلية ونضوجها وتكامل الاستعدادات القلبية) [11]. وقال في شأن الإثبات مركز النبوة وأهميّتها: (إن القدرة الإلهية التي لا تترك النمل من دون أمير، والنحل من دون يعسوب، لا تترك حتماً البشر من دون نبي، من دون شريعة) [12].

بَيَّنَ الأستاذ في موضع آخر أن النبوة أنيس الغيب ونافذة للمستقبل، وهي جانب الحق والحقيقة، فلا يقابلها ويواجهها إلا الضلال [13]، وهي مظهر صفة الربوبية، وجامعة وكلية، وهي مقصد من المقاصد القرآنية الأربعة (الألوهية، والنبوة، والحشر، والعدل والعبادة)[14].

قال إنّها فوق الفلسفة وضوحا ومهمّة، يشهد له قوله: (بينما الذين هم في مسار النبوة: فقد حكموا حكماً ملؤه العبودية الخالصة لله وحده، وقضوا: ان الغاية القصوى للإنسانية والوظيفة الأساسية للبشرية هي التخلق بالأخلاق الإلهية، أي: التحلي بالسجايا السامية والخصال الحميدة ـ التي يأمر بها الله سبحانه ـ، وأن يعلم الانسانُ عجزَه، فيلتجىء إلى قدرته تعالى، ويرى ضعفَه فيحتمي بقوته تعالى، ويشاهد فقره فيلوذ برحمته تعالى، وينظر إلى حاجته فيستمد من غناه تعالى، ويعرف قصوره فيستغفر ربه تعالى، ويلمس نقصه فيسبّح ويقدّس كماله تعالى)[15].

بعد فراغنا من تعريف النبوة وأهميتها، ننتقل إلى تعريف رسائل النور بالنبي (صلى الله عليه وسلم)، تتمحور التعريفات على فكرة تقريب معرفة النبي (المعرَّف) (صلى الله عليه وسلم) لدى جمهور المسلمين ثم الإنسانية، ثم التمييز بين النبي (صلى الله عليه وسلم) وبين غيره شخصية وفكرا وعملاً.

فمن هذا المنطلق قال إنّ النبي (صلى الله عليه وسلم): (هو إمام جميع المرسلين، وقرة عين كلّ الأصفياء، وسلطان جميع المرشدين، وزبدة كلّ المختارين والمقربين، صاحب ألوف المعجزات كشقّ القمر، ونبعان الماء من بين أصابعه الشريفة، ممّا عدا دلائل نبوته وأماراتها التي لا تحصى، ممّا هو محل إجماع أهل الفضل والعلم، وعدا القرآن العظيم الذي هو بحر الحقائق والمعجزة الكبرى، إذ أنه كالشمس الساطعة دليل قاطع على صدق رسالته...)[16].

وقال الأستاذ في موضع آخر بالنبي (صلى الله عليه وسلم): إنّه البرهان الناطق، وهو كذلك المعرِّف عن الله– عندما تحدد لنا المعرفين الثلاثة لربنا تعالى، وهي: الكون، والقرآن، والنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) [17]، وهو صلى الله عليه وسلم: (...أنبل

نتائج الكائنات، وأكمل ثمراتها، والمبلّغ عن خالق الكون، وحبيب رب العالمين) [18]. وهو أيضا: (أفضل ثمرات نوع البشر وأنورَها وأحسنَها وأعظمَها وأشرفَها وألطفَها وأجملَها وأنفعَها هو محمد (صلى الله عليه وسلم))[19].

المسلك الثالث: شخصيّة الرسول صلى الله عليه وسلم بين الظاهر والمعنى:

معلوم أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) فرد من الأفراد، ولد من أبوين معروفين، ونشأ في بيئة معينة، ومر بمراحل العمر المختلفة، بدءاً من الولادة فالرضاعة والطفولة إلى الرشد والكهولة وما بعدها، وتزوج وله أولاد وأحفاد، وأنزل الله عليه الوحي بعد بلوغه الأربعين سنة، ثم لقي الكثير في سبيل دعوته ونشرها واستقام على أمره إلى أن وافاه الأجل، وتوفي ودفن في المدينة المنورة وفي بيته وبجانب المسجد النبوي الشريف، وهذا الجانب هو الجانب المادي من شخصيته (صلى الله عليه وسلم)، وهو الذي يراه المؤمن والكافر على السواء، والبعيد والقريب، والصديق والعدو، وهو جانب خصصت له كثير من الكتب، دُرِس في مختلف العلوم ومن زوايا متعددة، وبأقلام مختلفة الانتماء، فيها الصديق المحب والعدو المبغض، منها ما كتبه أهل الإسلام والمستشرقون، فغطّت سيرته الشريفة، وتاريخ دعوته وتفاصيل شخصيته وحياته.

وبالرغم مما حباه الله به من محامد التفوق بالتأييد الإلهي (المعجزات) في حياته (صلى الله عليه وسلم)، وهو الذي يراه الأستاذ مناسباً لإظهار ما للنبي (صلى الله عليه وسلم) من مكانة سامية، إلاّ أن الأستاذ النورسي لم يكتف بهذا، بل وَسَّعَ دائرة البحث، فبحث في الشخصية المعنوية للنبي (صلى الله عليه وسلم)، فاهتم بالمعنى والمغزى واللُّب أكثر، بل أثبت سمو هذا المجال من حياته (صلى الله عليه وسلم)، لأنه من المعلوم أن التبجيل عندما يتوجه إلى الشخص يتوجه إلى الجانب المعنوي منه ويدعو إلى التفكير فيه.

وضع الأستاذ في المقام المعنوي قاعدة ذهبية، قال الأستاذ: (... إن الباطن أعلى وأتم شعوراً وأقوى حياة، وأزيَن وأعلم وأكمل وأحسن وألطف من الظاهر.. وأن ما على الظاهر من الحياة والشعور والكمال وأمثالها، إنما هو ترشحٌ ضعيف من الباطن....) 20، فهذه قاعدة عامة مناسبة لمختلف مجالات العلوم، ومجال توظيفها يستوعب كل شعب الحياة. ومن مال عن العناية بالمجالات الوظيفية لهذه القاعدة لم يفهم شخصية الرسول (صلى الله عليه وسلم) حق الفهم، وكانت معرفة سطحية به (صلى الله عليه وسلم)، وتؤدي بنا هذه السطحية إلى التجاوزعلى الحقيقة وإساءة الأدب مع حضرته (صلى الله

عليه وسلم).

قال الأستاذ (رحمه الله): (لا تبلغ أحوالُه وأطوارهُ البشرية التي ذكرَتْها كتب السيرة والتاريخ الإحاطة بماهيته الكاملة، ولا تصل إلى حقيقة كمالاته. فأنّى لهذه الشخصية المباركة الذي كان كلٌّ من جبرائيل وميكائيل مرافقين أمينين له في غزوة بدر، أن تنحصر في حالة ظاهرية، أو أن تظهرها بجلاء حادثة بشرية، كالتي وقعت مع صاحب الفرس الذي ابتاع (صلى الله عليه وسلم) الفرس منه، ولكنه أنكر هذا البيع وطلب من الرسول الكريم شاهداً يصدّقه فتقدم الصحابي الجليل ((خزيمة)) بالشهادة له. فلئلا يقع أحدٌ في غائلة الخطأ يلزم من يسمع اوصافه (صلى الله عليه وسلم) البشرية الاعتيادية أن يرفع بصره دوماً عالياً، لينظر إلى ماهيته الحقيقية، وإلى شخصيته المعنوية النورانية الشامخة في قمة مرتبة الرسالة، وإلاّ أساء الأدب، ووقع في الشبهة والوهم)[21].

ولا يعني هذا أن رسائل النور لا تهتم بالجانب المادي من حياة النبي (صلى الله عليه وسلم)، ففي هذا الجانب من شخصيته (صلى الله عليه وسلم) كثير من الحقائق التي ترشدنا إلى الاتباع وتفيدنا في التأثر، ومعرفة الأحكام الشرعية، فهو (صلى الله عليه وسلم) الأسوة في الظاهر والباطن.

استعمل الأستاذ في سياق البيان التفصيلي للشخصية المعنوية للنبي (صلى الله عليه وسلم) التمثيل – وفق معهود الاستعمال القرآني[22]، فأورد مثالين في إثبات الحقائق العميقة وتقريرها، قال بهذا الصدد: (ولإيضاح هذه المسألة تأمل في هذا المثال: نواة للتمر، وضعت تحت التراب فانفلقت عن نخلة مثمرة باسقة، وهي في توسع ونمو مطرد. أو: بيضة للطاووس، فقست عن فرخ الطاووس بعدما سلطت عليها الحرارة، وكلما نما وكبر أصبح أجمل وأزهى، بما زيّن قلمُ القدرة على كل جهاته من نقوش بديعة رائعة." ثم يضيف: "فهناك صفات وحالات خاصة تعود لكل من تلك النواة ولتلك البيضة، ويحوي كل منهما مواد دقيقة لطيفة جداً. والنخلة والطاووس كذلك لهما صفات عالية وكيفيات واوضاع راقية بالنسبة لصفات البذرة والبيضة. فعندما تُربط أوصاف النواة والبيضة بأوصاف النخل والطير وتُذكران معاً، يلزم أن يرفع العقل الإنساني بصره عن النواة إلى النخلة وينظر إليها، وأنْ يتوجه من البيضة إلى الطاووس ويمعن فيه، كي يقبل تلك الأوصاف التي يسمعها. وبخلافه ينساق إلى التكذيب حين يسمع أحدهم يقول: لقد أخذتُ طناً من التمر من حفنة من النوى، أو: هذه البيضة هي سلطان الطيور. وهكذا فإن بشرية الرسول الأكرم (صلى الله عليه وسلم) تشبه تلك النواة أو البيضة ((في المثال))

وماهيته المشعة بمهمة الرسالة مثلُها كمثل شجرة طوبى الجنة وطير الجنة في سمو ورقي)[23].

ورسائل النور غنية بالتعبير عن هذه المعاني، تكاد كلّ الرسائل أن تغطي الجانب المشرق من شخصية النبي (صلى الله عليه وسلم)، فهو(صلى الله عليه وسلم): "الذي لعظمته المعنوية صار سطحُ الأرض مسجده، ومكةُ محرابه، والمدينة منبره"، وهو"إمام جميع المؤمنين يأتمون به صافّين خَلْفَه"، وهو فضلا عن ذلك "خطيب جميع البشر يبيّن لهم دساتير سعاداتهم.. ورئيس جميع الأنبياء يزكّيهم ويصدّقهم بجامعية دينه لأساسات أديانهم.. وسيد جميع الأولياء يرشدهم ويربّيهم بشمس رسالته"، إنّه "قطبٌ في مركز دائرة حلقة ذكر تركّبَت من الأنبياء والأخيار والصديقين والأبرار المتفقين على كلمته الناطقين بها"، وهو "شجرةٌ نورانية عروقُها الحيوية المتينة هي الأنبياء بأساساتهم السماوية، وأغصانها الخضرة الطرية وثمراتها اللطيفة النيّرة هي الأولياء بمعارفهم الإلهامية."

وشخصية بهذه الخلال "يشهدُ له جميعُ الأنبياء مستندين بمعجزاتهم، وجميعُ الأولياء مستندين بكراماتهم. فكأن على كل دعوىً من دعاويه خواتمُ جميع الكاملين، اذ بينما تراه قال: (لا إله الا الله) وادّعى التوحيد فاذا نسمع من الماضي والمستقبل من الصفّين النورانيين- أي شموس البشر ونجومه القاعدين في دائرة الذكر- عينَ تلك الكلمة، فيكررونها ويتفقون عليها، مع اختلاف مسالكهم وتباين مشاربهم. فكأنهم يقولون بالإجماع: "صَدَقت وبالحق نطقت")[24].

ومن ثمرات الشخصية المعنوية للرسول (صلى الله عليه وسلم)، قول الأستاذ النورسي في ظلال قاعدة (السبب كالفاعل): (إن أحوال الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأوصافه قد بُيّنت على شكل سيرة وتاريخ. إلا أن أغلب تلك الأحوال والأوصاف تعكس بشريته فحسب، إذ أن الشخصية المعنوية لتلك الذات النبوية المباركة رفيعة جداً وماهيته المقدسة نورانية إلى حدّ لا يرقى ما ذُكر في التاريخ والسيرة من أوصاف وأحوال إلى ذلك المقام السامي والدرجة الرفيعة العالية، لأنه (صلى الله عليه وسلم) في ضوء قاعدة ((السبب كالفاعل)) تضاف يومياً- حتى الآن- إلى صحيفة كمالاته عبادةٌ عظيمة بقدر عبادات أمته بأكملها. وكما ينال باستعداد غير متناه نفحات الرحمة الإلهية غير المتناهية بشكل غير متناهٍ وبقدرة غير متناهية، كذلك ينال يومياً دعاءً غير محدود ممن لا تحد من أمته)[25].

تأمل معي كم بلغ النبي (صلى الله عليه وسلم) من مراتب معنوية نتيجة تعليمه الأمة المسلمة مداخل الخير كلها ومفاتيحها، بدءاً بقراءة حرف من القرآن، إلى ما نشره من أخلاق فاضلة وسجايا كريمة؟ فله أجره وأجر من عمل بما ذكره من أبواب الخير إلى يوم القيامة.

وكان تأسي الرجال به (صلى الله عليه وسلم) ظاهرا وباطنا سببا في نيل الرتب المعنوية، وبلغوا بها رتبا عظيمة، فكان فيهم العلماء والأولياء والصالحون، فكان تمام الاقتداء به (صلى الله عليه وسلم) مسلكا للترقي المعنوي.

إنّ الاقتداء بالنبي (صلى الله عليه وسلم) طريقا لنيل السرور الدنيوي والأخروي، تدخل محبّته على قلوب العباد الغبطة بما أتت به إلينا يقين، يتجاوز عالم الشهادة إلى ما وراءها من حقائق تخص عاقبة البشرية ومستقبلها، تُرى معاينة كما بيّنها (صلى الله عليه وسلم).

رأى (صلى الله عليه وسلم) الحقائق والأسس الإيمانية بعين اليقين في سفر المعراج و(هذه الرؤية والمشاهدة الحقة وهَبَت للكائنات أجمع وللبشرية خاصة، خزينة عظيمة لا تنفد، ونوراً أزلياً لا يخبو، وهدية أبدية ثمينة لا تقدّر بثمن؛ إذ أخرج ذلك النور الكائنات قاطبة مما يُتوهم أنها تتردى في أوضاع فانية زائلة مضطربة أليمة.. وأظهرها على حقيقتها؛ أنها كتابات صمدانية، ورسائل ربانية قدسية، ومرايا جميلة تعكس جمال الأحدية. مما أدخل السرور والفرح في قلوب جميع ذوي الشعور، بل أبهج الكائنات كلها)[26].

وتمتاز الشخصية المعنوية للنبي (صلى الله عليه وسلم)، بأنّها مصدر معرفة طرق مرضاة الله يقيناً، وهي أبرز ما تتعلّق به همم العقلاء قاطبة.

المسلك الرابع: صدقه وأحقيته صلى الله عليه وسلم:

مسألة صدق (صلى الله عليه وسلم)، وتصديق ما أتى به، تُعَدُّ من المسائل الأساسية التي أولتها رسائل النور عناية فائقة، فهي أهمّ مهماتها، ذلك أنّها مصدر إثبات هذه الحقيقة.

قال الأستاذ: (وما رسائل النور بأجزائها التي تزيد على المائة مثلاً إلاّ برهان واحد فقط على صدق وصواب هذا النبي الحبيب (صلى الله عليه وسلم))[27]. طرق الأستاذ الموضوع في مواطن متعددة في رسائل النور، وأورد في تأييدها بأدلة راسخة، منها على

سبيل الماثل لا الحصر: ما أثبته في المرتبة السادسة عشرة من رسالة (الآية الكبرى) من الشعاع السابع، فقد عرض فيها صدق النبوة، وبيّن أنّ الأدلة عليها كثيرة، خلص فيها إلى تسع، وهي[28]:

1. السجايا الفاضلة والخصال الحميدة للنبي (صلى الله عليه وسلم)، واعترف له بها الأعداء قبل الأصدقاء.

2. القرآن الذي أتى به من الله إلينا، معجزة باهرة من أوجه متعددة، ومعجزاته (صلى الله عليه وسلم) معجزة للقرآن، والقرآن معجزة له كذلك، قال الأستاذ: (فإن القرآن كذلك بجميع معجزاته معجزة للرسول (صلى الله عليه وسلم)، وأن معجزاته (صلى الله عليه وسلم) جميعها أيضاً هي معجزة قرآنية) [29].

3. الشريعة الكاملة التي أتى بها النبي صلى الله عليه وسلم مع كونه أمياً، وهي دين فطري.

4. إجماع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام واتفاقهم على الحقائق الإيمانية التي صدقها النبي (صلى الله عليه وسلم) وجاهد لأجل تقريرها. فجميع ما في الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من الصفات القدسية والمعجزات والمهام يوجد مثلها وبأكمل منها فيه (صلى الله عليه وسلم).

5. وصول الآلاف من الأولياء والصالحين إلى الحق والحقيقة، وما نالوه بالاقتداء به وبتربيته واتباعه وتعقب أثره (صلى الله عليه وسلم).

6. الملايين من العلماء المدققين والمحققين والحكماء، وصلوا إلى ما وصلوا نتيجة تتلمذهم على ما جاء به (صلى الله عليه وسلم).

7. الآل والأصحاب رضي الله عنهم، وهم أكثر الناس فراسة ودراية، وتدقيقهم في تصديقهم له (صلى الله عليه وسلم).

8. الكون وغرائبه يستدعي معبراً لمعانيه ويعلم المقاصد الإلهية فيهويعلِمها، ويبين قيمة الكون وماهيته.

9. هناك من وراء الغيب من هو بديع ومتقن وحكيم ومتصرف للتصرفات العظيمة والفعالية المدهشة، بما له من عظمة يتطلب من الخلق التسليم والانقياد والطاعة لألوهيته، فلا يمكن فهم هذا ومعرفته إلا من عامل مخلص مؤيد منه تعالى يحل سرّ

الكون ويكشف لغزه، وهو الرسول (صلى الله عليه وسلم).

المسلك الخامس: رحمة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، معناها وتقريرها:

أرسل الله تعالى الرسول (صلى الله عليه وسلم) رحمة للعالمين، قال تعالى: **"وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ"** [الأنبياء: 107]، إرساله (صلى الله عليه وسلم) رحمة عامة، فقد وردت بصيغة النكرة لتفيد العموم، أي تستوعب العالمين، فتشمل الإنس والجن وسائر المخلوقات.

استوقفت هذه الحقيقة القرآنية طويلا كثيرا من العلماء، وتنوّعت وقفاتهم معها، فبعضهم قصر جهده على الجانب المادي من حياة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، فتجلت هذه الرحمة المهداة في الموقف من العجزة، والضعفاء، والمرضى،... وسعت رحمته المخالف في الملّة فشملت اليهود والنصارى، والمشركين والكفار، سواء كانوا مسلمين أو محاربين، وتعدّت ذلك لتكون عنوان شمول رحمته، فكان منها رحمته بالزرع والضرع والمياه والآبار...، وقد كان فيها الأنموذج الأكمل في الأدب والرحمة في السم والحرب على السواء[30].

بحث بعض العلماء رحمة النبي(صلى الله عليه وسلم) وتجلياتها في موقف يوم القيامة يوم يقول له ربّه: ﴿قُلْ تُسْمَعْ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ... ﴾[31] .قال الإمام الفخر الرازي في تفسيره: (إنه عليه السلام كان رحمة في الدين وفي الدنيا، أما في الدين؛ فلأنه- عليه السلام- بعث والناس في جاهلية وضلالة، وأهل الكتابين كانوا في حيرة من أمر دينهم لطول مكثهم وانقطاع تواترهم ووقوع الاختلاف في كتبهم فبعث الله تعالى محمدًا (صلى الله عليه وسلم) حين لم يكن لطالب الحق سبيل إلى الفوز والثواب، فدعاهم إلى الحق وبين لهم سبيل الثواب، وشرع لهم الأحكام وميز الحلال من الحرام،...وأما في الدنيا؛ فلأنهم تخلصوا بسببه من كثير من الذل والقتال والحروب ونصروا ببركة دينه)[32].

إن رحمته (صلى الله عليه وسلم) دعوة عملية لتشجيع المكلفين على التراحم فيما بينهم، مما يسترعي فقهها والتصرّف بمقتضاها. لأنّه (صلى الله عليه وسلم) قائل: (من لا يرحم الناس، لا يرحمه الله)[33]، وقال أيضا(صلى الله عليه وسلم): (لا تنزع الرحمة إلاّ من شقي) [34]، و قوله (صلى الله عليه وسلم): (ارحموا من في الأرض، يرحمكم من في السماء)[35].

درس الأستاذ النورسي صفة الرحمة التي ملكت على الرسول (صلى الله عليه وسلم) أنفاسه، أحاط بها النورسي من جوانب متعدّدة، منها:

1- الاستدلال لرحمته (صلى الله عليه وسلم) وتقريرها:

يمثّل الرسول (صلى الله عليه وسلم) أبرز مقرّب لمفهوم الرحمة الواردة في القرآن، تأمّل بعين البصيرة والبصر في أحواله وأقواله وأفعاله وأعماله (صلى الله عليه وسلم)، فتستنتج: (أن رسولنا الأعظم (صلى الله عليه وسلم) ظل في طور بشريته في أفعاله وأحواله وأطواره كلها- فيما سوى معجزاته وخصائصه-، فانقاد انقياد طاعة لسنن الله وأوامره التكوينية، كأي إنسان آخر. فكان يقاسي البرد ويعاني الألم.. وهكذا لم يوهب له خوارق غير عادية في أحواله وأطواره كلها، وذلك ليكون قدوة للأمة بأفعاله، ومرشداً لهم بأطواره، وهادياً للناس كافة بحركاته وسكناته. إذ لو كان خارقاً للعادة في كلّ أطواره، لَمَا تسنّى له أن يكون إماماً للناس كافة، وقدوة لهم في جميع شؤونه بالذات، ولَمَا كان مرشداً للناس كافة، ولما كان رحمةً للعالمين في جميع أحواله)[36].

2- معلم الناس ومرشدهم إلى الرحمة الإلهية:

النبيّ (صلى الله عليه وسلم) دائم التفكر فيما يُقَرِّبُ رحمة الله للعباد، ويقرّبهم منها، يخبر عنها، ويعرِّفهم أيسر طرق نيلها، وينبههم بيقين على أبوابها، ويحبّ لهم نيل حظوظ وافرة منها، لأنه: (أسطع مثالٍ للرحمة، وأفضل مَن يمثلها، وأبلغَ لسانٍ ناطقٍ بها، وأكرم داعٍ إليها)[37]، ولذلك فإنّ سنته (صلى الله عليه وسلم) أعظم مظاهر الرحمة، ويرضى بها الله تعالى، ويرضى عليه وعلى الذين اقتفوا آثار رحمته في السر والعلن.

ومن أبواب الرحمة الإلهية: الصلاة والسلام عليه. يلح علينا الرسول (صلى الله عليه وسلم) بالصلاة والسلام عليه والالتزام بهذا الذكر، والتي بها نسترحم الله تعالى. قال الأستاذ (رمه الله): (إن الصلاة على الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) وحدها طريق الحقيقة، فمع أنه (صلى الله عليه وسلم)قد حظي بمنتهى الرحمة الالهية، أظهر الحاجة إلى منتهى الصلاة عليه، ذلك لأن الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) ذو علاقة مع آلام الأمة جميعاً، وله حظ بسعاداتهم. ولعلاقته بسعادة جميع الأمة المتعرضة لأحوال لا نهاية لها في مستقبل غير محدود يمتد الى أبد الآباد، أظهر (صلى الله عليه وسلم) الحاجة الى منتهى الصلاة عليه)[38].

3- سعة رحمته:

تشمل رحمته (صلى الله عليه وسلم) الجمادات والحيوانات وما حولنا في الأرض والسماوات، رحمته (صلى الله عليه وسلم) شاملة لها أيضا، وهي أوسع من أن تقصر على المكلّفين، باعتبار: أن هذه الموجودات تكون خالية من المعنى والمغزى من غير تعريف الرسول (صلى الله عليه وسلم) لها، قال الأستاذ النورسي: (أنظر! إلى هذا الشخص النوراني، كيف ينشر من الحقيقة ضياءً نوّاراً، ومن الحق نوراً مضيئاً، حتى صيَّر ليلَ البشر نهارا، وشتاءه ربيعاً؛ فكأن الكائنات تبدَّل شكلُها فصار العالَم ضاحكاً مسروراً بعدما كان عبوساً قمطريراً.. فإذا ما نظرت إلى الكائنات خارجَ نور إرشاده؛ ترى في الكائنات مأتماً عمومياً، وترى موجوداتها كالأجانب الغرباء والأعداء، لا يعرف بعضٌ بعضاً، بل يعاديه، وترى جامداتها جنائز دهّاشة، وترى حيواناتها وأناسيّها أيتاماً باكين بضربات الزوال والفراق... لقد تحوّلت بذلك النور حركاتُ الكائنات وتنوعاتُها وتغيراتُها من العبثية والتفاهة وملعبة المصادفة، إلى مكاتيب ربانية، وصحائف آياتٍ تكوينية، ومرايا أسماء إلهية)[39].

4- رحمته الجواب التام عن الأسئلة المحيّرة:

إنّ رحمته (صلى الله عليه وسلم) هي الجواب الكافي والشافي للأسئلة الثلاثة المحيرة، التي تثار من أوّل البشرية إلى الآن، كانت البشرية في حيرة عندما أتى محمد (صلى الله عليه وسلم)، فقدّم لها الأجوبة العميقة عنها، فكان – وسيبقى – ملاذ البشرية في دفع حيرها.

قال الأستاذ النورسي: (فيا للعجب!.. ما يقول؟ نعم، يقول عن أمرٍ جسيم، ويبحث عن نبأٍ عظيم؛ إذ يشرح ويحل المعمّى العجيبة في سرّ خِلقة العالم، ويفتح ويكشف الطلسم المغلق في سر حكمة الكائنات، ويوضح ويبحث عن الأسئلة الثلاثة المعضلة التي أشغلت العقول وأوقعتها في الحيرة؛ إذ هي الأسئلة التي يَسأل عنها كلُّ موجود، وهي: مَن أنت؟ ومِن أين؟ وإلى أين؟)[40]

5- أثر الصلاة على النبي في استجلاب الرحمة:

جانب إثبات الرحمة للرسول (صلى الله عليه وسلم)، وقوف الأستاذ النورسي مع التصلية على النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الوصف، إذ يقول: (اللهم بحق اسرار بسم الله الرحمن الرحيم صلِّ على مَن أرسلته رحمة للعالمين كما يليق برحمتك وبحرمته وعلى آله وأصحابه أجمعين، وارحمنا رحمة تغنينا عن رحمة من سواك من خلقك.. آمين)[41].

6- سجية ثابتة شاملة ومتكاملة:

ولا بد أن ننتبه إلى أن الرحمة كانت تسير في الرسول (صلى الله عليه وسلم) سير الماء في الشجر الأخضر، والروح في البدن الحي، فتسري هذه الرحمة في كلّ الشريعة وبها، تتجلى في أحكامها وتوجيهاتها، فلا يمكن أن تجد فيها رحمة في مخالفة نصوصها، إنّها مبعث التوسّط في الرحمة والشفقة، فلا إفراط ولا تفريط.

قال الأستاذ النورسي: (لما كانت شفقة الإنسان تجلٍ من تجليات الرحمة الربانية، لا ينبغى تجاوز درجة الرحمة الإلهية والمغالاة أكثر من رحمة من هو رحمة للعالمين صلى الله عليه وسلم، فلو تجاوزها وغالى بها، فإنها ليست رحمة ولا رأفة قط، بل هي مرض روحي وسقم قلبي يفضي إلى الضلالة والإلحاد)، ويمثل بتأويل عذاب الآخرة والنار للكفرة والمنافقين، وما يترتب على الجهاد وأمثالها من الحوادث والكوارث، جراء ضيق الشفقة من المرء وعدم استيعابه، وعجزه عن تحمل هذه الأمور وما شابهها. قال الأستاذ في تقرير هذه الحقيقة: (وهو ظلم عظيم وعدم رحمة في منتهى الجور في الوقت نفسه؛ لأن حماية الوحوش الكاسرة والعطف عليها، وهي التي تمزق الحيوانات البريئة، غدر عظيم تجاه تلك الحيوانات البريئة، ووحشية بالغة نابعة من فقدان الوجدان والضمير.

فالتعاطف إذن وموالاة أولئك الذين يبيدون حياة ألوف المسلمين الأبدية ويمحونها، ويسوقون مئات المؤمنين إلى سوء العاقبة بدفعهم إلى ارتكاب الذنوب والخطايا)، من هنا، فإنّ الدعاء لأولئك الكفار والمنافقين، رحمةً بهم وعطفاً عليهم لينجوا من العقاب الشديد، ظلم عظيم بلا شك، وغدر شنيع تجاه أولئك المؤمنين المظلومين.... ولهذا فالذي يرأف ويعطف على تجرع الكافر صنوف العذاب في النار، يعني أنه لا يرأف ولا يعطف على أبرياء لا يحصيهم العد ممن هم أليق بالرأفة وأجدر بالعطف بل ولا يشفق عليهم، بل يظلمهم ظلماً فاضحاً [42]، لماذا ؟ لـ: (أن الكفر والضلالة تحقير عظيم للكائنات، وظلم شنيع للموجودات، ووسيلة لرفع الرحمة الإلهية ونزول المصائب والبلايا، حتى وردت روايات من أن الأسماك التي في قعر البحر تشكو إلى الله ظلم الجناة، لسلبهم راحتها).[43]

المسلك السادس: النبوة مخاطبة لجميع لطائف الإنسان:

يتميّز الإنسان بلطائف وحواس وقنوات معنوية متعددة، وله من الخفايا والأسرار ما لا يعلم تفاصيلها إلاّ الله، وهو في جانبه المعنوي أغرب من جانبه المادي[44]، ويتعلّق بالمعنوي الجانب هذا: الإيمان، وعليه يتوقف انطباع أركانه في القلب، فالباطن أساس

ترسيخ الإيمان الحقيقي وترشح نفحاته على ظاهره، لهذا يتعيّن التعامل معه بحذر، لما تحيط به من صعوبات تحتاج إلى الدقة في التصرف والتلطّف في الاختيار.

سلك الأستاذ النورسي مسالك شتى في مخاطبة معنويات هذا الإنسان، وأراد إثارة جميع لطائفه لأجل تهيئته للتسليم للإيمان وتصديق حقائقه، وخاصة إنسان هذا العصر المادي، إنسان كثير التعلق بالمظاهر المادية، فشغلته هذه الاختيارات عن الله والعناية بمباحث الإيمان، وقد غذى كلّ ذلك انتشار الشبهات المثارة في شأن الإيمان وحقائقه والشريعة وأحكامها.

اختار الأستاذ النورسي خدمة لإيمان الإنسان مخاطبته من جهات شتى، منها: القلب، والعقل، والعاطفة، والخيال، والفكر، والنفس، وغيرها. وقد يجمع بين اثنين منها أو أكثر، المهم في الأمر هو الوصول إلى ترسيخ الإيمان في القلب، واستجلاب الاستقامة في شعاب الحياة.

وفي شأن النبوة-عموماً -والنبي محمد (صلى الله عليه وسلم)- على سبيل الخصوص-، أراد الأستاذ النورسي أن يترك بصمات إيجابية على جميع لطائفه، فبعض الناس يتأثر قلبه برشحات الإيمان، وآخرون يتأثرون بالعقليات، وفريق ثالث بالجمع بينهما، ورابع له مسلك خاص، وبما أنّ رسائل النور ألفت للجميع وانطبعت بمنهج القرآن في تقرير الحقائق الإيمانية، فقد خاطبت جميع الطبقات، واختار فيها الأستاذ جميع المنافذ المتاحة للوصول بالمخاطبين إلى إثبات صدق النبوة وتقرير الإيمان بها.

أتى الأستاذ النورسي في رسالة (الآية الكبرى) (الشعاع السابع) بأدلة علمية وعقلية ومنطقية على صدق النبي (صلى الله عليه وسلم)، ولم يكتف بهذا، بل وَظَّفَ كلَّ هذه الأدلة في إثبات التوحيد أيضا[45].

ولعلّ من مظاهر التوسعة في الاحتجاج للنبوة عمل الأستاذ النورسي على استثارة الخيال، تأكيدا منه على أحقية الرسول (صلى الله عليه وسلم) وصدقه من خلال الخيال، لأنّ الأستاذ لا يقبل أن نجرح الخيال أو نقلل من شأنه بين الحواس والمكونات الباطنية الأخرى للإنسان، اعتبر النورسي مخاطبة الخيال والسير معه من البلاغة، فعندما يقبل الخيال الحقيقة ولم تكن ثقيلة عليه، يكون آنذاك متسنبلاً على الحقيقة ومثالاً ومبيناً لها، لا غريباً عنها[46].

خاطب الأستاذ عاطفة الانسان الجامعة بين العقل والقلب ليعرف القارئ عظمة

الرسول (صلى الله عليه وسلم)، عظمة تتجلى في النماذج البشرية السامقة التي ملأت كثيرا من العصور، من أمثال: أبي حنيفة والشافعي والجنيد والجيلاني، كان هذه الحقائق سبب دخول الملايين في النعيم والاطمئنان وراحة القلب والبال[47].

المسلك السابع: شرف النبوة في الصلاة والسلام عليه (صلى الله عليه وسلم):

توسّع الأستاذ في مباحث الرسول (صلى الله عليه وسلم) وخاصة من زاوية تعدّد صيغ الصلاة والسلام على النبيّ (صلى الله عليه وسلم)، والتي عدّها رشحة من رشحات القلب، تخص محبته وتبجيله (صلى الله عليه وسلم)، أراد الأستاذ بها تقرير فضائل النبي صلى الله عليه وسلم والتذكير بها وبمكانته (صلى الله عليه وسلم)، وهي ذكر مفيد في الجوانب المعنوية وما يترتّب عليها من فوائد ظاهرية (مادية).

قال الأستاذ في نهاية رسالة الاجتهاد: (اللّهم صل وسلم على مَن تمثّل فيه أنوارُ محبتك لجمال صفاتك وأسمائك، بكونه مرآةً جامعة لتجليات أسمائك الحسنى.. ومَن تمركز فيه شعاعاتُ محبتك لصنعتك في مصنوعاتك بكونه أكملَ وأبدعَ مصنوعاتك، وصيرورته أنموذج كمالات صنعتك، وفهرسته محاسن نقوشك.. ومَن تظاهر فيه لطائف محبتك ورغبتك لاستحسان صنعتك بكونه أعلى دلالي محاسن صنعتك وأرفع المستحسنين صوتاً في إعلان حسن نقوشك وأبدعهم نعتاً لكمالات صنعتك..). وزاد المسألة توضيحا وتأكيدا، فقال: (ومَن تجمّع فيه أقسامُ محبتك واستحسانك لمحاسن أخلاق مخلوقاتك ولطائف أوصاف مصنوعاتك، بكونه جامعاً لمحاسن الاخلاق كافة بإحسانك وللطائف الاوصاف قاطبة بفضلك.. ومَن صار مصداقاً ومقياساً فائقاً لجميع من ذكرتَ في فرقانك إنّك تحبهم من المحسنين والصابرين والمؤمنين والمتقين والتوابين والأوابين وجميع الأوصاف الذين أحببتهم وشرفتهم بمحبتك، في فرقانك حتى صار إمام الحبيبين لك، وسيد المحبوبين لك ورئيس أودّائك وعلى آله وأصحابه وإخوانه أجمعين آمين برحمتك يا أرحم الراحمين)[48].

وقرّر الأستاذ حقيقة الصلاة والسلام على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في نهاية رسالة المعجزات الأحمدية، فقال: (ونصلّي ونسلّم على ذلك الذات النوراني الهادي، ذي المعجزات بصلوات وسلام تشير إلى قسم من معجزاته: من أُنزل عليه القرآن الحكيم من الرحمن الرحيم من العرش العظيم. على سيدنا محمد ألفُ ألفِ صلاةٍ وسلام بعدد حسنات أمته. على مَن بشّر برسالته التوراة والانجيل والزبور والزبر. وبشّر بنبوّته الارهاصات وهواتف الجن وأولياء الإنس وكواهن البشر وانشقّ بإشارته القمر.. سيدنا

محمد ألفُ ألفِ صلاةٍ وسلام بعدد أنفاس أمته...سيدنا وشفيعنا محمد ألف ألف صلاة وسلام بعدد كل الحروف المتشكلة في الكلمات المتمثلة بإذن الرحمن في مرايا تموجات الهواء عند قراءة كل كلمة من القرآن من كل قارئ من أول النزول الى آخر الزمان واغفر لنا وارحمنا يا إلهنا بكل صلاة منها.. آمين)[49].

المسلك الثامن: رد الشبهات عن الرسول (صلى الله عليه وسلم):

انتهج الأستاذ النورسي في رسائله مسلك الدفاع عن شخصية الرسول (صلى الله عليه وسلم) ورد الشبهات عنه وعن سنته، ومسلكه في ذلك إغفال عرض الشبهة مفصَّلة، فلا يوردها إلاّ إذا دعت الحاجة إلى ذكر عموميات منها، خشية أن يؤثر ذكرها سلباً على قلب وفكر القارئ، فتكون سببا في تكدير صفو قلبه، وتشوّش عليه سكونه واطمئنانه.

شاهد هذه المعاني قول الأستاذ: (أما الشبهات فقد أُجيبت عنها أجوبة قاطعة، من دون ذكر الشبهة نفسها، وذلك لئلا تتكدر الأذهان)[50]، وقال في موضع آخر: (لقد أحسّ سعيد القديم- بفيض من القرآن الكريم- أنه سيظهر في هذا الزمان المتأخر كفار لا يهتدون بكتاب، ومنافقون من الأديان السابقة-كما ظهروا في بداية الإسلام-، فاكتفى ببيان النكات الدقيقة لتلك الآيات، من دون أن يخوض في حقيقة مسلكهم، وبيان نقاط ارتكازهم، بل تركها مجملة دون تفصيل، لئلا يعكّر صفو أذهان القراء الكرام. ومن المعلوم أن نهج رسائل النور هو: عدم ترك أثرٍ سيءٍ مهما كان في ذهن القارئ، إذ تجيب أجوبة قاطعة على الشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام من دون أن تذكر الشبهة نفسها- بخلاف سائر العلماء-، فتسد بهذا دخول أية شبهة كانت في ذهن القارئ)[51].

انتهج هذا المنهج عدد غير قليل من العلماء المحققين، لعلمهم بأن في ذكر الشبهة والوقوف معها طويلاً أثر سيّء على المتلقي، وهو وَقْعٌ لا تُحمد عقباه، من ذلك قول الإمام العز بن عبد السلام (ت: 660هـ): (لا يجوز إيراد الإشكالات القوية بمحضر من العامة؛ لأنه تسبّب إلى إضلالهم وتشكيكهم، وكذلك لا يتفوّه بالعلوم الدقيقة عند من يَقْصُر فَهْمُه عنها، فيؤدي ذلك إلى ضلالته، وما كل سرٍ يذاعُ، ولا كل خبر يشاع)[52]. ومنهم أيضا الإمام ابن بطة العكبري(ت: 387هـ) القائل: (لا يحملنّ أحدا منكم حسن ظنه بنفسه وما عهده من معرفته بصحة مذهبه، على المخاطرة بدينه في مجالسة بعض أهل هذه الأهواء، فيقول: أداخله لأناظره، أو لأستخرج منه مذهبه، فإنهم أشدّ فتنة من الدجال، وكلامهم ألصق من الجرب، وأحرق للقلوب من اللهب، ولقد رأيت جماعة من الناس كانوا يلعنونهم ويسبونهم، فجالسوهم على سبيل الإنكار والرد عليهم، فما

زالت بهم المباسطة وخفي المكر ودقيق الكفر حتى صبَوا إليهم) [53]، وذكر محمد قطب(ت:2014م) تراجعه عن مسلك عرض الشبهات في كتابه (شبهات حول الإسلام)، سجّل ذلك في مقدمة الطبعة الحادية عشرة للكتاب، قال(رحمه الله): " لقد هممت أن لا أعيد إصدار الكتاب، بل وألغيه ضمن قائمة كتبي، على الرغم من أهميته، لأن الشبهة تعطي قدراً وشرعية للأمر، ويكون المنهج بعد ذكر الشبهات منهجاً هجومياً لا دفاعياً. وهو يرجح بعد هذا القول وعن تجربة، أن لا تذكر الشبهة، بل تعرض الحقائق من غير إثارة للشبهات"[54].

فلا يورد الشبهة إلاّ اضطرارا وفق مسلك متقدمي علماء الأمة، قال الإمام ابن عبد البر(ت: 463هـ): (إلا أن يضطر أحد إلى الكلام، فلا يسعه السكوت إذا طمع بردّ الباطل وصرف صاحبه عن مذهبه، أو خشي ضلال عامة)[55].

ومما حقّق الأستاذ النورسي القول فيه، زواجه من بنت عمّته، فاهتبل الفرصة لرد الشبهات التي أثيرت حولها، قال (رحمه الله): (إن أهل الضلالة الحاليين، يجدون في زواج الرسول (صلى الله عليه وسلم) بزينب موضع نقد واعتراض، كما كان دأب المنافقين في سالف الزمان، إذ يعدونه زواجاً مبنياً على الشهوة ودوافع نفسانية!)[56].

ناقش الأستاذ الموضوع وحلله بروح علمية رصينة، وخلص منها إلى أنّه (صلى الله عليه وسلم) اكتفى بزوجة واحدة وهي خديجة الكبرى (رضي الله عنها) في فترة ما بين الخامسة عشر إلى الأربعين، الفترة التي تغلي فيها الحرارة الغريزية، وقد كان (صلى الله عليه وسلم) بشهادة الأعداء قبل الأصدقاء كامل العفة، وشاهد ذلك أنّه (صلى الله عليه وسلم) تزوّج زينب (رضي الله عنها) وعمره(صلى الله عليه وسلم) (58) سنة، فضلا عن أنّ زواجه بعد خديجة(رضي الله عنها) كان بعد الأربعين، فترة ضعف الحرارة الغريزية وسكونها، وإذا وقع زواج العفيف في مثل هذه السن، كان لزاما على العقلاء التفتيش عن تبريره في غير الرغبة الجنسية الغريزية، لهذا فمن الضروري أن تكون نابعة عن حكم أخرى، منها أن تكون الزوجات ناقلات لتفاصيل أحواله(صلى الله عليه وسلم) الخفية إلى الناس، لما يمثّله (صلى الله عليه وسلم) مقام التأسي به في أحكام الشريعة، فتعرف هذه التفاصيل من هذا العدد من (أمهات المؤمنين)، فكان على عاتقهن نقل ما خفي، مما يعلمه أحد مثلهن، وينقل الصحابة ما كان ظاهرا من أحواله. ثم إن زينب (رضي الله عنها) هي مخطوبة النبي(صلى الله عليه وسلم) لزيد (رضي الله عنه)، بل رفضت الزواج منه في بداية الأمر لأنه ليس كفء لها حَسَبًا، ولكن لما نزل قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ

وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: 36] استسلمت ورضيت، مع هذا ظلت تفتخر عليه بالشرف والحسب، إلى أن وصل الأمر إلى شكاية زيد منها " رضي الله عنهما "، وأمره(صلى الله عليه وسلم) بأن يمسك عليه زوجه، ولكن زيد (رضي الله عنه) شعر بعدم التوافق والتكافؤ، تجلى في عدم الامتزاج النفسي والروحي فألحَّ على طلاقها. ثم كان زواج الرسول (صلى الله عليه وسلم) منها بأمر إلهي وبعقد سماوي، فضلاً عن أنّ الله أبطل التبني بزواجه (صلى الله عليه وسلم) من زينب طليقة زيد(رضي الله عنهما).

وكذلك وقف الأستاذ بشيء من الطول مع شبهة مثارة لمعجزة شق القمر الثابتة بالقرآن الكريم (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ) (القمر: 1). فالرد كان وافيا نقلا وعقلاً، قال الأستاذ في الاستهلال: (إن فلاسفة ماديين- ومن يقلّدونهم تقليداً أعمى- يريدون أن يطمسوا ويخسفوا معجزة انشقاق القمر الساطع كالبدر، فيثيروا حولها أوهاماً فاسدة، إذ يقولون: لو كان الانشقاق قد حدث فعلاً لعرفه العالم، ولذكرته كتب التاريخ كلها!)[57].

رد الأستاذ الشبهة بخمس نقاط في غاية الدقة والعلمية [58]. ومنها: أنهم على الرغم من عداوتهم الشديدة له (صلى الله عليه وسلم) لم ينكروها لوقوعها الفعلي، واعتبروها سحراً هروباً من الواقع. ثم: إن الحادثة من الممكنات التي وقعت مشاهدة، ولم تكن مرغمة للإيمان، فلو ظهرت في جميع الأماكن وبقيت، تكون منافية لسر التكليف الإلهي.

وذكر فيها أنّه:" معلوم الفرق الزماني بين أجزاء الكرة الأرضية من ليل أو نهار وطبيعة الجو وما في السماء من غيوم في غالب الأحوال في بلدان مما يعيق إثبات قول المُنْكِر. هذا فضلا عن شهادة جميع أهل الكشف، ونقل جميع المحدثين لها، وتصديق علماء الكلام بوقوعها على الرغم من تباين مسالكهم ومشاربهم، كل هذا وغيرها مما يثبت هذه الحقيقة التي نطق القرآن بها بقوله: ﴿وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر:1] [59].

المسلك التاسع: وقفة مع (لولاك لولاك لما خلقت الأفلاك) من خلال رسائل النور:

تخص عبارة "لولاك لولاك لما خلقت الأفلاك" النبي (صلى الله عليه وسلم)، وتظهر جانباً من جوانب عظمته وبيان فضله (صلى الله عليه وسلم)، وقد تناولها العلماء معنىً ومبنىً، وهم على مسالك ثلاثة، وهي:

1- العبارة مقبولة معنىً ومبنىً، فأثباتها حديثاً الإمام الحاكم في مستدركه،

وصححه..

2- العبارة مرفوضة معنىً ومبنىً، انتهى القول بأنّه حديث موضوع الإمام الصغاني وابن الجوزي والذهبي في تعليقاته على المستدرك، ولا داعي إلى قبول العبارة بعد ذلك، بل هي مخالفة لآية (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (الذاريات: 56).

3- القبول لها معنىً، بغض النظر عن المبنى، سواء كان موضوعاً أو صحيحاً، وهو رأي ابن تيمية والعجلوني وعلي القاري[60]، والذي يعدُّ موقفا وسطا بين الاتجاهين السابقي الذكر.

فقبول معنى العبارة يعتمد على أمور، منها: إمكان الجمع والتوفيق بينها وبين آية الذاريات، ومعلوم أن الجمع أولى من القول بالتعارض والنفي والشطب لأحد الأمرين، إذ لا منافاة بين المعنيين، فقد خلق الله الخلق من أجل شخص لما له من قدر وفضل، ولكن لأمر هو العبادة.

فأنا آتي المسجد بسبب صديق لي اتصل بي وشجعني على المجيء، فمن أجله وبسببه جئت، ولكن لما وصلت المسجد أقوم بالعبادات، وعبادتي في المسجد لا تعكر الجمع بين الأمرين، فهذا من باب وذاك من آخر، وليس هذا بمناقض لذاك، فالوسيلة الموجهة شيء، والهدف شيء آخر. فالله خلق الخلق من أجل أحد وإكراماً له، باعتبار شخصه بالذات أم هويته، وما له من شأن من حيث عمله، وما أتى به للإرشاد إلى العبادة الكلية. إذاً الخلق كان للعبادة، ومكلف بأداء أعمال مخصوصة تقربه إلى الله، وهو يقوم بها شكراً على نعمة الخلق طلباً لرضوانه، فيخرج حينئذ بعنوان آخر، يخص العبادة.

فلا غرابة أن يخلق الله السماوات والأرض من أجل الإنسان، هذا من جانب، ومن الجانب الآخر على الإنسان العبادة، يقول تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلأَرضِ جَمِيعا﴾ (البقرة: 29)، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوٰتِ وَٱلأَرضَ فِي سِتَّةِ أَيَّام وَكَانَ عَرشُهُۥ عَلَى ٱلمَآءِ لِيَبلُوَكُم أَيُّكُم أَحسَنُ عَمَلاۗ...﴾ (هود: من الآية 7)، ويقول تعالى: ﴿وَمِن ءَايَٰتِهِۦٓ أَن خَلَقَ لَكُم مِّن أَنفُسِكُم أَزوٰجا لِّتَسكُنُوٓاْ إِلَيهَا وَجَعَلَ بَينَكُم مَّوَدَّة وَرَحمَةًۚ﴾ (الروم من الآية 21). فهل هذه الآيات التي تشير إلى الخلق من أجل الإنسان، تنافي طلب العبادة من هذا الإنسان، أداءً للشكر من هذا الإنسان، على هذا التكريم؟

وهناك آيات التسخير لما في السماوات والأرض للإنسان ومن أجله وإكراماً له، وقد استدل بها ابن تيمية بعد أن أبدى قبولا لمعنى عبارة (لولاك لولاك...)، بما استفاده من

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآء فَأَخرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزقا لَّكُمۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلفُلكَ لِتَجرِيَ فِي ٱلبَحرِ بِأَمرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلأَنهَٰرَ (32) وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمسَ وَٱلقَمَرَ دَآئِبَينِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ (إبراهيم: 32 – 33)، و﴿أَلَم تَرَواْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلأَرضِ... ﴾ (لقمان من الآية 20)، و قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلأَرضِ جَمِيعا مِّنهُۚ...﴾ (الجاثية من الآية 13)[61].

الإنسان كرّمه الله تعالى وفق ما دلّت عليه الآيات، ويتجلى في وجهين:

أولاً: خلق السماوات والأرض من أجله ولغرض امتحانه، وفي امتحانه على الأرض مصلحة وخير له، إذا تعامل مع الأمر تعاملاً صحيحاً، فهو يربح الجنة والرضوان.

وثانياً: سخر له ما في السماوات والأرض جميعاً. فكل ما فيهما بوجه أو بآخر يخدم الإنسان، عَلِمَ به هذا الإنسان، أم لم يعلم به، بل كان علمه فوق إدراكه لفسحة الكون وكثرة مكوناته وتوسعه.

تميّز الأستاذ النورسي بتصحيح القول بصحّة المعنى، ويراها حديثاً قدسياً، وعلى أساسها يتعامل معها، فالعبارة عنده مقبولة معنىً ومبنىً.

ومما قاله بيانا وتوضيحا لمعنى العبارة وتصحيح مفهومها، أنّه جمع بين المعنيين الحقيقي والمجازي لها، شاهد ذلك قوله: (إذن: فكما كانت رسالته (صلى الله عليه وسلم) سبباً لإيجاد دار الامتحان هذه، وصارت بياناً وإيضاحاً لسر ﴿لَوْلاَكَ لَوْلاَكَ لَمَا خَلَقْتُ الافْلاَكَ﴾، فإن عبوديته كذلك أصبحت سبباً لخلق تلك الدار السعيدة الأبدية)[62].

فمن حيث عبوديته (صلى الله عليه وسلم): كانت هي الأسمى والأعظم بين المخلوقات، والله خلق السماوات والأرض لتسهيل عبادة الإنسان ولابتلائه، فكأن الكون خلق من أجله صلى الله عليه وسلم لعبادته الأكمل من بين المخلوقات، لأنه الأعبد الأكمل من بين بني البشر على سبيل الخصوص، ومن بين المخلوقات الأخرى على سبيل العموم.

ومن حيث شريعته (صلى الله عليه وسلم): فالكمال البشري بل الكمالات الحقيقية للكائنات التي تجعلها مرآة للجميل الجليل، وتجعلها حاملة لعالم باق ومتوجهة إليها، متوقفة على شريعته (صلى الله عليه وسلم) وعلى الرسالة والحقيقة المحمدية. فـ (لولاك) آنذاك يتوجه نحو رسالته ودعوته (صلى الله عليه وسلم).

قال الأستاذ: (إن محمداً (صلى الله عليه وسلم) الذي استقبل مظاهر ربوبية رب العالمين، وسرمدية ألوهيته، وآلائه العميمة التي لا تعد ولا تحصى، استقبلها بعبودية كلية، وتعريف لربه الجليل، هذا النبي الكريم ضروري كضرورة الشمس لهذا الكون، إذ هو أستاذ البشرية الأكبر، ونبيها الأعظم (صلى الله عليه وسلم)، وفخر العالم القمين بخطاب "لولاك لولاك لما خلقت الأفلاك". وكما أن حقيقته- أى الحقيقة المحمدية- هى سبب خلق العالم، ونتيجته وأكمل ثمراته. كذلك، تتحقق بها وبالرسالة الأحمدية الكمالات الحقيقية للكائنات قاطبة، إذ تصبح مرايا باقية للجميل الجليل السرمدى تعكس تجليات صفاته الجليلة، وآثاره القيّمة الموظفة لدى أفعاله الحكيمة جل جلاله، ورسائله البليغة المرسلة من الملأ الأعلى، وتغدو حاملة لعالم باق، منتجة دار سعادة خالدة ودار آخرة أبدية، تشتاق إليها ذوو الشعور كلهم.. وأمثالها من الحقائق التي تتحقق بالحقيقة المحمدية والرسالة الأحمدية)[63].

خلق الله دار الدنيا للامتحان، ولا امتحان إلاّ بعد وجود الرسالة والرسل، فوجود الرسالة سبب إيجاد الأرض والإنسان والكون، فهل يتصوّر وجود مستشفى كبير من غير طبيب؟ بل واقعاً وعقلاً يكون وجود الطبيب سببا في التفكير في بناء المستشفى.

وكذلك عبوديته وخشيته (صلى الله عليه وسلم) التي وصلت إلى الأعالي[64] سبب لوجود الجنة، لأنه لو لم تكن العبادة من الإنسان لما كانت الجنة والثواب ولا مبرر، فلولا الإنسان ومنه العبادات لما وجدت الجنة إذاً. فالإنسان وعباداته سبب إيجاد الجنة ودار السعادة، وكذلك بسبب الإنسان وجدت الرسالة الإلهية التي تخاطبه، وأوجد الله الأرض بل الكون لهذا الابتلاء.

وقال أيضاً: (لو لم يوجَد هذا الشخص لسقطت الكائناتُ والإنسانُ وكل شيء الى درجة العدم، لا قيمة ولا أهمية لها، فيلزم لمثل هذه الكائنات البديعة الجميلة من مثل هذا الشخص الخارق الفائق المعرِّف المحقق، فاذا لم يكن هذا فلا تكن الكائنات، اذ لامعنى لها بالنسبة إلينا. فما أصدق ما قالَ مَنْ " قوله الحق وله الملك ": ﴿لولاكَ لَولاكَ لَما خَلقتُ الاَفلاكَ﴾)[65].

الكائنات لا معنىً لها بدون نور الشريعة الذي يضع التعريف لكل مخلوقاتها، ويرشدنا إلى الحكمة من وجودها، وكلّ ذلك يدفع العبثية التي تُضَيّقُ الخناق على البشر.

إرسال الرسل والكتب السماوية يمنح قيمة للإنسان والكون وما فيه من حيوانات

وجمادات وطيور ومياه وجبال وسهول ووديان وحركات وسكنات ومخلوقات عموماً، وعلى رأس هذا الوفد والثلة من الرسل أفضلهم شأناً، النبي (صلى الله عليه وسلم)، له هذا الشرف قبل آدم من حيث القدر الإلهي لا من حيث الصيرورة والوقوع[66]، جعل الله النبوّة مصدر تعريف المخلوقات بغاية وجودها ومعنىً حياتها.

صوّر الأستاذ هذه المعاني بقوله: (فانظر الآن بنوره، وبمرصاد دينه وفي دائرة شريعته إلى الكائنات كيف تراها؟ أنظر! قد تبدل شكلُ العالم، فتحول بيتُ المأتم العمومي مسجدَ الذكر والفكر ومجلس الجذبة والشكر.. وتحول الأعداء الأجانب من الموجودات أحباباً وإخواناً.. وتحول كلّ من جامداتها الميتة الصامتة حياً مؤنساً مأموراً مسخراً، ناطقاً بلسان حاله آيات خالقه، وتحول ذوو الحياة منها- الأيتام الباكون المشتكون- ذاكرين في تسبيحاتهم، شاكرين لترخيصاتهم عن وظائفهم.. وتحولت حركات الكائنات وتنوعاتها وتغيراتها من العبثية والمهملية وملعبة التصادف إلى صيرورتها: مكتوبات ربانية، وصحائف آيات تكوينية، ومرايا أسماءٍ إلهية، حتى ترقى العالمُ وصار كتاب الحكمة الصمدانية)[67].

وبهذا تَبَيَّن لنا قول الأستاذ: (فإذا لم يكن هذا، فلا تكن الكائنات، إذ لامعنى لها بالنسبة إلينا...)[68]. أي: لولا النبي (صلى الله عليه وسلم) وشريعته، لا يكون للمخلوقات معنى، والله تعالى لا يخلق عبثاً، فالنتيجة: لانتفاء العبثية عن المخلوقات لا بد من أن يرسل الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ومن خلاله ينزل الكتاب والشريعة. ومن ثم فلولا النبي (صلى الله عليه وسلم) وشريعته لامتنع ووقوع امتحان وابتلاء، وبالتالي فلا جنة ولا نار. فلولاه لما كانت لهذه الأمور معانى.

إنّ العبثيين[69] الذين ينكرون النبوة والرسل والكتب والثواب والعقاب، سينتهي بهم الأمر إلى إنكار الآخرة وعالم الغيب، ولا يستبعد منهم منع أن يكون للحياة معنى، فلا غرابة من إنكارهم أن تكون للآخرة معنى.

ويمكن بهذا السياق التساؤل عن منبع حمل (لولاك) على الحقيقة، وجعله متعلقا بالذات والشخص لا بالوظيفة والشريعة، فهل يستقيم المعنى؟

مما يمكن أن يقال ـ فضلاً عما سبق- أنّه (صلى الله عليه وسلم) جمعت له كمالات الأولين والآخرين، وبهذا الاعتبار يمثل كل البشرية، فهو قمة قافلة الصالحين والكُمَّل وأهل القرب من الله تعالى. لهذا يصح تعامل معه على أساس أنَّه النواة، فعندما يوجه

إليه الخطاب إليه فهو خطاب شامل للبشرية كلّها، وما خُصَّ بذلك إلاّ لمكانته وفضله على الجميع، فهو مصطفى (من بين هؤلاء المحبوبين إمامَهم ورمزَ فخرهم واعتزازهم، ألا وهو محمد صلى الله عليه وسلم، فنوّر بنوره نصف الكرة الأرضية ذات الأهمية، وخُمس البشرية ذوي الأهمية، طوال قرون عدة، حتى كأن الكائنات قد خُلقت لأجله، لبروز غاياتها جميعاً به، وظهورها بالدين الذي بُعث به، وانجلائها بالقرآن الذي أُنزل عليه)[70].

ومن جانب آخر فمعلوم أن النبي (صلى الله عليه وسلم) هو خاتم النبيين، وبالرغم من ذلك فهو مُقَدَّم على جميع الأنبياء والمرسلين، هذا ما أخبرت به رسالة الغيب، وليس لنا فيه إلاَّ الاتباع بما أخبر به الوحي.

قال الأستاذ عن صحة معنى العبارة (لولاك لولاك): (بعبوديته كشافُ خزائن الرحمة، ومرآةٌ لجمال الربوبية، وسببٌ لحصول مدار السعادة، وسبب لوجود الجنة. فلو فُرض عدم جميع الأسباب الغير المحصورة المقتضية للجنة إلاّ مثل هذا الطلب من مثل ذلك الحبيب، لكفى لإيجاد هذه الجنة ووجودها من جُود جَوادٍ يوجد في كل ربيع جناناً مزينة كأنموذجات تلك الجنة. فما هذه بأسهل من تلك، وما هي بأصعب عليه من هذه. فكما يحقّ- وحقٌّ أن يُقال- وقد قيل: (لولاك لولاك لما خلقت الأفلاك)، يستحق أن يقال: لو لم يكن إلاّ دعاؤك، لخلقت الجنة لأجلك)[71].

ودخل الأستاذ ميدان تقرير معنى (لولاك لولاك)، فقال: (نعم (لولاك لولاك لما خلقت الأفلاك) يدل على أن الغاية من الخلقة ونتيجتها: الحياة، وذوو الحياة وأشرفهم: الإنسان، فهو نتيجة الخلقة) [72]. كما ولج باب التأكيد على معنى-لولاك لولاك- من باب مكانة الإنسان من بين سائر المخلوقات، فهو الأكرم في الكون أو في عالم الشهادة، وأنه تعالى سخر الجميع له، فضلا عن خلق ما في هذا العالم وما تحويه السماوات والأرض من أجله، فلذلك يصح أن يقال للنبي الكريم (صلى الله عليه وسلّم) الذي هو نائب عنهم لما يتقدمهم به من فضل: نعم، يصح أن يقال لك: (لولاك لولاك).

والأستاذ النورسي فيما قاله لم يكن وحيدا، فقد ورد عن المتقدّمين ما يؤيّد هذه الرؤية، منها ما ذكره الإمام ابن تيمية، حيث قال: ﴿وَقَدْ ظَهَرَ فَضْلُ نَبِيِّنَا عَلَى الْمَلَائِكَةِ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ، لَمَّا صَارَ بِمُسْتَوَى يُسْمَعُ فِيهِ صَرِيفُ الْأَقْلَامِ؛ وَعَلَا عَلَى مَقَامَاتِ الْمَلَائِكَةِ؛ وَاَللَّهُ تَعَالَى أَظْهَرَ مِنْ عَظِيمِ قُدْرَتِهِ وَعَجِيبِ حِكْمَتِهِ مِنْ صَالِحِي الْآدَمِيِّينَ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ

وَالْأَوْلِيَاءِ مَا لَمْ يَظْهَرْ مِثْلُهُ مِنْ الْمَلَائِكَةِ، حَيْثُ جَمَعَ فِيهِمْ مَا تَفَرَّقَ فِي الْمَخْلُوقَاتِ. فَخَلَقَ بَدَنَهُ مِنْ الْأَرْضِ وَرُوحَهُ مِنْ الْمَلَأِ الْأَعْلَى، وَلِهَذَا يُقَالُ: هُوَ الْعَالَمُ الصَّغِيرُ وَهُوَ نُسْخَةُ الْعَالَمِ الْكَبِيرِ."، ليس هذا فحسب، بل "مُحَمَّدٌ سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ. وَأَفْضَلُ الْخَلْقِ وَأَكْرَمُهُمْ عَلَيْهِ، وَمِنْ هُنَا قَالَ مَنْ قَالَ: إنَّ اللَّهَ خَلَقَ مِنْ أَجْلِهِ الْعَالَمَ، أَوْ: إنَّهُ لَوْلَا هُوَ لَمَا خَلَقَ عَرْشًا وَلَا كُرْسِيًّا وَلَا سَمَاءً وَلَا أَرْضًا وَلَا شَمْسًا وَلَا قَمَرًا. لَكِنْ لَيْسَ هَذَا حَدِيثًا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا صَحِيحًا وَلَا ضَعِيفًا وَلَمْ يَنْقُلْهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْحَدِيثِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَلْ وَلَا يُعْرَفُ عَنْ الصَّحَابَةِ، بَلْ هُوَ كَلَامٌ لَا يُدْرَى قَائِلُهُ."، ويضف(رحمه الله قائلا:" وَيُمْكِنُ أَنْ يُفَسَّرَ بِوَجْهِ صَحِيحٍ كَقَوْلِهِ:﴿سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الجاثية: 13] وَقَوْلُهُ ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: 33] وَأَمْثَالُ ذَلِكَ مِنْ الْآيَاتِ الَّتِي يُبَيِّنُ فِيهَا: أَنَّهُ خَلَقَ الْمَخْلُوقَاتِ لِبَنِي آدَمَ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ لِلَّهِ فِيهَا حِكَمًا عَظِيمَةً غَيْرَ ذَلِكَ، وَأَعْظَمَ مِنْ ذَلِكَ وَلَكِنْ يُبَيِّنُ لِبَنِي آدَمَ مَا فِيهَا مِنْ الْمَنْفَعَةِ وَمَا أَسْبَغَ عَلَيْهِمْ مِنْ النِّعْمَةِ".

وزيادة في تقرير هذه الحقيقة، أورد ابن تيمية اعتراضا وأجاب عليه" فَإِذَا قِيلَ: فَعَلَ كَذَا لِكَذَا، لَمْ يَقْتَضِ أَنْ لَا يَكُونَ فِيهِ حِكْمَةٌ أُخْرَى، وَكَذَلِكَ قَوْلُ الْقَائِلِ: لَوْلَا كَذَا مَا خُلِقَ كَذَا، لَا يَقْتَضِي أَنْ لَا يَكُونَ فِيهِ حِكَمٌ أُخْرَى عَظِيمَةٌ، بَلْ يَقْتَضِي إذَا كَانَ أَفْضَلُ صَالِحِي بَنِي آدَمَ مُحَمَّدٌ، وَكَانَتْ خِلْقَتُهُ غَايَةً مَطْلُوبَةً، وَحِكْمَةً بَالِغَةً مَقْصُودَةً، أَعْظَمَ مِنْ غَيْرِهِ، صَارَ تَمَامُ الْخَلْقِ وَنِهَايَةُ الْكَمَالِ حَصَلَ بِمُحَمَّدِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ".

وابن تيمية (رحمه الله)، يقدّم الشاهد تلو الشاهد لتأييد ما تبناه، وبهذا الصدد، قال:" وَاَللَّهُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ آخِرُ الْخَلْقِ يَوْمَ الْجُمْعَةِ وَفِيهِ خُلِقَ آدَمَ، وَهُوَ آخِرُ مَا خُلِقَ، خَلَقَ يَوْمَ الْجُمْعَةِ بَعْدَ الْعَصْرِ فِي آخِرِ يَوْمِ الْجُمْعَةِ. وَسَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ هُوَ مُحَمَّدٌ – صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، آدَمَ فَمَنْ دُونَهُ تَحْتَ لِوَائِهِ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إنِّي عِنْدَ اللَّهِ لَمَكْتُوبٌ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ) أَيْ كُتِبَتْ نُبُوَّتِي وَأُظْهِرَتْ لَمَّا خُلِقَ آدَمَ، قَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ كَمَا يَكْتُبُ اللَّهُ رِزْقَ الْعَبْدِ وَأَجَلَهُ وَعَمَلَهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ إذَا خُلِقَ الْجَنِينُ قَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ. فَإِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ هُوَ خَاتَمُ الْمَخْلُوقَاتِ وَآخِرُهَا, وَهُوَ الْجَامِعُ لِمَا فِيهَا، وَفَاضِلُهُ هُوَ فَاضِلُ الْمَخْلُوقَاتِ مُطْلَقًا، وَمُحَمَّدٌ إنْسَانُ هَذَا الْعَيْنِ؛ وَقُطْبُ هَذِهِ الرَّحَى، وَأَقْسَامُ هَذَا الْجَمْعِ كَانَ كَأَنَّهَا غَايَةُ الْغَايَاتِ

فِي الْمَخْلُوقَاتِ"، وبناء على ما سلف لا "يُنْكَرُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُ لِأَجْلِهِ خُلِقَتْ جَمِيعهَا، وَإِنَّهُ لَوْلَاهُ لَمَا خُلِقَتْ، فَإِذَا فُسِّرَ هَذَا الْكَلَامُ وَنَحْوُهُ بِمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ قُبل ذَلِكَ. وَأَمَّا إِذَا حَصَلَ فِي ذَلِكَ غُلُوٌّ مِنْ جِنْسِ غُلُوِّ النَّصَارَى بِإِشْرَاكِ بَعْضِ الْمَخْلُوقَاتِ فِي شَيْءٍ مِنْ الرُّبُوبِيَّةِ كَانَ ذَلِكَ مَرْدُودًا غَيْرَ مَقْبُولٍ؛ فَقَدْ صَحَّ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: ﴿لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ﴾"[73].

المسلك العاشر: شرف النبوة في طلب اتباع سنة النبي صلى الله عليه وسلم:

من مظاهر اهتمام الأستاذ النورسي في رسائل النور بالنبي (صلى الله عليه وسلم)، البحث في أهمية سنته وكيفية فهمها والتعامل معها، وشاهد هذه العناية والرتبة وضع علوم كثيرة لخدمتها وتيسير إيصال معانيها، اختص بعضها بالرواية، وآخر بالدراية، فشملت التثبّت من رجاله وتفهّم معانيه، وضابط قبوله، فأحدت عناية بالسنة إحاطة كاملة من ثبوت الرواية إلى ثبوت معاني المرويات.[74]

اَوْلَى الأستاذ النورسي السنة النبوية اهتماما متعدد الجوانب، عَرَّفَها من حيث الوظيفة الوجودية، فذكر أنّ (الحديث النبوي: معدن الحياة، وملهم الحقائق)[75]، وهي في حقيقة أمرها أدب عظيم، فما من مسألة فيها إلاّ والأدب لبّها، لهذا فهي نور عظيم[76]، وقد اشتهر الأستاذ بتعمقه في السنة ومباحثها، فهو "ضليع بعلم الحديث النبوي الشريف" وعلى أساسه اقترحه شيخ الإسلام مصطفى صبري عضوا في دار الحكمة الإسلامية[77]، ويؤكّد هذه الحقيقة، أنه: (لا تخلو رسالة من رسائل النور من ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم أو جانب من جوانب حياته المباركة بأسلوب شائق جداً، بحيث تشعر بأدب جم والتعظيم اللائق تحت تأثير تلك العبارة، وغالباً ما يسبق الحديث الشريف ما يهيئ القلب والعقل والروح لتقبله، حتى تشعر بأنك ماثل أمام قائله صلى الله عليه وسلم، فيشع ذلك الحديث بنوره في قلبك، ويسري بفعله في أعصابك وجوارحك...)[78].

ويشهد لهذه الحقيقة أيضا تنوع المباحث المتعلّقة بالسنة في رسائل النور، فمنها التعريف بها، وشواهد أهميتها، والتنبيه إلى ضرورة التمسك بها ظاهرا وباطنا، فضلا عن وضع أسس وأصول فهمها والتعامل معها، مما كان سببا في الوقوف على مراميها وأسرارها وحكمها، وما يقتضيه من تفسيرها والتأويل العلمي المنضبط لنصوصها، وهو ما يفرض رد الأوهام والوساوس والشبه والهجمات عنها، كما يورد بين الفينة والأخرى كلاما عن الرواة- كلام ملخص مفيد-، ويؤكّد جملة ما أشرنا إليه أنّ الرسائل إما تفسير

لآية أو شرح لحديث، أو ذكر الحديث بالمعنى[79].

قال الأستاذ في البرهان على أهمية السنة واتباعها: (إن الرحمة أقوى وسيلة للوصول الى سلطان عظيم ذي جلال، تنقاد له النجوم والذرات معاً جنوداً مطيعين طاعة تامة في انتظام تام.. ذلك السلطان ذو الجلال والاكرم رب العالمين المستغني عن الخلق أجمعين، الكبير المتعالي عن الموجودات، فلا حاجة له أصلاً الى الموجودات، بل كل شيء قد تواضع لعظمته واستسلم لقدرته وذل لعزته وخضع لهيبة جلاله.. فالرحمة أيها الانسان ترفعك الى ديوان حضور ذلك الغني المطلق، وتجعلك خليلاً لذلك السلطان السرمدي الاعظم، بل تعرج بك الى مقام خطابة الجليل، وتجعلك عبداً مكرماً محبوباً عنده.

ولكن، كما أنَّك لا تصل إلى الشمس لبُعدك عنها، بل لا يمكنك التقرب إليها بحال، فإنّ ضوءها يُسِلم إليك تجليها وصورتها بواسطة مرآة.. (ولله المثلُ الأعلى) فنحن على الرغم من بُعدّنا المطلق عن الله سبحانه وتعالى، فإنَّ نور رحمته يقربه الينا." ثم وجّه نداءً للإنسان، فقال:" فيا أيها الانسان! إنّ من يظفر بهذه الرحمة فقد ظفر بكنز عظيم لا يفنى، كنزٍ ملؤه النور"، ثم بيّن مسالك الفوز بهذه الرتبة الرفيعة بقوله:" أما طريق الوصول إلى ذلك الكنز العظيم فاعلم: إنَّ أسطع مثالٍ للرحمة، وأفضل مَن يمثلها، وأبلغَ لسانٍ ناطقٍ بها، وأكرم داعٍ إليها، هو الذي سمي في القرآن الكريم (رحمة للعالمين) وهو رسولنا الحبيب (صلى الله عليه وسلم). فالطريق الأمثل لبلوغ تلك الخزينة الأبدية هو اتباع سنته المطهرة)[80].

وقال في مكان آخر مبيناً لأهمية الاتباع ومكانة السنة من رسم طريق التقرب من الله تعالى: (أجل! إن اتباع السنة المطهرة لهو حتما ذو قيمة عالية، ولا سيما اتباعها عند استيلاء البدع وغلبتها، فإن له قيمة أعلى وأسمى، وبالأخص عند فساد الأمة، إذ تُشعر مراعاة أبسط الآداب النبوية بتقوى عظيمة وإيمان قوي راسخ؛ ذلك لأن الاتباع المباشر للسنة المطهرة يذكّر بالرسول الاعظم- صلى الله عليه وسلم-، فهذا التذكر الناشئ من ذلك الاتباع ينقلب الى استحضار الرقابة الإلهية، بل تتحول في الدقائق التي تراعى فيها السنة الشريفة أبسط المعاملات العرفية والتصرفات الفطرية- كآداب الاكل والشرب والنوم وغيرها- الى عمل شرعي وعبادة مثابة عليها؛ لأن الانسان يلاحظ بذلك العمل المعتاد اتباع الرسول (صلى الله عليه وسلم)، فيتصور أنه يقوم بأدب من آداب الشريعة، ويتذكر انه- صلى الله عليه وسلم- صاحب الشريعة، ومن ثم يتوجه قلبه الى الشارع

الحقيقي وهو الله سبحانه وتعالى، فيغنم سكينة واطمئنانا ونوعا من العبادة. وهكذا، في ضوء ما تقدم فإنّ من يجعل اتباع السنة السنية عادته، فقد حول عاداته إلى عبادات، ويمكنه أنْ يجعل عمره كله مثمرا، ومثابا عليه)[81].

لم يكتف الأستاذ بالكتابة عن السنة والحديث عنها، بل نقل شهادة عن نفسه وتجربته الذاتية، وبهذا المقام قال: (عندما كان يسعى هذا السعيد الفقير إلى الله، للخروج من حالة (سعيد القديم) ارتج عقلي وقلبي وتدحرجا ضمن الحقائق إزاء إعصار معنوي رهيب، فقد شعرت كأنهما يتدحرجان هبوطا تارة من الثريا إلى الثرى وتارة صعدا من الثرى إلى الثريا، وذلك لانعدام المرشد، ولغرور النفس الامارة. فشاهدت حينئذ أنّ مسائل السنة النبوية الشريفة بل حتى أبسط آدابها، كل منها في حكم مؤشر البوصلة الذي يبين اتجاه الحركة في السفن. وكل منها في حكم مفتاح يضيء ما لا يحصر من الطرق المظلمة المضرة.

ثم يسرد في لطف حالته، فقال: وبينما كنت أرى نفسي في تلك السياحة الروحية أرزح تحت ضغط مضايقات كثيرة وتحت أعباء أثقال هائلة، إذا بي أشعر بخفة كلمات تتبعت مسائل السنة الشريفة المتعلقة بتلك الحالات، وكأنها كانت تحمل عني جميع الاثقال وترفع عن كاهلي تلك الأعباء."، ثم نبّه إلى ثمرة هذا المسلك، فقال:" فكنت أنجو باستسلام تام بالسنة من هموم التردد والوساوس مثل: ((هل في هذا العمل مصلحة؟ ترى هل هو حق؟)). وكنت أرى متى ما كففت يدي عن السنة تشتد موجات المضايقات وتكثر، والطرق المجهوله تتوعر وتغمض، والأحمال تثقل.. وأنا عاجز في غاية العجز ونظري قصير، والطريق مظلمة. بينما كنت أشعر متى ما اعتصمت بالسنة، وتمسكت بها، تتنور الطريق من أمامي، وتظهر كأنها طريق آمنه سالمة والاثقال تخف والعقبات تزول)[82].

وقال أيضا في وصف تجربته الذاتية في التعامل مع السنّة: (اعلم! إنّي شاهدت في سيري في الظلمات، السُّنَن السَّنية نجوماً ومصابيح، كلُّ سنَّةٍ، وكلُّ حَدٍ شرعي يتلمع بين ما لا يُحصر من الطرق المظلمة المضلّة. وبالانحراف عن السنة يصير المرء لعبة الشياطين، ومركَب الاوهام، ومعرض الأهوال، ومطية الأثقال- أمثال الجبال- التي تحملها السنةُ عنه لو اتّبعها." ويضيف ميبيّنا:"وشاهدتُ السننَ كالحبالِ المتدلّية من السماء، من استمسك ولو بجزئي استَصعد واستسعد. ورأيتُ مَن خالَفَها واعتمدَ على العقل الدائر بين الناس، كمَن يريد أنْ يبلُغَ أسباب السموات بالوسائل الارضية فيتحمّق

كما تَحمّقَ فرعونُ بـ (يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا..) [غافر: 36])[83].

الخاتمة:

توصلت بعد هذا العرض إلى جملة من النتائج، ألخص أهمها في الآتي:

1. كلام الأستاذ في رسائل النور عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) متعدّد الجوانب، فكان لزاما عليه استدعاء جملة من العلوم تيسّر فهمها، منها: علم التاريخ والأنساب، والعقل، والقلب، والنقل، والشريعة، فكان اشتغاله جامعا لجملة من ميادين المعرفة الأحكام الفقهية والسلوك والأخلاق، والرواية والدراية...، كتب النورسي عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) بلساني العشق والعلم، وبذلك نقلتنا كتاباته عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) ومنظومة النبوة والرسالة من القشر إلى اللب، فجمعت بين دقّة المبنى وروعة المعنى، فكانت رسائل النور (ستة آلاف صفحة) برهاناً واحداً من بين براهين إثبات نبوة الرسول وصدقه (صلى الله عليه وسلم).

2. ذكرت رسائل النور تعريفات متعدّدة بالرسول (صلى الله عليه وسلم)، استوعب أغلب الحقائق الدائرة حول هذه الشخصية، وهي وإن كانت موجزة، فهي من مثل أخذ البذرة من البيدر، تحلى تعريفه بالنبي (صلى الله عليه وسلم) بأدب جم بيّن فيه عظيم رتبته (صلى الله عليه وسلم)، واختار في مجملها التعريف بالرسم، لأنَّ التعريف بالحد يكون لحقيقة الذوات، والعظمة المعنوية للرسول (صلى الله عليه وسلم) مما لا يمكن استيعابها حقيقة ولا الاطلاع على كنهها، فكيف بالتعريف الحدي بها، لهذا اختار النورسي التعريف بالرسم، وهو مسلك القرآن الكريم في التعريفات، منهج ييسّر له استيعاب أكبر شريعة من الناس، مع عدم إهمال المميزين منهم، وهي من مقتضيات المطابقة مع مقتضى الحال، والحال هذا يستدعي أن نقرب إليه المفهوم بالتعريف الرسمي لا الحدي.

3. وقفت رسائل النور تفصيلا وتدقيقا مع الجانب المعنوي للرسول (صلى الله عليه وسلم)، لما لهذه الشخصية ببعدها المعنوي من عظمة وتأثير يستوعب الجانب المادي، وتركيزها على المعنوية لأثرها الذي لا ينكر على القلوب، وتوطيد الصلة بين العبد وربه، وما لها من أهميّة في الإيمان بالغيب، برهنت الرسائل على سموها المعنوي، وما له من أهميّة في الكشف عن جمال الجانب المادي من حياة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فضلا عن تقديم رسائل النور لبراهين أهمية هذه الشخصية، وتمثّلت فيما يأتي: قاعدة السبب كالفاعل، ورؤية من تنوروا من مئات السنين بهذا النور الوضاء (صلى الله عليه وسلم)، و.... .

4. أوردت رسائل النور أدلة أحقية الرسول وصدقه (صلى الله عليه وسلم)، ومنها: السجايا الفاضلة، وإجماع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ووصول الآلاف من الصالحين إلى السعادة من الاقتداء به، وغيرها . ومسألة الصدق من المسائل القرآنية المهمة التي ينبع منها الاتباع والتسليم القلبي التام .

5. انتهجت الرسائل في إحقاق الحقائق القرآنية التي تخص الرسول (صلى الله عليه وسلم) عدّة طرق، منها: حقيقة إثبات الرحمة للرسول (صلى الله عليه وسلم)، وهذه الرحمة لها من الشمول والسعة ما يجعلها حقيقة باستيعاب الكون كله (أحياء وجمادات ونباتات وحيوانات ....)، وقد درست الرسائل الموضوع من حيثيات متعددة، من حيث الاستدلال لها وتقريرها، ومن حيث كونه (صلى الله عليه وسلم) مرشد الناس ومربيهم ومرشدهم إلى الرحمة، ومن حيث تعلق رحمته بجميع الكائنات، وقد كانت هذه الشخصية المعنوية (صلى الله عليه وسلم) منبع الإجابة الشافية الكافية عن الأسئلة الثلاثة المحيرة: من أنت ؟ ومن أين ؟ وإلى أين ؟

6. ميزة النبوّة الخاتمة في رسائل النور أنّها خاطبت جميع لطائف الإنسان وكوامنها، فما من مكلّف إلاّ وتجد له طريقا من لطيفة من الطائف التي خاطبتها، فإنْ كان سالم الفطرة وصلت إليه بأسهل عبارة وأوضح إشارة، وإن كان الشخص ميّالا إلى العقليات فرسائل النور تشبع نهمه، وتخاطبه من هذا المدخل لتقرير حقيقة صدق الرسول وأهميته ومكانته (صلى الله عليه وسلم)، كما يجد فيها المائل إلى القلب ما يحقّقه مطالبه، وكذا الأمر بالنسبة لسائر الطائف، من خيال، وعاطفة، و...لهذا فإنّ رسائل النور كفيلة ببناء التصديق بهذا الركن الإيماني والتسليم له قلبا وقالبا لمقررات ما جاء به النبي (صلى الله عليه وسلم).

7. غالبا ما يختم الأستاذ النورسي الرسائل مذكِّرًا بعظمة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وجميل أوصافه وسجاياه المادية والمعنوية وشمائله وخصائصه، وذلك بتنوّع صيغ التسليم والصلاة عليه (صلى الله عليه وسلم)، وهي فذلكة لكثير من الحقائق التي بثت براهينها في عموم الرسائل، وخاصة في مباحث الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وهي وسيلة فعّالة للتأثير على القلب، فتزيد شوقه وترفع منسوب تعلّقه بالرسول (صلى الله عليه وسلم) وبسنته الطاهرة.

8. وظّفت رسائل النور منهجا علميا رصينا في الدفاع وَدَفْعِ الشبهات المثارة حول الرسول (صلى الله عليه وسلم)، فعملت على تحليلها تحليلاً موافقاً لمقتضى الأدلة، مركّزة على رد الشبهة من غير ذكرها بصورة تُكَدِّر صفو الذهن، تركِّز في الرد على الأجوبة المقنعة النقلية والعقلية، وتستثمر الفرصة لبيان وجوه ضعف كل شبهة أثيرت.

9. تسجّل رسائل النور وقفات مع الأحاديث الواردة في إثبات الحقائق المتعلقة بالرسول صلى الله عليه وسلم، فتنظر فيها من حيث الدرجة، ركّز الأستاذ النورسي في نظره إلى الأحاديث على المعاني والمقاصد التي ترمي إليها هذه الأحاديث، صارفا نظره عن المبنى المختلف في صحته، مركّزا دافعه على المعنى إذا وجد إلى اعتماده سبيلاً، لأن المعنى إذا كان صحيحاً فلا داعي إلى التشَدُّد ورفضه بحجة عدم ثبوت الرواية، غاية ما في الأمر أن لا ينسب الحديث المتفق على عدم ثبوته إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم)، انصبّت جهود الأستاذ على المرابطة الفعلية في قلعة دفع شُبَه المشككين من أهل الضلالة، يدافع عن المعاني الصحيحة، ولا يهتم بكونها

وردت في حديث موضوع، كما يستعمل التأويل وتقريب معاني الأحاديث الصحيحة. وقد وقفنا في هذا السياق مع العبارة المختلف في ثبوتها بين العلماء (لولاك لولاك لما خلقت الأفلاك)، واختار الأستاذ تأويل العبارة بما لا يعارض النصوص الصريحة والعقول السليمة.

10. شجّعت رسائل النور في شأن السنة واتباعها الحرص على الاستدلال لأهميتها، وفي ذلك صاحب القارئ بذكر تجاربه الذاتية، تأكيدا على البُعْد العملي القلبي من تعظيم السنة، رجاء طلب ثمارها العملية الظاهرة والباطنة.

* * *

قائمة المصادر والمراجع

ـ بعد القرآن الكريم.

1. الإبانة الكبرى: أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن حمدان العُكْبَري المعروف بابن بَطَّة العكبري (ت 387هـ)، المحقق: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، والوليد بن سيف النصر، وحمد التويجري، ط. 2، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض 1994م.

2. إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز: بديع الزمان سعيد النورسي (ت 1379 هـ)، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، ط 6، دار سوزلر للنشر، القاهرة 2011 م.

3. بحوث إيمانية في محاضرات مسجدية: أ.د. أميد نجم الدين جميل المفتي، مط. سروش، أربيل 2023م.

4. التأويل في رسائل النور – دراسة تطبيقية مقاصدية عقدية لنصوص من الكتاب والسنة-: أطروحة الدكتوراه، مقدمة من الطالب: أ.م.د. زياد صالح حميد إسماعيل، إلى كلية العلوم الإسلامية بجامعة صلاح الدين ـ أربيل، العراق، بإشراف أ.د. أميد نجم الدين جميل المفتي، سنة 2019 م.

5. تشجير المنطق: عمر بن عبد العزيز بن علي الصامل، منهج مقرر لقسم أصول الفقه، كلية الشريعة، جامعة الإمام – الرياض، 1439 – 1440 هـ.

6. التفسير الكبير (مفاتيح الغيب): أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)، ط. 3، دار إحياء التراث العربي – بيروت ١٤٢٠ هـ.

7. جامع بيان العلم وفضله: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، ط. 1، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية ١٤١٤ هـ- ١٩٩٤م.

8. خلاصة المنطق: د. عبد الهادي الفضلي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان.

9. سنن الترمذي المسمى بالجامع الصحيح: محمد بن عيسى أبو عيسى السلمي الترمذي (ت 279 هـ)،تحقيق ومراجعة: أحمد محمد شاكر (وآخرون)، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، بلا سنة.

10. سيرة ذاتية: بديع الزمان سعيد النورسي (ت1379هـ)، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ط.6، دار سوزلر للنشر، مصر-القاهرة، 2011م.

11. شبهات حول الإسلام: محمد قطب، ط. 21، دار الشروق القاهرة 1992م.
12. شرح الشفا: علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (ت ١٠١٤هـ)، ط. 1، دار الكتب العلمية – بيروت 1421 هـ.
13. الشعاعات: بديع الزمان سعيد النورسي (ت1379هـ)، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ط.6، دار سوزلر للنشر، مصر-القاهرة، 2011م.
14. صحيح البخاري المسمى بـ (الجامع الصحيح المختصر): محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري (ت 256 هـ)، مراجعة وتحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير ـ اليمامة، بيروت، 1987 م.
15. صحيح مسلم: أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت 261 هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دارإحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان.
16. صيقل الإسلام: بديع الزمان سعيد النورسي (ت 1379 هـ)، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، ط 6، دار سوزلر للنشر، القاهرة 2011 م.
17. عبثية الخلق وأصولها الفكرية: أ.د. أميد نجم الدين جميل المفتي، بحث غير منشور نسخته عند المؤلف.
18. كشف الخفاء ومزيل الإلباس: إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي الجراحي العجلوني الدمشقي، أبو الفداء (ت ١١٦٢هـ)، تحقيق: عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هنداوي، ط.1، المكتبة العصرية 1420 هـ- 2000م.
19. الكلمات: بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ط 6، دار سوزلر للنشر، القاهرة 2011 م.
20. اللمعات: بديع الزمان سعيد النورسي (ت 1379 هـ)، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ط 6، دار سوزلر للنشر، القاهرة 2011 م.
21. المثنوي العربي النوري: بديع الزمان سعيد النورسي (ت 1379 هـ)، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، ط 6، دار سوزلر للنشر، القاهرة 2011 م.
22. مجموع الفتاوى: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
23. المستدرك على الصحيحين: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط. 1، دار الكتب العلمية – بيروت 1411 هـ.
24. مسند الإمام أحمد بن حنبل: الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤- ٢٤١ هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط- عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط. 1، ١٤٢١ هـ- ٢٠٠١ م.
25. مقدمة في علم المنطق: د. نايف بن نهار، ط. 3، مؤسسة وعي للدراسات والأبحاث، قطر 2020م.
26. الملاحق: بديع الزمان سعيد النورسي (ت 1379 هـ)، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ط 6، دار سوزلر للنشر، القاهرة 2011 م.
27. من مظاهر رحمة النبي صلى الله عليه وسلم: أبو عائض القاسمي المباركفوري، من موقع (http://darululoom-deoband.com/arabic/articles/tmp/

28. الموجز في المنطق: السيد صادق الشيرازي، ط.2، دار القرآن الحكيم، قم 1409 هـ.
29. مقصد الرحمة في السنة النبوية: رحمة الرسول ﷺ بأهل الكتاب أنموذجا: أحمد عزيوي، https://al-furqan.com/ar/
30. نظرة عامة عن حياة بديع الزمان سعيد النورسي: إحسان قاسم الصالحي، ط. 1، دار سوزلر، مصر 2010م.
31. النورسي الرائد الإسلامي الكبير: أ.د. محسن عبد الحميد، مط. الزهراء الحديثة، الموصل ـ العراق 1987م.

* * *

الهوامش:

[1] المثنوي العربي النوري: 314.

[2] أخرجه البخاري في صحيحه عن سهل الساعدي رضي الله عنه برقم (4210).

[3] المكتوبات: 268، والشعاعات: 161.

[4] خلاصة المنطق: 40.

[5] قاله أرسطو.

[6] التعريف المعجمي: 179 ـ وما بعدها.

[7] ينظر للتفصيل: درس عنوانه: أنواع التعريف وحقيقة كل نوع وشروطه: للشيخ محمد بن محمد المختار الشنقيطي، من موقع (مداد: midad.com)، في 2018/7/22، تأريخ الزيارة 2023/2/20، والموجز في المنطق: 30 -31، وخلاصة المنطق: 40 – وما بعدها.

[8] ينظر: مقدمة في المنطق: 65 ـ وما بعدها، وتشجير المنطق: 24.

[9] اللمعات: 178.

[10] المثنوي العربي النوري: 182.

[11] المكتوبات: 349

[12] الكلمات: 827.

[13] ينظر: اللمعات: 131.

[14] المثنوي العربي النوري: 230، وإشارات الإعجاز: 23.

[15] الكلمات: 631.

[16] الكلمات: 64.

[17] ينظر: الكلمات: 256.

[18] المكتوبات: 127.

[19] الكلمات: 680.

[20] المثنوي العربي النوري: 295. وللإثبات يضرب عدداً من الأمثلة، وهي: (كون بطنك أكمل انتظاماً من بيتك، وجلدك أحسنُ نسجاً من ثوبك، وحافظتك أتم نقشًا من كتابك. فقس على هذه الجزئيات عالمَ الملك وعالمَ الملكوت وعالمَ الشهادة، وعالمَ الغيب والدنيا والآخرة)، ثم يتأسف على من شغله الظاهر والقشر على حساب الأهم وهو الباطن.

[21] المكتوبات: 127.

[22] على سبيل المثال، يقول الإمام النورسي عندما يثبت الحقائق المتعلقة بالذات الإلهية، وتحت عنوان (نسبة القدرة قانونية): (أي: أنها تنظر الى القليل والكثير والصغير والكبير نظرة واحدة متساوية، فهذه المسألة الغامضة سنقرّبها الى الذهن ببعض الأمثلة...) ويورد البيان بالأمثلة، ويقول في موضع آخر: (ونحن هنا سنحاول ان نقرّب الى الافهام شيئاً من تلك الحقيقة العالية ببعض الأمثلة، التي تساعد على ذلك...)، ويقول: (... وكل ما تقدّم من الامثلة والايضاحات – منذ البداية – لصور

الحشر وحقائقه ما هي إلاّ من فيض القرآن الكريم، وما هي إلا لتهيئة النفس للتسليم والقلب للقبول). الكلمات: 97.

[23] المكتوبات: 128

[24] الكلمات: 256.

[25] المكتوبات: 127.

[26] الكلمات: 682.

[27] المكتوبات: 268.

[28] ينظر: الشعاعات: 157 – وما بعدها.

[29] الكلمات: 508. الشعاعات: 165.

30 ينظر للتفصيل: المغني: 13 / 175 ـــ وما بعدها، وتفسير ابن كثير: 1/ 227، والنبي الكريم رحمة للعالمين: القحطاني، من موقع الألوكة، ومقصد الرحمة في السنة النبوية: رحمة الرسول ﷺ بأهل الكتاب أنموذجا: أحمد عزيوي، موقع الفرقان.

31 أخرجه الشيخان في الصحيحين. البخاري برقم (7410)، ومسلم برقم (193).

[32] التفسير الكبير: 22 / 193.

[33] صحيح مسلم برقم (2319).

[34] أخرجه الترمذي في سننه وهو حسن، برقم (1923).

[35] أخرجه الترمذي في سننه، وهو صحيح برقم (1924).

[36] المكتوبات: 388.

[37] اللمعات: 142.

[38] الملاحق: 63.

[39] المكتوبات: 243.

[40] المثنوي العربي النوري: 73.

[41] اللمعات: 143.

42 ينظر: الملاحق: 117، وسيرة ذاتية: 358.

43 الملاحق: 117.

44 ينظر: المثنوي العربي النوري: 295.

45 ينظر: الشعاعات: 127 – وما بعدها.

[46] ينظر: إشارات الإعجاز: 117.

[47] ينظر: المثنوي العربي النوري: 80، والكلمات: 264، والشععات: 366.

[48] الكلمات: 562.

[49] المكتوبات: 250.

[50] الكلمات: 418.

[51] إشارات الإعجاز: 18.

[52] قواعد الأحكام: 402/2.

53 الإبانة الكبرى لابن بطة: 2/ 470.

54 ينظر: شبهات حول الإسلام: 7.

[55] جامع بيان العلم وفضله: 2/ 938.

[56] المكتوبات: 33.

[57] المكتوبات: 255.

[58] ينظر: المصدرنفسه.

59 وجدير بالذكر هنا، إن الشيخ طاهر الشوشي الكوردي (ت 1962م) جعل ما أورده النورسي في رسائل النور في هذه

الحادثة، مادة لقصيدة باللغة الكردية في كتابه عن السيرة وفضائل النبي (صلى الله عليه وسلم) المسمى بـ: (كولزار ـ حديقة الورود)، وأنشد أبياتا باللغة الكوردية يذكر فيها هذه المعجزة وما أثيرت حولها ورد الأستاذ النورسي وجوابه عنها.

ينظر:كولزار: ص 266 ـــ 267، ط. 1، دهوك ـــ العراق، سنة 2013 م، بتحقيق ومراجعة ابنه: د. حمزة الشوشي، وبحثنا: مكانة الأستاذ النورسي عند علماء الكورد ـــ الشيخ طاهر الشوشي أنموذجاً: البحث المقدم في المؤتمر العلمي المقام في جامعة دهوك، كلية التربية ـ عقرة / العراق، في 2 ـ 3/ شباط 2022، وكان عنوان المؤتمر: (الشيخ طاهر الشوشي جهوده وثمراته العلمية).

وأرى تخليداً لذكرى هذا الشيخ الجليل أن أدون شيئاً مما قاله في مخطوطاته عن الأستاذ النورسي ومكانة رسائل النورعنده" رحمة الله عليه وعلى الأستاذ"، حيث قال: (تحديثاً بنعمة الله أقول: لقد وقفت في سبيل الله ـ ولله الحمد ـــ بما في مكنتي: يديَّ وعينيَّ، وقلمي وشفتيَّ، في تحرير وتحبير، وقول وتقرير، وفصل وتصوير، وشكر وتقدير، ونشر وتشهير، تآليف ملا سعيد بديع الزمان،خادم القرآن ـــ دام نفعه ولا سيَّما ـــــ تفسيره الشهير، العديم النظير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. محمد طاهر الشـوشـي). ويقول أيضـاً: (... خادمه، وخادم آثاره، تلميذه المعنوي، المحب المخلص، طاهر بن محمد بن طاهر بن شيخ الإسلام الشوشي، غفر الله له ولهم أجمعين، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين. كتبه في ضوء القمر في الليلة الرابعة عشر من شهر صفر 1374/2/14 هـ).

[60] ينظر: المستدرك: 2/ 871 - 672 رقم الحديث (4227 -4228، والتفسير الكبير: 31 / 196، وكشف الخفاء: 192/2، وشرح الشفا: 13/1، ومجموع الفتاوى: 96/11 – وما بعدها.

61 ينظر: مجموع الفتاوى 11/ 96 – وما بعدها.

62 الكلمات: 76.

[63] الشعاعات: 622.

64 كما قاله صلى الله عليه وسلم عن نفسه: (إنَّما أنا أعلمُكُم باللهِ وأخشاكم له) كما أخرجه البخاري في صحيحه برقم 5063 عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

ثم أعبد الناس هو من يتقي المحارم كما حدده الرسـول صـلى الله عليه وسـلم في حديث أبي هريرة رضـي الله عنه: (اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ)، كما أخرجه الترمذي في سننه بسند حسن برقم 2305.

ومعلوم أنه صـلى الله عليه وسـلم هو الأعبد من بين الناس، لعصـمته، ولأنه لم يقترف ذنباً واتقى المحارم، فهو أتقى الناس صلى الله عليه وسلم.

65 المثنوي العربي النوري: 74.

66 كما سيأتي في الحديث الصحيح في مسند أحمد.

67 المثنوي العربي النوري: 74.

68 المثنوي العربي النوري: 74.

69 العبثية: مدرسة فكرية أدبية، تنسب الريادة فيها إلى الأديب الجزائري الفرنسي (ألبير كامو)، صاحب العمل الأدبي أسطورة (سيزيف)، تدعي هذه المدرسة أن الإنسان ضائع، لم يعد لسلوكه معنى في الحياة المعاصرة، ولم يعد لأفكاره مضمون،... ومعلوم أن نفي المعنى عن الحياة، نابع عن عدم الإيمان بمنظومة الغيب والنبوة والرسـالات والعقاب والثواب الآتي من عالم الغيب. ينظر: بحثنا غير المنشور (عبثية الخلق وأصولها الفكرية ـ دراسة وتحليل)، ص 3 -4.

[70] الشعاعات: 222.

[71] المثنوي العربي النوري: 107.

[72] صيقل الإسلام: 161.

[73] مجموع الفتاوى: 96/11 – وما بعدها.

74 من مباحث علوم الحديث: الجرح والتعديل ومصـطلحاته، والتخريج، وعلل الحديث والرجال، والدراية، والرواية، وتاريخ الحديث وتدوينه، والمصـطلح وأنواع الحديث. وهناك علوم تخدم المصـطفى صـلى الله عليه وسـلم وهي متعلقة بذاته، منها: السـيرة والتاريخ، والشـمائل والصـفات والأخلاق والآداب، ودلائل النبوة وصـدقه بمعجزاته، وخصـائصـه وخصوصياته وما انفرد به من الأمور. فهو صلى الله عليه وسلم في كل حركة من حركاته، دروس إيمانية وتربوية، ووراثها الحكم والمواهب، بل في كل قول له وكل فعل له وكذا حتى سـكوته فيها الحُكم والحِكم. ينظر: مباحث إيمانية في محاضرات مسجدية: أ.د. أميد المفتي، 62.

75 المكتوبات: 597.

76 ينظر: اللمعات: 78.

[77] النورسي الرائد الإسلامي الكبير: أ.د. محسن عبد الحميد، 23.

[78] نظرة عامة عن حياة بديع الزمان سعيد النورسي: أ. إحسان قاسم الصالحي، 137 – 138.

[79] ينظر: نظرة عامة عن حياة...: 138 – 139، والكلمات: 386 – وما بعدها، المكتوبات: 438 – 439، واللمعات: 126– وما بعدها، والتأويل في رسائل النور: 165 – وما بعدها.

[80] اللمعات: 142.

[81] اللمعات: 73.

[82] اللمعات: 74.

[83] المثنوي العربي النوري: 171.

اليأس وأثره في الركود الحضاري من خلال رسائل النور
- دراسة تحليلية-

د أ.د. فيروز عثمان صالح
قسم الدراسات الإسلامية ـ كلية الآداب ـ جامعة الخرطوم

- ملخص-

تستهدف هذه الدراسة التأكيد على الدور الإحيائي والنهضوي الحضاري الذي قامت به رسائل النور، فقد بيَّنَ الأستاذ النُّورسي في الرسائل بدقةٍ وجلاءٍ أسباب تراجع الأُمَّة حضارياً في واقعنا المعاصر، كما بيّن وسائل بعثها وإحيائها وبناء مستقبلها، مؤكداً على أن اليأس هو المانع الأول من النهوض الحضاري، وسبب تراجع الأُمَّة وفقدانها لدورها الريادي، وانطلاقاً من إيمانه بتأثير (ثقافة الأمل) ودورها الإيجابي في إحياء الأُمَّة وبعثها مرّة أخرى لتحقيق غاية كمالها الممكن، بشَّر الأستاذ بمستقبل أفضل للمسلمين، وأكَّد على أنَّ حسنات الحضارة ستتغلب على سيئات المدنية الحاضرة في ظل العمل الإيجابي وفق دساتير القرآن، وبرهن على إمكان الترقي المادي والمعنوي للأُمَّة وسيادة السلام العالمي في ظل المدنية الإسلامية.

الكلمات المفتاحية: الإصلاح، اليأس، الأمل، الإحياء، المدنية، المستقبل.

Despair And its Debilitating Effect on Civilization, as in the Risalei Nur- an Analytical Study-

Prof.Dr. Fyrouz Osman Salih

–Abstract–

This study emphasizes the cultural renovative role played by the Risale-i Nur. In his Risale-i Nur, Said Nursi pinpointed the reasons for the Ummah's cultural decline in our time, and the means of resurrecting it and building its future.

He stressed that despair is the first obstacle to civilizational advancement, and the reason for the Ummah's decline and its loss of its pioneering role. Based on his belief in the influence of the "Culture of Hope" and its positive role in reviving the Ummah and bringing it to its highest, he heralded a better future for Muslims, and stressed that the good deeds of civilization would overcome the bad deeds of present urbanization in light of positive work in accordance with the teachings of the Qur'an. He demonstrated the possibility of the material and moral advancement of the Ummah and the rule of world peace under Islamic civilization.

Keywords: reform, despair, hope, revival, civilization, future.

* * *

مقدمة:

الحَمْدُ لله الذي جعل الإصلاح وسيلةً لرقي البشر وسبيلاً للنهوض الحضاري، مصداقاً لقوله تعالى: "وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ"[1].

والصلاة والسلام على نبيِّ الرحمةِ ووريثِ النّبُوة والحضارةِ ومرشِدها وقائِدها وإمامِها، وعلى آله وصحبه أجمعين... وبعد

لقد أدرك كثيرٌ من المصلحين الذين نذروا أنفسهم لمهمة إحياء الأمة وبعثها ــ وفي مقدمتهم الإمام النُّورسي (1877–1960م) * أن تنزيل المشروع الحضاري في أرض الواقع منوطٌ برفع وعي الأمَّة وإدراكها، حتى لا يتم التنفيذ من غير وعي، أي أن المسألة تحتاج إلى إعادة تشكيل الذهن وتعميق التصور ورؤية الرسالة الحضارية للإسلام ورؤيتها الشاملة للإنسان في الزمان والمكان، لأنّ كلّ عملية بناء جاد لابد أن تُسبق

بفكرة تُطبع في قلوب أصحابها وعقولهم، وما فعالية رسائل النور إلاّ نتيجة انطباع معانيها في القلوب والعقول.

لقد أدرك النُّورسي بفكره الثاقب أن ثمة أموراً سلبية تعيق حركة الإحياء والبعث الحضاري وتزلزل ثقة الأمّة في وعد الله تعالى لها بالنصر أو التمكين، وتحدث ضباباً فكريّاً كثيفا وبلبلةً معنوية، تؤدي إلى تبعثر الطاقات والهِمم في الإحياء كما هو المُلاحظ في واقع أُمتنا التي أصبحت في ذيل التطور والازدهار نتيجة عدولها عن الأخذ بالأوامر الإلهية، وإهمالها للسنن التكوينية الربانية، فباتت في ضياع فكري حتى مُنيت جهودها بالفشل المادي والمعنوي أمام أعدائها، وأخفقت في عملية التَصدِّر الريادي والقيادي في السمو[2]، كما قال الله تعالى: "وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا"[3].

وبالرغم من هذا الواقع المؤلم والحال المرير إلاّ أنَّ بوادر الخيرِ الكامنة في جوهر فطرة المسلم قد ازدهرت نمت في البلاد الإسلامية، وهي مبعث أمل استعادة الأمة مسار طريق الرقي الحضاري، وتستشرف أفق النهوض والازدهار ضمن الأخذ بأسباب النهوض وترتيبها وفق الأولويات التي اعتبرها الشارع الكريم.

أولا: **الأستاذ النُّورسي صاحب مشروع وباعث أمّة:**

إنّ بديع الزمان النُّورسي – رحمه الله – كان عارفاً بأحداثِ عصرَه وتقلباتِها ومصائِبها ومهلكاتِها وكان عميق الحكمةِ وثاقب البصيرةِ، فيما يتجه إليه مصير الأُمّة، ودائم القلق على هذا المصير، يقول رحمه الله" إنّ أمامي حريقاً مدهشاً يحترق فيه أبناء أمتي يحترق فيه إيمانهم وعقيدتهم، فها أنا ذا أحاول أن أُطفئ ذلك الحريق فيعرقلني واحد فيصدم به رجلاي فلا قيمة لذلك"[4]. ونراه يردد:"إنه لا يقلقني سوى المخاطر المُحدِقة بالإسلام فقلعة الإيمان إذن في خطر داهم. لذا لا قلق لي إلا هذا ولا أضطرب إلا مِن هذا بل ليس عندي زمن أُضيّعه في التفكير في التعب والمشاق التي أتعرض لها بنفسي، وليتني أتعرض لألف ضعف من شقائي ويسلم مستقبل قلعة الإيمان... ولم ينقطع رجائي وأملي للمستقبل_ تماماً"[5].

فقد عاصر بديع الزمان سعيد النُّورسي عهد السلطان (عبد الحميد الثاني) أواخر عمر الدولة العثمانية الآيلة للسقوط، وعاصر تكالب الأعداء وتزاحمهم للقضاء على هذه الدولة. وخاض الشعب التركي حرباً تحريريةً ضد الغزاة وهي التي تسمى "حرب الاستقلال". ولكن ما إن استقر الأمر وطرد الغزاة حتى ظهر العداء السافر للإسلام ومحاولات جادة لقلع الإيمان الراسخ في قلب الأمّة. ففي عام 1922م وُضعت قوانين

وأُتخذت قرارات لقلع الإسلام من جذورة و إخماد جذوة الإيمان في قلب الأُمة. فأُلغيت السلطنة العثمانية في (1922/11/1م) وأعقبه إلغاء الخلافة في (1924/3/3م)ـ فانتشرت المقوّمات والتقاليد والأفكار والفلسفات المادية الغربية والعَلمانية المعادية لمبادئ القرآن[6].

وأمام هذه الأعاصير الهائلة المزعزعة للحياة الاجتماعية بأسرها، ظهر بديع الزمان ليحمل هموم الأمَّة ويقوم بأعباء رسالة (البعث والنهوض الحضاري) من خلال تأليفه لرسائل النور ونشرها بين طبقات الأمَّة في ظروف غاية في الدقة والصعوبة[7].

لقد ساقته – رحمه الله – الظروف لأن يقف موقف التبني لأوضاع أمته ومآلها، إذ كان في قلب الجبهة، وفي مواجهة الصراع.. فضلاً عن ما كان له من إيمان روحي راسخ ومن حظوظ علمية تهيّئه لأن ينهض بالدور الإحيائى الذي تفرضه عليه المرحلة فكان لا مناص له من أن يتحمل المسؤولية وأن يؤدي واجبه في الإحياء وبعث المقومات[8]، يقول محمد البنعيادي" الأستاذ سعيد النُّورسي صاحب مشروع وباعث أمّة، رسائله إسهامات بارزة في تحريك الحس الحضاري، وإيقاظ الشعور الجماعي للأُمَّة. إن الذي يتدبر رسائل الرجل يشدّه هذا التفكير العميق والنظر الطويل والتأمل البصير في البحث عن علل وأزمات الأمة واقتراح الحلول لها"[9].

أسباب التراجع الحضاري للمسلمين (موانع النهوض):

لقد كان الأستاذ النُّورسي_ رحمه الله_ يعي ويُدرك أن "الحضارات _ بما في ذلك الحضارة الإسلامية _ جهد بشري، وهي بطبيعة بشريتها تبقى خاضعة للسقوط والنهوض والخطأ والصواب كلما توفرت لها عوامل ذلك"[10].

لكن الفرق بين حضارة الإيمان وحضارة الجبت والطاغوت أنّ الأولى تمتلك وجهة ومقاصد واضحة، لأنها مؤطرة بمعرفة الوحي، وتمتلك قيماً تقوّم وتسدد بها مسيرتها، وتمتلك بها إمكان المعاودة والنهوض من جديد. فهي حضارة لا يتعطل فيها الفعل الحضاري بالكلية. والثانية _ أي حضارة الجبت والطاغوت_ بائدة مهما طال عمرها.

والنُّورسي كان يدرك ويعي حقيقة التراجع والسقوط الحضاري للمسلمين في عصره،" فقد عاش في مرحلة مضطربة كانت تموج فيها الأحداث موجاً، وتوضع الخطوط العريضة والكبرى للعالم المعاصر، وكان ذا معرفة بخبايا القوى الغالبة وخفايا الحضارة الظاهرة، وانطلاقا من هذا نقرأ في رسائل النور ما يثبت حسن قراءة الأستاذ

النُّورسي لأحداث عصره في تركيا، وفي العالم الإسلامي وإدراكه لحقيقة الحضارة الغربية وأسسها وأسباب قوتها وضعفها"[11].

فهو يصف في كلام قصير حالة عصره وعللها ويصف في ذات الوقت العلاج، فيقول في المكتوبات "عصر مريض، وعنصر سقيم، وعضو عليل، وصفتها الطبية هي اتِّباع القرآن"[12]. وفي الخطبة الشامية حدد النُّورسي –رحمه الله- تلك الأمراض والعلل التي أدت إلى التراجع الحضاري قائلاً:"لقد تعلمت الدروس من مدرسة الحياة الاجتماعية البشرية وعلمت في هذا الزمان والمكان أن هناك ستة أمراضٍ جعلتنا – أي المسلمين – نقف على أعتاب القرون الوسطى في الوقت الذي طار فيه الأجانب- وخاصة الأوربيين– نحو المستقبل وتلك الأمراض هي: **أولاً**: حياة اليأس الذي يجد فينا أسبابه وبعثه، **ثانياً**: موت الصدق في حياتنا الاجتماعية والسياسية، **ثالثاً**: حب العداوة، **رابعاً**: الجهل بالروابط النورانية التي تربط المؤمنين بعضهم ببعض، **خامساً**: سريان الاستبداد، **سادساً**: حصر الهمة في المنفعة الشخصية.[13]

إذن فقد استقرأ الأستاذ النُّورسي أحداث عصره وعايش هموم الأمَّة الإسلامية، باحثاً عن أسباب تراجعها وتخلفها ووسائل بعثها وبناء مستقبلها، فقد أدرك_ رحمه الله _ أنَّ أول الطريق للاستئناف الحضاري هو الإقرار بحقيقة تراجع الأمَّة، وأنَّ تشخيص الداء أول خطوة في وصف العلاج، وأن العقبات هي في حقيقتها حافز للنهوض وهو الأمر الذي يؤكد على نباهته الحضارية، وعلى قدرته علي التعاطي الإيجابي مع معطيات زمانه ومكانه بتعقيداتها النظرية والعملية.

ثالثا: رجل القدر يبحث عن نور (أمل) بين ظلمات (اليأس):

من الأساليب التربوية للأستاذ النُّورسي أسلوب الحوار، وكان يستخدم هذا الأسلوب في تبليغ المعاني الحضارية الراقية، ومن هذه النصوص (حوار في رؤيا)، ولم تكن رؤيا في منام بل رؤيا صادقة هي يقظة في الحقيقة كما أكّد النُّورسي، فقد كان النُّورسي يبحث عن أمل ونور بين ظلمات اليأس المتكاثفة القاتمة الذي ولدته حوادث الدهر عام 1919م وهو عام سقوط الدولة العثمانية ودخول الأجانب البلاد، يقول النُّورسي (دخلت عالم المثال في ليلة من ليالي الجمعة، ورأيت مجلساً منوراً قد حضره السلف الصالحون، وممثلون من العصور.... لم أر مثيلهم في الدنيا.... قال أحدهم موجهاً كلامه لي _ يارجل القدر!.. ويارجل عصر النكبة والفتنة والهلاك![14]

وفي ذلك المجلس وجُهت للنُّورسي أسئلة تتعلق بواقع الأمَّة وحاضرها وتستشرف المستقبل، ردّ عليها مبشّرا بأنَّ: "هزيمة الدولة العثمانية رغم أنها مصيبة ليست شراً محضاً، فقد تنشأ السعادة من النكبة والبلاء، فالدولة العثمانية التي حملت راية الخلافة إعلاءً لكلمة الله وزوداً عن استقلال العالم الإسلامي. ستعوّض عمّا أصابتها من مصيبة وستزيلها السعادة التي سوف يرفل بها عالم الاسلام[15]. وقد وزان النُّورسي بين أسس المدنية الحديثة والمدنية التي تأمرنا بها الشريعة، فأكّد أن المدنية الحديثة تُفضي إلى الاعتداء والتزاحم والتنازع والتصادم ومسخ الإنسان معنوياً*.

وزفَّ رحمه الله البشرى بأن المدنية التي تأمرنا بها الشريعة الغراء وتتضمنها، هي التي ستنكشف بانقشاع هذه المدنية الحاضرة، وتضع أسساً إيجابية بنَّاءة مكان تلك الأسس النخرة الفاسدة السلبية نعم! إن نقطة استنادها هي الحق بدلاً من القوة! والحق من شأنه: العدالة والتوازن. وهدفها: الفضيلة بدلاً من المنفعة، والفضيلة من شأنها: التجاذب. وجهة الوحدة فيها والرابطة التي تربط بها المجموعات البشرية: الرابطة الدينية والوطنية، والمهنية بدلاً من العنصرية، وهذه شأنها: الأخوة الخالصة، والسلام والوئام، والزود عن البلاد عند تجاوز الأجانب.

ودستورها في الحياة: التعاون بدل الصراع والجدال، والتعاون من شأنه التساند والاتحاد. وتضع الهدى بدل الهوى ليكون حاكماً على الخدمات التي تقدم للبشر، وشأن الهدى: رفع الإنسانية إلى مراقي الكمالات فهي إذن تحدد الهوى وتحدُّ من النزعات النفسانية وتطمئن الروح وتشوقها إلى المعالي[16]، ومادام الميل نحو الكمال قانوناً فطرياً في الكون وقد أُدرج في فطرة البشرية، فإن الحق والحقيقة سيظهران في المستقبل على يد العالم الإسلامي إن شاء الله[17]، كما يبشّر النُّورسي.

إذن فإن النَّورسي كان يبصر وسط ركام الآلام الذي أثقل فؤاده نوراً يُنسيه الآلام. لذا نجده يردد" إنني أستطيع أن أتحمّل كل آلامي الشخصية، ولكن آلام الأمَّة الإسلامية سحقتني، إنني أشعر بأن الطعنات التي وُجهت إلى العالم الإسلامي كأنها وُجهت إلى قلبى أولاً ولهذا ترونني مسحوق الفؤاد ولكن أرى نوراً ينسينا هذه الآلام إن شاء الله تعالى[18].

رابعا: اليأس مانع من انهوض الحضاري:

ربط الأستاذ النُّورسي بين اليأس والنهوض الحضاري، مؤكداً أنه من الموانع الرئيسة

والمعوقات الأساسية المؤدية لتراجع المسلمين وتمكّن الاستعمار الغربي فيهم، فيقول" إنّ اليأس داء قاتل، وقد دبّ في صميم قلب العالم الإسلامي... وهذا اليأس هو الذي أمات فينا الروح المعنوية التي بها استطاع المسلمون أن يبسطوا سلطانهم على مشارق الأرض ومغاربها بقوة ضئيلة، ولكن ما إن ماتت تلك القوة المعنوية الخارقة باليأس حتى تمكن الأجانب الظلمة – منذ أربعة قرون- أن يتحكموا في ثلاثمائة مليون مسلم[19]، ويكبلوهم بالأغلال"[20].

ويؤكد النُّورسي أن اليأس هو المانع لترقي الأمم ونهوضها قائلاً:" إنَّ اليأس داء عضال للأمم والشعوب، أشبه ما يكون بالسرطان وهو المانع من بلوغ الكمالات"[21]. وكذلك يقول: "اعلموا أنَّ اليأس مانعُ كلَّ كمال"[22]، فإن الذي ينفث في أوروبا الحياة هو الأمل.. والذي يقتلنا هو اليأس[23].

وبعد تحذيره- رحمه الله- من تلك العلة يصف الدواء من فيض صيدلية القرآن أسوة بالأمراض الستة التي بيّن علاجها بست كلمات[24]،- يقول رحمه الله- "فما دام هذا الداء قد فتك فينا إلى هذا الحد... فنحن عازمون على أن نقتص من قاتلنا فنضرب رأس ذلك اليأس بسيف الآية الكريمة "لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ"[25].[26]

ويبدو واضحاً لمتصفح رسائل النور عموماً والخطبة الشامية على وجه أخص أنها جعلت من بثّ الأمل والتبشير بمستقبل أفضل للمسلمين إحدى أكبر مقاصدها وحقائقها. فالآية الكريمة السابقة – على سبيل المثال- قد ورد ذكرها فى مواضع كثيرة من رسائل النور على نحو ينسجم مع مشروعه النهضوي للأمَّة[27]. بل إنه قد استهل الخطبة الشامية التي تجسد معالم هذا المشروع بها[28]. فالآية الكريمة "تحول بين الأمَّة وبين الانطفاء والزوال-باليأس- وتبعث على الحياة بل أنها ضياء يتجاوز الأمَّة لينير العالم أجمع"[29]؛ فثقافة الأمل من محركات الإقلاع والاستئناف الحضاري في رسائل النور "فالإيمان يفتح باب الأمل المشرق"[30].

إذن فهزيمة اليأس هو شرط تحقق (حركة الحياة وفعاليتها)[31]، "لذا ينبغي النظر إلي الأمور بمنظار رسائل النور والسعي في الخدمة السامية بجدٍ وشوقٍ كلما ازدادت المشكلات"[32].

خامسا: رسائل النور تؤكد على قابلية الأمّة الإسلامية للترقي المعنوي والمادي:

يؤكد النُّورسي في رسائل النور على إمكان وقابلية الأُمَّة للترقي والبعث الحضاري، ويزفّ البشرى بمستقبل أفضل للمسلمين، يقول في الخطبة الشامية في الكلمة الأولى "الأمل"* "يسرني أن أزفَّ إليكم البشرى يا معشر المسلمين، بأنه قد أزف بزوغ أمارات الفجر الصادق ودنا شروق شمس سعادة عالم الإسلام الدنيوية. فإنني أعلن بقوة وجزم بحيث أُسمع الدنيا كلَّها وأنف اليأس والقنوط راغم: أن المستقبل سيكون للإسلام وللإسلام وحده، وأن الحكم لن يكون إلا لحقائق القرآن والإيمان"[33]، وحاكمية القرآن والإسلام على المستقبل منبثقة من طبيعته أولاً، ومن مضمونه ثانياً، وفضلاً عن ذلك فإن للإسلام استعداده المعنوي للرقي ممّا يجعل سيادته في المستقبل مُتْيقّنة لا مراء فيها[34].

وبقراءة فاحصة وعميقة لواقع عصره فإن الأستاذ النُّورسي يبين الأسباب والموانع التي حالت دون استيلاء حقائق الإسلام والإيمان وسيادة حكم القرآن استيلاءً تاماً، مع تأكيده أن قسماً من تلك الأسباب قد زال، وقسماً آخر في طريقه للزوال يقول رحمه الله في الخطبة الشامية" لقد حالت ثمانية موانع دون استيلاء حقائق الإسلام على الزمان الماضي استيلاءً تاماً وهي: المانع الأول والثاني والثالث: جهل الأجانب، وتأخرهم عن عصرهم (أي بعدهم عن الحضارة)، وتعصبهم لدينهم. فهذه الموانع الثلاثة بدأت تزول بفضل التقدّم العلمي ومحاسن المدنية. المانع الرابع والخامس: تحكم القسيسين وسيطرة الزعماء الروحانيين على أفكار الناس وأذهانهم، وتقليد الاجانب لأولئك القسيسين تقليداً أعمى، فهذان المانعان أيضاً يأخذان بالزوال بعد انتشار حرية الفكر وميل النوع البشري إلى البحث عن الحقائق.

المانع السادس والسابع: تفشي روح الاستبداد فينا، وانتشار الأخلاق الذميمة من مجافاة الشريعة ومخالفتها. فإن زوال قوة استبداد الفرد الآن يشير إلى زوال استبداد الجماعة والمنظمات الرهيبة بعد ثلاثين أو أربعين سنة. ثم إنّ فوران الحمية الإسلامية والوقوف على النتائج الوخيمة للأخلاق الذميمة كفيلان برفع هذين المانعين بل هما على وشك أن يرفعا، وسيزولان زوالاً تاماً إن شاء الله. توهَّم وجود التناقض بين مسائل العلم الحديث والمعنى الظاهري لحقائق الإسلام[35]، وقد بيّن النُّورسي رحمه الله أنّ رسائل النور ولا سيَّما رسالة "المعجزات القرآنية- فضلاً على مؤلفات قيّمة لعلماء الإسلام قد تصدت لهذا المانع وهدمت قسماً كبيراً منه، وأن كل الأمارات تدل على أن هذا المانع الثامن سيضمحل تماماً"[36].

وزفّ النُّورسي- رحمه الله- البشرى بزوال الموانع الثمانية قريباً بالعلم، والمعرفة

الحقيقية ومحاسن المدنية*، وذلك ببعثها روح التحري عن الحقائق والإنصاف والمحبة الإنسانية وإرسالها إلى جبهات محاربة تلك الأعداء الثمانية.[37] وسوف تتغلب بإذن الله محاسن المدنية بفضل قوة الإسلام التي ستسود في المستقبل وتطهر وجه الأرض من الأدناس وتحقق أيضاً سلاماً عاماً للبشرية قاطبة[38]. فإن لكل شتاء ربيعاً ولكل ليلٍ نهاراً فلواء الإسلام العادل العظيم سيُرفع خَفاقاً ليرفرف في آفاق الكمالات"[39].

سادسا: الأنبياء أرباب وهُداة التقدّم والرقي المعنوي والمادي:

إن النصرة والتمكين لدين الإسلام الذي حمل لواءه وجذوره أول رسالة في الأرض لمّا خلق الله آدم عليه السلام، واستخلفه واستعمره في الأرض وأرشده بالوحي والعلم. ثم أرسل سبحانه من بعده نوحاً وإبراهيم عليهما السلام، إلى أن أرسل لبنة التمام محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والرسل.[40]

فالأنبياء هم هداة الترقي المادي والمعنوي. وقادة الطريق الكمالات الروحية والعقلية، وقد أكّد النُّورسي أنّ في قصصهم ومعجزاتهم الواردة في القرآن الكريم تحريكٌ لأجهزة الاستقبال في الأرواح المتطلعة للسمو، وتحفيزٌ للترقي، وتشجيعٌ للبشر للوصول إلى أشباهها إذ يقول في إشارات الإعجاز: "كأنّ القرآن بتلك القصص يضع إصبعه على الخطوط الأساسية ونظائر نتائج نهايات مساعي البشر للترقي في الاستقبال الذي يُبنى على مؤسسات الماضي الذي هو مرآة المستقبل، وكأنّ القرآن يمسح ظهر البشر بيد التشويق والتشجيع قائلاً: اسع واجتهد في الوسائل التي توصلك إلى بعض تلك الخوارق"[41].

ويشرح ذلك قائلاً: "إنّ القرآن بذكره معجزات الأنبياء، إنّما يدل البشرية على أنّ نظائر تلك المعجزات سوف تتحقق في المستقبل بالترقي، ويحث الإنسان على ذلك وكأنه يقول: هيا اعمل واسع لتنجز أمثال هذه المعجزات، فاقطع مثلاً مسافة شهرين في يوم واحد كما قطعها سليمان عليه السلام، واعمل على مداواة أشد الأمراض المستعصية كما داواها عيسى عليه السلام،... وابحث عن المواد التي تقيك شر الحرق بالنار وألبسها كما لبسها إبراهيم عليه السلام، والتقط أبعد الأصوات وأسمعها وشاهد الصور من أقصى المشرق والمغرب كما فعل ذلك بعض الأنبياء...، ووهكذا قياساً على هذا نجد أن القرآن الكريم يسوق البشرية إلى الرقي المادي والمعنوي"[42]. وبهذا يمكن" للنفس أن تخرج إلي غاية كمالها الممكن لها في العلم والعمل"[43].

سابعا: القرآن الكريم باعثٌ على الترقي الحضاري للمسلمين:

إن تاريخ الحضارة الإسلامية ارتفعت فيه الدول وسقطت*، لكن لم تنطفئ فاعلية المجتمع فيه تماماً، وما ماتت ولم يتعطل الفعل الحضاري بالكلية[44]، وذلك أن الحضارة الإسلامية تملك خاصية الإحياء والبعث متى ما توفرت شروط معينة، ولها قابلية الترقي والنهوض المادي والمعنوي أو كما يقول الأستاذ النُّورسي:"إن حقائق الإسلام تمتاز باستعدادها، استعداداً كاملاً لرفع أهلها إلى مراقي التقدم المادي والمعنوي معاً"[45].

والنُّورسي يؤكد على أن الباعث على الرقي المعنوي هو القرآن والإيمان فيقول في الخطبة الشامية:" نحن معاشر المسلمين خدام القرآن نتبع البرهان ونقبل بعقلنا وفكرنا وقلبنا حقائق الإيمان،... وعلى هذا فإن المستقبل الذي لاحكم فيه إلّا للعقل والعلم سوف يسوده حكم القرآن الذي تستند أحكامه على العقل والمنطق والبرهان"[46].

لذا تطالب رسائل النور بضرورة "الرضى بالقدر الإلهي وبما قسمه الله لنا، إذ لنا مستقبل زاهر"[47]، ويؤكد النُّورسي ذلك في مقام آخر قائلاً: "نعم، كونوا على أمل، أن اعظم صوت مدوّ في انقلابات المستقبل هو صوت الإسلام الهادر"[48]، وأن "اعظم صوت مدوٍّ في المستقبل هو صوت القرآن العظيم"[49].

ولا شك أنّ "المؤمن يتمتع بالغلبة بقدر التزامه باحكام القرآن، لهذا فالنجاح والفلاح به مشروط بتصديقه قلباً وعقلاً مع صدق العمل على تجسيده في الواقع المعيش، فيتحول القول بالقرآن إلى أعمال وأحوال تُرى تصرفات في شعاب الحياة"[50].

لذا فقد اجتهد الأستاذ النورسي في بعث المسلمين بعثاً قُرانياً يستوعب حضارة العصر، لكنه لا يحمل أوزارها وسيئاتها وإبعادها للدين والقيم والأخلاق عن الفعل الحضاري، يقول رحمه الله:" إن القرآن الكريم مرشدنا وأستاذنا وإمامنا ودليلنا في أعمالنا"[51].

وينبّه الأستاذ النُّورسي إلى"أنّ أثر القرآن في التقدم (الحضاري الإسلامي) لا يُنكر، فالقرآن هو الذي دفع العرب إلى فتح العالم، ومكنهم من إنشاء امبراطورية فاقت إمبراطورية الإسكندر الكبير، والإمبراطورية الرومانية سعةً وقوةً وعمراناً وحضارة"[52].

فمحمد صلى الله عليه وسلم كما يقول النُّورسي رحمه الله "أخرج قومه من زوايا النسيان ورقى بهم إلى أوج المدنية وصيّرهم معلمي عالمهم، وأسس لهم دولة عظيمة في زمن قليل، فاصبحت كالشعلة الجوالة والنور النوار بل كعصا موسى تبتلع سائر الدول وتمحيها"[53].

تلك الدولة التي ولّدت ما ازدهر به التاريخ الإسلامي من المعارف والآداب، والصنائع والفنون فكان المسلم-الذي يمتلك قابلية الترقي المعنوي والمادي- هو منشئ تلك الآثار الباهرة من الحضارة، وسيّدها ومعمّرها بإيمانه القوي، وروحه المتقدة وفكره المتوثب، وخلقه الطاهر وسلوكه الأمين. فالإسلام لم يكن أبداً معرقلاً للفعل الحضاري، بل بالعكس من ذلك كان مُشئاً لحضارة مستقلة بذاتها، وأبعد من ذلك ساهمت من جانبها في تطور الحضارة الإنسانية. وذلك هو أهم الأمارات والأسس لحيوية الإسلام وحركيته لذا فإن الأستاذ النُّورسي يُنبه الأمَّة بالأخذ بأسباب التفوق المادي، لأن ذلك هو الذي يكفل لها الفاعلية والحركية، ويكفل لها قدرة التأثير لأن الأمم كما يقول: "لا تتبع ولا تعبأ إلا بالأمَّة القوية المتحكمة في المادة ومصيرها، وبما أننا أُمَّة تبليغ، فالتبليغ بات اليوم العلم ولا بد من تكنولوجيا رائدة، وبات أيضاً احتذاء، إذ لا بد من المكانة المكينة التي تغدو فيها سيرتنا محل أسوة وإقتداء"[54].

ثامنا: عمارة الارض بالعمل الإيجابي البناء:

دلّت الأدلة الأصلية للشريعة الإسلامية (المصادر التأسيسية) على أنّ للشريعة الإسلامية مقاصد، والمقصد الأساسي العام للشريعة الإسلامية هو تحقيق مصالح العباد بعِمارة الأرض وحفظ نظام التعايش فيها وصلاحها بصلاح المستخلفين فيها، وقيامهم بما كُلّفوا به من عدل واستقامة وصلاح في العقل والعلم والعمل وإصلاحٍ في الأرض واستنباط لخيراتها وتدبير لمنافع الجميع[55]، يقول الامام الغزالي:" فإنّ جلب المنفعة ودفع المضرة مقاصد الخلق وصلاح الخلق في تحصيل مقاصدهم"[56]، لذا يؤكد النُّورسي على "إن وظيفتنا هي العمل الإيجابي البنّاء وليس السعي للعمل السلبي الهدام" إننا مكلفون بالقيام بالخدمة الإيمانية البناءة التي تُثمر الحفاظ على الأمن"[57].

إن الاستخلاف في الأرض في نظر الأستاذ النُّورسي يعني القدرة على العِمارة والإصلاح، لا على الهَدّم والإفساد، والقدرة على تحقيق العدل والطمأنينة، لا على الظلم والقهر، والقدرة على الارتفاع بالنفس البشرية والنظام البشري، لا على الانحدار بالفرد والجماعة إلى مدارك الحيوان[58]، وهكذا سار النُّورسي بالتأويل في مسار التثقيف المادي النافع والمفيد[59].

فالقيام بعِمارة الأرض والأخذ بأسباب الترقي والتحضر والتمدن من فروض الكفايات" أي أنه أمرٌ تشريعيٌ توجه للأمَّة كلها دون أمر الأفراد بأعيانهم" *لضرورتها في حياة الخلق ومصالحهم، ويُعد ترك الناس لها كما يؤكد الإمام الشاطبي مدعاة لانخرام

النظام[60] الذي هو أعظم مفاسد الأمم والمجتمعات وتُؤثم الأمَّةُ بتركهم هذا الواجب العام[61]. لذا فإن الأستاذ النُّورسي جعل من الحث على الرقي المادي أحد مقاصد رسائل النور" إن مقاصدنا هو سوق الجميع بشوق وجداني إلى كعبة الكمالات بطريق الرقي، إذ الرقي المادي سبب عظيم لإعلاء كلمة الله".[62]

وأرجع الأستاذ النُّورسي التراجع المادي للمسلمين إلى أمرين: الأول نفسي، والثاني عملي راجع إلى الفتور في السعي الذي يخالف الأمر القرآني القاضي بـ "وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى"[63]. "فإن المصالح والخيرات واللذات والكمالات، كلها لا تنال إلا بحظٍ من المشقة"[64].

وقد حدث ذلك التقاعس العملي بفعل تلقين ثقافة الخمول والتواكل من قبل "وعاظ جاهلين لم يدركوا أن إعلاء كلمة الله في الوقت الحاضر يتوقف على الرقي المادي، ولم يفرقوا بين قناعتين بعيدتين عن بعضهما: القناعة في التحصيل والكسب، وهي المذمومة، والقناعة في المحصول والأجرة وهي الممدوحة"[65].

والسبب الثاني هو النفور من العمل اليدوي زراعةً وصناعةً وغير ذلك، والإقبال على الوظيفة الحكومية، لذلك يؤكد النُّورسي أن "الطريق المشروع للمعيشة والسبيل الحيوي إليها هو الصناعة والزراعة والتجارة أما الطريق غير الطبيعي فهو الوظيفة الحكومية والإمارة بأنواعها"[66].

وبالرغم من ذلك فإن النورسي يؤكد علي "استعداد الإسلام معنوياً للرقي المادي وسيادته في المستقبل. لأن في قلب الشخصية المعنوية للعالم الإسلامي قد اجتمعت وامتزجت خمس قوى لا تُقهر، وهي في منتهى الرسوخ والمتانة. **القوة الأولى:** "الحقيقية الإسلامية" التي هي أستاذ جميع الكمالات والمثل والمجهّزة بالمدنية الحقيقية والعلوم الصحيحة. **القوة الثانية:** "الحاجة المُلحة" التي هي الأستاذ الحقيقي للمدنية والصناعات المجهزة بالوسائل والمبادئ الكاملة.. وكذا "الفقر" الذي قصم ظهرنا. **القوة الثالثة:** الحرية الشرعية التي تعني التحلي بأسمى مايليق بالإنسانية من درجات الكمال والتشوق والتطلع إليها. **القوة الرابعة:** الشهامة الإيمانية المجهزة بالشفقة والرأفة. أي: أن لا يرضى الذُلّ لنفسه أمام الظالمين، ولا يلحقه بالمظلومين. **القوة الخامسة:** العزة الإسلامية التي تعلن إعلاء كلمة الله. وفي زماننا هذا يتوقف إعلاء كلمة الله على التقدم المادي والدخول في مضمار المدنية الحقيقية. وإن قصدنا من المدنية هي محاسنها وجوانبها النافعة للبشرية وليس ذنوبها وسيئاتها"[67].

والأستاذ النُّورسي لا يدعو إلى الترقي المادي في فكاك عن الترقي المعنوي؛ لأنّ الخواء الروحي هو الذي يؤدي إلى كوارث رغم التفوق المادي، لذلك فإن الأستاذ النُّورسي يقول في المكتوبات "التاريخ شاهد على أن المسلمين ما تمسكوا بدينهم إلا وترقوا بالنسبة لذلك الزمان، وما أهملوا الدين إلا وتدنّوا"[68].

فالترقي المادي وعمارة الأرض "لا يكون إلا بالتمسك بالدين وتطبيق شرعه وإنماء وإعمار الأرض على بصيرة وهذه البصيرة تتجلى بالعلم على أن يخضع العلم إلى الأخلاق"[69].وقد ترقى المسلمون رقياً عظيماً في الوقت الذي تمسكوا بدينهم وغدت الدولة الإسلامية في الأندلس الأستاذة العظيمة لأوربا[70]والضياء للإنسانية[71].

والإسلام بهذا له امتياز ظاهر، يجعله غير قابل للقياس بالنصرانية؛ لأنّ أوربا عندما كانت متمسكة بل متعصبة لدينها، لم تكن متحضرة، وعندما تركت التحضر والالتزام بدينها تحضرت، فقد كان الحكام المستبدون يتخذون الدين وسيلة في سجن العوام وفقراء الناس وأهل الفكر والعلم منهم، حتى تولد نوع من السَخط على الدين.[72]

إذن لا سبيل للترقي الحضاري للمسلمين إلا بالالتزام بتعاليم الدين (الإسلام) " فاصابة الأمَّة في قلبها إنما هو من ضعف الدين ولن تنعم بالصحة إلا بتقوية الدين"[73]، وتطبيق الشريعة الغراء كفيل-كما يؤكد النُّورسي- "بطي المسافة الشاسعة التي تخلفنا فيها عن الرقي الحضاري في زمان قصي"[74]. لذا فكونوا على أمل بأن أعظم صوت مدوّ في انقلابات المستقبل هو صوت الإسلام الهادر[75].

خاتمة:

نخلص من الدراسة السابقة إلى الآتي:

تحمّل الأستاذ النُّورسي مسؤولية ورسالة البعث الحضاري للأمَّة الإسلامية، وتجلى مشروعه في رسائل النور.

وُفّق الأستاذ النُّورسي في تحديد علل وأزمات الأمَّة في عصرنا، كما وفق في اقتراح الحلول لها.

عدّ الأستاذ النُّورسي تلك العلل موانع للنهوض والترقي الحضاري والتي منها: اليأس، الكذب، العداوة، الاستبداد، الأنانية، الجهل بالروابط النورانية التي تربط المؤمنين بعضهم ببعض.

أكّد النُّورسي في رسائل النور على إمكان وقابلية الأمّة الإسلامية للترقي الحضاري وبشّر بمستقبل أفضل للإسلام والمسلمين الصادقين.

بيّن النُّورسي أن القرآن بذكره معجزات الأنبياء إنما يدل البشرية على أن نظائر تلك

المعجزات سوف تتحقق في المستقبل بالترقي.

أكّد الأستاذ النُّورسي أن الالتزام بأحكام القرآن الكريم أكبر وأهم عوامل البعث الحضاري فالعلاقة طردية بين التَديّن والتحضر.

إن مسلك النورسي في بث الأمل هو الذي جعل من رسائل النور إحدى العلامات الفارقة والنقاط المضيئة في فكرنا المعاصر.

* * *

قائمة المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم.
2. اورخان محمد علي، سعيد النورسي، رجل القدر في حياة أمة، دار الفضيلة، القاهرة (د.ت).
3. البنعيادي: محمد البنعيادي، المؤتمر العالمي التاسع لبديع الزمان النُّورسي،" العلم والإيمان والأخلاق لأجل مستقبل أفضل للإنسانية، ورقة بعنوان: فقه البناء والتجديد في المشروع الإيماني والأخلاق، استانبول، 2010م.
4. التجاني: أزهري التجاني عوض السيد، إعادة البناء الإسلامي، سلسلة رسائل البعث الحضاري (19)، المركز القومي للإنتاج الإعلامي، الخرطوم، ط2، 1996م.
5. جيدل، عمار جيدل، المؤتمر العالمي التاسع لبديع الزمان النُّورسي، "العلم والإيمان والأخلاق لأجل مستقبل أفضل للإنسانية" ورقة بعنوان: اهتمام رسائل النور بالمستقبليات، استانبول، 2010م.
6. رحائم: سعاد رحائم، الحضارة الإسلامية جذور وامتدادات، سلسلة كتاب الأمّة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط1، 2007م.
7. سليمان: عشراتي سليمان، الندوة العلمية الدولية: جهود سعيد النُّورسي في تجديد الفكر الإسلامي ورقة بعنوان: النُّورسي ومنطق السيرورة، تحسس لمسألة الزمان كما تمثلها فكرياً، الرباط، دار سوزلر للطباعة والنشر.
8. سليمان: النُّورسي في رحاب القرآن، دار سوزلر للنشر، القاهرة، ط 2، 2010م.
9. العالم يتصفح رسائل النور، مؤلف رسائل النور: بديع الزمان سعيد النُّورسي، لمحات من حياته وآثاره، دار سوزلر للنشر، (د.ت).
10. فارح: عبد العزيز فارح، ندوة: سؤال الأخلاق في مشروع النُّورسي، ورقة بعنوان: بديع الزمان النُّورسي معالم في الأخلاق والإيمان، وجدة، المغرب، دار سوز للطباعة والنشر، استانبول، ط1، 2008م.
11. الفاسي: علال الفاسي، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء، المغرب.
12. ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، تحقيق سيد عمران وعلي محمد علي، دار الحديث، القاهرة، (د.ت).

13. النُّورسي: بديع الزمان سعيد النُّورسي، كليات رسائل النور(1)، الكلمات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، استانبول، 1992م.
14. النُّورسي، كليات رسائل النور(2)، المكتوبات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر استانبول، ط1، 1993م.
15. النُّورسي، كليات رسائل النور(3)، اللمعات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، استانبول.
16. النُّورسي، كليات رسائل النور(5)، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، ترجمة: إحسان قاسم، دار سوزلر للنشر، استانبول، ط3، 1999م.
17. النُّورسي، كليات رسائل النور(6)، المثنوي العربي النوري، ترجمة: إحسان قاسم، دار سوزلر للنشر، استانبول، ط4، 1999م.
18. النُّورسي، كليات رسائل النور(7)، الملاحق (في فقه الدعوة)، ترجمة: إحسان قاسم، دار سوزلر للنشر، استانبول،ط1، 1995م.
19. النُّورسي، كليات رسائل النور(8)، صيقل الإسلام، ترجمة: إحسان قاسم، دار سوزلر للنشر، استانبول، 1993م.
20. النُّورسي، كليات رسائل النور(9)، سيرة ذاتية، ترجمة وإعداد: إحسان قاسم، دار سوزلر للنشر، استانبول، ط3، 1998م.
21. النُّورسي، من كليات رسائل النور، الإخلاص والأخوة، ترجمة: إحسان قاسم، دار سوزلر للنشر، القاهرة، (د.ت).
22. النُّورسي، من كليات رسائل النور، الخطبة الشامية، صرخة في موات أمّة، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، استانبول،(د.ت).
23. يالجن: مقداد يالجن، دور التربية الأخلاقية في بناء الفرد والمجتمع والحضارة الإنسانية، دار عالم الكتب، الرياض، 1416هـ.

* * *

الهوامش:

[1] سورة الأنبياء الآية (105).

[*] صاغ النُّورسي معالم مشروعه النهضوي الحضاري في الخطبة الشامية الموجودة ضمن مؤلفه التفسيري المسمى بـ(رسائل النور) التي تضم أكثر من (130) رسالة جمعت تحت عنوان: كليات رسائل النور، وهي كما وصفها الأستاذ النُّورسي:" برهان باهر للقرآن الكريم، وتفسير قيم له، وهي لمحة براقة من لمحات إعجازه المعنوي..." انظر العالم يتصفح رسائل النور، سوزلر للنشر، القاهرة (د.ت)، ص20، وهي تضم تسعة أجزاء سجّل فيها النُّورسي كل ما استلهمه من نور القرآن الكريم. اما الخطبة الشامية فقد ألقاها الأستاذ النُّورسي وهو في شرخ الشباب باللغة العربية في الجامع الأموي بدمشق عام 1911م، بإلحاح من علماء الشام، وحضرها جمع غفير يربون على عشرة آلاف شخص. بديع الزمان سعيد النُّورسي، من كليات رسائل النور (13)، الخطبة الشامية، صرخة حياة في موات أمّة، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، سوزلر للنشر، استانبول، (د.ت)، ص5.

[2] بديع الزمان النُّورسي، الخطبة الشامية، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ص 28 بتصرّف.

[3] سورة محمد الآية (38).

[4] بديع الزمان سعيد النُّورسي، كليات رسائل النور، سيرة ذاتية، إعداد وترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، استانبول، ط3، 1998م ج9، ص66.

[5] النورسي، سيرة ذاتية، إعداد وترجمة: إجسان قاسم، ج 9، ص 490-491

[6] العالم يتصفح كليات رسائل النور، مركز رسائل النور، ص 13 ملخصاً.

[7] المرجع نفسه، ص 4-5.

[8] عشراتي سليمان، الندوة العلمية الدولية: جهود سعيد النُّورسي في تجديد الفكر الإسلامي، ورقة بعنوان: النُّورسي ومنطق السيرورة، تحسس لمسألة الزمان كما تمثلها فكرياً، الرباط، دار سوزلر للطباعة والنشر، استانبول، ط1، 2005م. ص233.

[9] محمد البنعيادي، المؤتمر العالمي التاسع لبديع الزمان النُّورسي" العلم والإيمان والأخلاق لأجل مستقبل أفضل للإنسانية" ورقة بعنوان: فقه البناء والتجديد في المشروع الإيماني والأخلاقي الثوري، استانبول، 2010م. ص856.

[10] سعاد رحائم، الحضارة الإسلامية جذور وامتدادات، سلسلة كتاب الأمّة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط1، 2007م. ص10.

[11] عبد العزيز فارح، ندوة"سؤال الأخلاق في مشروع النُّورسي"، ورقة بعنوان: بديع الزمان النُّورسي معالم في الاخلاق والإيمان، وجدة، المغرب، دار سوز للطباعة والنشر، استانبول، ط1، 2008م. ص137.

[12] بديع الزمان سعيد النُّورسي، كليات رسائل النور، المكتوبات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، استانبول، ط1، 1993م، ج2، ص600.

[13] بديع الزمان سعيد النُّورسي، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ترجمة إحسان قاسم، دار سوزلر للنشر، استانبول، ط1، 1993م، ج8، ص491-492، بديع الزمان النُّورسي، الخطبة الشامية، ترجمة إحسان قاسم، ص 28.

[14] بديع الزمان النُّورسي، كليات رسائل النور، صيقل الاسلام، ترجمة:احسان قاسم، دار سوزلر للنشر، استانبول، ط، 1995م،ج 8، ص 355.

[15] المرجع نفسه، ج 8، ص 356.

[*] يرى النورسي أن المدنية الحديثة تأسست على خمس أسس سلبية:

1. فنقطة استنادها هي القوة، وهذه شأنها الاعتداء.
2. وهدفها وقصدها: المنفعة، وهذه شأنها التزاحم.
3. ودستورها في الحياة: الجدال والصراع، وهذا شأنه التنازع.
4. والرابطة التي تربط المجموعات البشرية هي: العنصرية والقومية السلبية التي تنمو على حساب الآخرين، وهذه شأنها التصادم كما نراه.
5. وخدمتها للبشرية خدمة فاتنة جذابة هي تشجيع هوى المنفعة، وإثارة النفس الأمارة، وتطمين رغباتها وتسهيل مطالبها، وهذا الهوى شأنه: إسقاط الإنسان من درجة الملائكية إلى درك الحيوانية الكلبية: وبهذا تكون سبباً لمسخ الانسان معنوياً. وسعادة هذه المدنية هي لأقل القليل من الناس والقرآن لا يرضى بمدنية لا تضمن سعادة الجميع. أو لا تعم الغالبية العظمى. (النُّورسي صيقل الاسلام، ترجمة إحسان قاسم، ج 8، ص 357).

[16] المرجع نفسه، ج 8، ص 359.

[17] النُّورسي، صيقل الإسلام، ترجمة: إحسان قاسم، ج8، ص 501. النُّورسي، الخطبة الشامية، ترجمة: إحسان قاسم، ص 46.

[18] Bilinmeyen Tarafariyle Bediuzzaman said Nursi ص 214، نقلاً عن اورخان محمد علي، سعيد النُّورسي رجل القدر في حياة أمة، دار الفضيلة، القاهرة، (د.ت) ص 94-95.

[19] تعداد المسلمين آنذاك.

[20] النُّورسي، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ترجمة إحسان قاسم، ج8، ص505، النُّورسي، الخطبة الشامية، ترجمة إحسان قاسم، ص53.

[21] النُّورسي، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام،ج8، ص505، النُّورسي، الخطبة الشامية، ترجمة إحسان قاسم، ص53. النورسي، الخطبة الشامية، ص 97.

[22] النورسي، الخطبة الشامية، ص 97.

[23] المرجع نفسة، ج8، ص 369

[24] النُّورسي، الخطبة الشامية، ترجمة: إحسان قاسم. ص29.

[25] سورة الزمر، الآية (53).

[26] النورسي، كليات رسائل النور،صيقل الاسلام، ترجمة: حسان قاسم،ج 8، ص 505، النورسي، الخطبة الشامية، ترجمة: احسان قاسم، ص54.

[27] انظر مثلاً: النُّورسي، كليات رسائل النور، الملاحق (في فقه الدعوة) ترجمة: احسان قاسم، دار سوزلر للنشر، استانبول، ط1995،5م، ج7، ص259، وانظر: النُّورسي، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام.ج8، ص505،491،433،392.

[28] النُّورسي، الخطبة الشامية، ترجمة إحسان قاسم. ص27.

[29] النُّورسي، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ترجمة إحسان قاسم. ج8، ص392.

[30] النورسي، كليات رسائل النور،الكلمات، ترجمة إحسان قاسم، ج1، ص 104

[31] النُّورسي، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ترجمة: إجسان قاسم. ج8، ص433.

[32] النورسي، كليات رسائل النور، الملاحق، ترجمة إحسان قاسم، ج7، ص121.

[*] يقصد النُّورسي بالأمل: شدة الاعتماد على الرحمة الإلهية والثقة بها، النورسي،كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ترجمة إحسان قاسم، ج8، ص492

[33] المرجع نفسه، ج8، ص492، النُّورسي، الخطبة الشامية، ترجمة إحسان قاسم. ص29-30.

[34] عمار جيدل، المؤتمر العالمي: العلم والإيمان والأخلاق لاجل مستقبل أفضل للإنسانية، ورقة بعنوان: اهتمام رسائل النور بالمستقبليات.، استانبول، 2010م، ص162.

[35] النُّورسي، الخطبة الشامية، ترجمة إحسان قاسم، ص36-38.

[36] المرجع نفسه. ص38-39 باختصار.

[*] يؤكد النُّورسي أن قصده من المدنية هو محاسنها وجوانبها النافعة للبشرية وليس ذنوبها وسيئاتها، ونبّه إلى ضرورة تجاوز سيئات مدنية اوربا والاقتباس فقط من محاسنها، فمدنية اوربا لم تتأسس على الفضيلة والهدى بل على الهوس والهوى، وعلى الحسد والتحكم، لذلك تغلبت سيئات هذه المدنية على حسناتها. أنظر النُّورسي، الخطبة الشامية، ترجمة: إحسان قاسم. ص45

[37] المرجع نفسه، ص39.

[38] النُّورسي، كليات رسائل النور، صيقل الاسلام، ترجمة: إحسان قاسم،ج 8، ص 501. النُّورسي، من كليات رسائل النور، الخطبة الشامية، ص 45.

[39] النُّورسي، كليات رسائل النور، صيقل الاسلام، ترجمة: إحسان قاسم، ج2، ص 371-372
النُّورسي، كليات رسائل النور، صيقل الاسلام، ترجمة: إحسان قاسم، ج2، ص 371-372

[40] سعاد رحائم، الحضارة الإسلامية جذور وامتدادات، ص27.

[41] النُّورسي، كليات رسائل النور، إشارات الإعجاز، ترجمة: إحسان قاسم.ص229.

[42] النُّورسي، الخطبة الشامية، ترجمة: إحسان قاسم.ص42. انظر إلى مزيد من الشواهد على أثر معجزات الأنبياء عليهم السلام في الترقي المادي في: النُّورسي، كليات رسائل النور، إشارات الاعجاز، تحقيق: إحسان قاسم، ص238-239.

[43] عبد الرحمن بن الجوزي، صيد الخاطر، ضبط وتحقيق: محمد الغزالي، دار الكتب الإسلامية، القاهرة، ط2، 1988م. ص 136

[*] عندما ضَعُف الأمويين وأهتز ملكهم وتفكك أمام الاضطرابات المختلفة، زالت دولتهم، إلا أن العباسيين جددوا طاقات الدولة من بعدهم وأعطوها دفعاً جديداً وهكذا دورات متعاقبة من (السلاجقة) و(المماليك) وغيرهم إلى العثمانيين.

[44] أزهري التجاني عوض السيد، إعادة البناء الإسلامي، سلسلة رسائل البعث الحضاري (19)، المركز القومي

للإنتاج الاعلامي، الخرطوم، ط2، 1996م، ص12.

[45] النُّورسي، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ترجمة: إحسان قاسم، ص493، النُّورسي، الخطبة الشامية، ترجمة: إحسان قاسم، ص30.

[46] النُّورسي، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ترجمة: إحسان قاسم، ج8، ص495،النُّورسي، الخطبة الشامية، ترجمة: إحسان قاسم، ص35.

[47] النُّورسي، كليات رسائل النور، سيرة ذاتية، ترجمة: إحسان قاسم، ج9، ص116.

[48] المصدر نفسه، ج9، ص142.

[49] المصدر نفسه، ج9، ص182.

[50] عمار جيدل، المؤتمر التاسع" العلم والإيمان والأخلاق لأجل مستقبل أفضل للإنسانية، ورقة بعنوان: اهتمام رسائل النور بالمستقبليات. ص161

[51] النورسي، كليات رسائل النور، المكتوبات، ترجمة: إحسان قاسم، ج2، ص 476.

[52] النُّورسي، كليات رسائل النور، إشارات الإعجاز، ترجمة: إحسان قاسم، ج5، ص280.

[53] النُّورسي، كليات رسائل النور، صيقل الاسلام، ترجمة: إحسان قاسم، ج8، ص148.

[54] عشراتي سليمان، النُّورسي في رحاب القرآن، دار سوزلر للنشر، القاهرة، ط2، 2010م، ص35.

[55] علال الفاسي، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء، المغرب. ص 42.

[56] أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، المستصفى من علم الأصول، دراسة وتحقيق: د. حمزة بن زهير حافظ، شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر، (د. ت). ج 2، ص 481.

[57] النورسي، كليات رسائل النور، سيرة ذاتية، إعداد: احسان قاسم، ج 9، ص 505.

[58] أ. د. تيسفيتان تيوفانوف، ندوة: سؤال الأخلاق في مشروع النورسي ورقة بعنوان"مبادئ الإنسانية وتحديات العصر في نظرية سعيد النورسي"، المغرب، سوز للطباعة والنشر، استانبول، 2008م. ص 13-14.

[59] عشراتي سليمان، النورسي في رحاب القرآن، ص 40.

[*] المقصود بفرض الكفاية تحصيل المصالح ودرء المفاسد دون ابتلاء الأعيان بتكليفه، العز بن عبد السلام، قواعد الأحكام، تحقيق:نزيه كمال حماد- عثمان جمعة ضميرية، دار القلم، 2000م، ج 1 ص 69.

[60] ابراهيم بن موسى الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، دار المعرفة، ط 2، ص 41-42.

[61] بدر الدين الزركشي، المنثور في القواعد، مؤسسة الخليج، ط1، 1982م، ج 3، ص 35.

[62] النورسي، كليات رسائل النور صيقل الاسلام، ج 8، ص 446.

[63] سورة النجم، الآية 39.

[64] ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، تحقيق: سيد عمران وعلي محمد علي، دار الحديث، القاهرة، ج2، دت، ص 15

[65] النُّورسي، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ترجمة:إحسان قاسم، ج8، ص403.

[66] المصدر نفسه، ج8، ص403.

[67] النورسي، كليات رسائل النور، صيقل الاسلام، ترجمة: إحسان قاسم، ج 8، ص 499- 501.

[68] النُّورسي، كليات رسائل النور، المكتوبات، ترجمة: إحسان قاسم، ج2، ص564.

[69] مقداد يالجن، دور التربية الأخلاقية الإسلامية في بناء الفرد والمجتمع والحضارة الإنسانية، دار عالم الكتب، الرياض، 1416هـ، ص85.

[70] النُّورسي، كليات رسائل النور، المكتوبات، ج2، ص418.

[71] النُّورسي، كليات رسائل النور، الكلمات، ترجمة إحسان قاسم، ج1، ص264.

[72] النُّورسي، كليات رسائل النور، المكتوبات، ترجمة: إحسان قاسم، ج2، ص418-419.

[73] النُّورسي، الخطبة الشامية، ترجمة: إحسان قاسم،ص103.

[74] المرجع نفسه، ص93.

[75] النُّورسي، كليات رسائل النور، سيرة ذاتية، ترجمة إحسان قاسم، ج9، ص142

الجماليّة والجمال عند بديع الزمان سعيد النورسي

أ.د. محمد خروبات
أستاذ التعليم العالي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بمراكش

- ملخص-

شغلت الجمالية والجمال الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي، وتجلت عنايته بها في رسائل النور، فقد نوّع بشكل لافت المصطلحات المعبّرة عنها في الرسائل.

ويتوقّف إبصار هذا الجمال وتذوّقه على نفس زكيّة محلاّة بالمكارم، اجتمعت لها كمالات يكون فيها العقل مرافقا للقلب في السير إلى الله، هذا هو أساس تصوّر الجمال والجمالية عند الأستاذ النورسي، أسّس الأستاذ نظرته المميّزة لحقيقة الجمال، نظرة تربط بين الكمال والجمال، وجلال الجمال وجمالية الجلال، وهي معاني طبعت مقومات الجمال عند النورسي، جمال مبني على الحب، وحبّ يتعلّق بالجمال، وجمال جالب للسعادة، وسعادة بالجمال، وانتهينا إلى أنّ للنورسي نظريات جديدة في تذّوق الجمالية والجمال، عمدتها استشعار جمال الكون المتدلي من تجليات أسماء الله الحسنى فيها، وأنّ الجمال يكمن في النظر المُوَحَّد للوجود، وقراءة الجمال بالقراءة الحرفية للكائنات، ومعناها توقّفها في وجودها وبقائها ومصيرها على الله، فهي ليست شيئا في ذاتها، وأخيرا فإنّ الجواب على سؤال الجمال يكون بالذكر الجامع في السير إلى الله بين العقل والقلب.

الكلمات المفتاحية: الجمالية، الجمال، النورسي، رسائل النور، الكون.

Aesthetics and Beauty according to Badiuzzaman Said Nursi

Prof. Dr. Muhammad Kharoubat

–Abstract–

Aesthetics and beauty occupied Professor Badiuzzaman Said Nursi, and his concern for them was evident in the Risale-i Nur, as he remarkably diversified the terms expressing them in the Risale-i Nur.

The vision and taste of this beauty depends on a pure soul adorned with virtues, which has combined perfections in which the mind accompanies the heart on the path to God. This is the basis of the conception of beauty and aesthetics according to Professor Nursi. The professor established his distinctive view of the reality of beauty, a view that links perfection with beauty, the majesty of beauty and the aesthetics of majesty. These are meanings that characterize the components of beauty according to Nursi: beauty based on love, love related to beauty, beauty that brings happiness, and happiness with beauty. We concluded that Nursi had new theories in tasting aesthetics and beauty, the basis of which is sensing the beauty of the universe hanging from the manifestations of the beautiful names of God in it, and that beauty lies in the unified view of existence, and reading beauty with the literal reading of beings, and its meaning is that their existence, survival, and destiny depend on God, so they are not something in themselves. Finally, the answer to the question of beauty is through the comprehensive remembrance in the path to God between the mind and the heart.

Keywords: aesthetics, beauty, Nursi, Risale-i Nur, universe

* * *

1. تقديم:

استعمل بديع الزمان في رسائل النور مصطلحات كثيرة تعبر عن الجمال، أشير هنا إلى المصطلحات الأساسية في التعبير عن الجمال وفي الكلام عليه، ف(الجمال) هو المقصود، و(الحسن) قبس منه، و(الزينة) صورة عنه،و(السرور) أثر من آثار رؤيته، و(الشهية) إيجاد القابلية في الذات نحوه، و(اللذة) تذوقه، و(البهجة) حالة انعكاس لمشاهدته، وهكذا يدور خطاب النورسي عن الجمال بثروة من المصطلحات ذات مفاهيم جمالية يمكن للمرء أن يجعل منها موضوعا للبحث وللدراسة.

لكن قبل البحث في الجمال عند بديع الزمان لابد من البحث في (نفس) بديع الزمان نفسه، والنفس هنا هي بالمعنى الاصطلاحي الذي يحدده القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَنَفس وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ٨ قَد أَفلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَد خَابَ مَن دَسَّىٰهَا١٠﴾[1]، ولابد من الوقوف على خصائص هذه النفس التي رصدت الجمال وتكلمت عليه، إنها نفس زكت حتى تحلت بالمكارم، وتسوت حتى استقامت بالأوامر، وتخلت عن الرذائل وتحلت بالفضائل، وقد تظافرت عناصر أخرى إلى جانب عنصر النفس عند بديع الزمان هي:

(القلب والعقل)،[2] وهي عناصر ثلاثة اجتمعت في ذات بديع الزمان تطبعها السلامة والصفاء والتوازن يقول : (إن عقلي يرافق قلبي في سيره ، فيعطي القلب مشهوده الذوقي ليد العقل، فيبرزه العقل على عادته في صورة المبرهن التمثيلي).[3]

من هذه الذات ينطلق التصور للجمالية والجمال، ذات جاءت لتنبه سائر الذوات إلى تحقيق التعايش السلمي بين الإنسان والطبيعة، وتحقيق الأنس بين الإنسان وسائر الموجودات، وعلى الإنسان مسؤولية المبادرة، لأنه هو الوحيد المؤهل لتحقيق ذلك ، مؤهل بما يوجد فيه من دوائر متداخلة، ومصنوعات متراكبة، فهو نبات وحيوان وجماد، نبه النورسي على هذه التركبة التي أطلق عليها (جامعية فطرة الإنسان)، وما أدرج فيه الفاطر الحكيم من مدخرات رحمته[4].

لقد كان لبديع الزمان ذوق رفيع للجمال وتصور عميق له، وهذا كله نبع من سلامة حسه في تصور الأشياء الجميلة، ومن صفاء فطرته لتذوق الجمال، لذلك تمكن بكل براعة من أن يفرق بين الجمال وضده، والجمال وأنواعه، والجمال وأقسامه، والجمال وشبهه ومماثله...

ونسعى من خلال هذه الكلمة إلى معالجة نظرة النورسي للجمالية والجمال من خلال ثلاثة محاور: المحور الأول في حقيقة الجمال عند النورسي، عالجناه من خلال قضيتين: قضية الكمال والجمال، وقضية جلال الجمال وجمالية الجلال، والمحور الثاني في مقومات الجمال، بنيناه على نقطتين: الأولى في الحب والجمال، والثانية في السعادة والجمال، والمحور الثالث قصدنا فيه الكشف عن نظريات جديدة عند النورسي الأولى تبين أن جمال الكون في أسماء الله الحسنى، والثانية في الجمال ووحدة الوجود، والثالثة قراءة الجمال بقراءتين قراءة حرفية وقراءة اسمية، والرابعة في الجواب على سؤال

الجمال بالذكر، ثم أنهينا هذه المحاور بخلاصة عامة، والله نسأل التوفيق والتأييد والتسديد.

2. حقيقة الجمال:

2-1- الكمال والجمال:

الجمال مصدر الجميل، والفعل جمل، ويعني الجمال: البهاء، ويعني الحسن، وهو يقع على الصور والمعاني[5]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلأَنعَٰمَ خَلَقَهَا لَكُم فِيهَا دِفء وَمَنَٰفِعُ وَمِنهَا تَأكُلُونَ (5) وَلَكُم فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسرَحُونَ (6) وَتَحمِلُ أَثقَالَكُم إِلَىٰ بَلَد لَّم تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُم لَرَءُوف رَّحِيم﴾[6] ، أي بهاء وحسن لا في حال الركوب ولا في حال التسريح: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلإِبِلِ كَيفَ خُلِقَت﴾[7]، فالجمال إذن هو البهاء والحسن، ويقع على المحسوسات والملموسات، على الصور وعلى المعاني.

أما حديث: (إن الله جميل ويحب الجمال)[8] فمعناه انه حسن الأفعال، وكامل الأوصاف، كذا قال في اللسان[9]، وهنا يأتي وصف الكمال للجمال، لأن الكمال ينفي النقص في جمال الجلال، ولذلك تقع بعض معاني الكمال على الجمال، يقال: أكملت الشيء بمعنى أجملته و أتممته، وكمله: أتمه وجمله[10]، وربط الكمال بالجمال أمر مقصود، لأن الكمال من النعم: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾[11]، أما الجمال فهو من النعم أيضا، يقول النورسي: (اعلم وانظر إلى كمال النعمة في كمال الحكمة، وكمال الحكمة في كمال النظام، وكمال النظام في كمال الميزان، [وكمال الميزان][12] في صنعة الحواس الخمسة الإنسانية)[13].

هذه الحواس ينبغي لها بمقتضى تلك الصنعة أن تدرك أن البقاء بلا إيمان بلاء، وأن الأشياء – من دون معرفة الله – تتحول إلى أعداء، وهذا يحول الكمال هباء، لتفادي كل هذه الآفات لابد من استحضار الجلال، وهي النقطة التي نشير إليها فيما يأتي.

2-2- جلال الجمال، وجمالية الجلال.

ان اكتمال الجمال الطبيعي يتجلى فيما يرى ويشاهد من (الجود الإلهي) في تكثير أفراد الأنواع، مع كمال الاتقان وحسن الانتظام، ويفرق النورسي بين (الجمال) و(الجلال)، فالجود في النوع- كما يقول- جلالي، والاتقان في الفرد – كما يعبر- جمالي، ها هنا يفرق بفقه نابع من إيمان عميق بين الجلال والجمال، الجلال في تكثير أفراد الأنواع لا سيما في صغار المخلوقات، والجمال في إتقان الصنعة، ففي الفرد

يتجلى الجمال، وفي النوع يتجلى الجلال.

يقول النورسي: (إن أتم التجليات تجلي الأحدية، وأكمل الصنعة إدراج الأكبر بتمام نقوشه في الأصغر، وان الثمرة والنواة بالنسبة إلى النبات، وإن النبات والحيوان بالنسبة إلى الأرض، وإن الإنسان والنبي بالنسبة إلى العالم، وإن القلب والسر بالنسبة إلى الإنسان ... أنموذج مختصر جامع مظهر لجميع الأسماء المتجلية على الأصل والكل والمحيط.

وإن الثمرة – مثلا – كما أنها (جزء) من الشجرة وهي (كلها)، فتشير من هذه الجهة إلى الواحدية ، كذلك (كالجزئي) لها تشتمل على تمام الشجرة وهي (كليها) فترمز بهذه الجهة إلى الأحدية... فالواحدية شاهدة الوحدة عند تجلي الأحدية في مرايا الكثرة و الجزئيات)[14]

2-3- جمال الطبيعة انعكاس:

لا تبك أيها الإنسان عن فراق جمال زائل: جمال الكون والأرض والإنسان.. كل هذا زائل .. وعليك أن تعلم منه، وأن تعرف من خلاله أنه في وعاء كالمرآة العاكسة تعكس هذه الحقائق المرئية، وهي حقائق بالية وزائلة ، يدعوك النورسي ألا تعتقد في أن ما في المرآة هو ملك للمرآة كي لا تبكي على ما في المرآة بموتها وانكسارها، إنها مجرد (مظاهر ومرايا ومعاكس ومجاري لجلوات ظلال أنوار جمال ذي الجلال والإكرام الأزلي الأبدي السرمدي القيوم الباقي المقدس عن الحدوث والزوال، المنزه عن التغير والتبدل)[15]، تلك المرآة هي الطبيعة وأجزاؤها، وذلك الجمال الذي تعكسه المرآة هو جمالها بمختلف أنواعه وألوانه وأشكاله.

يدعوك النورسي أن ترفع رأسك عن الطبيعة وتحنيه إلى منظار القلب لترى شمس الجمال حتى تقف على حقيقة واحدة وهي: أن كل ما رأيت وشاهدت وأحببت إنما هو من آياته نعم، ويفرق النورسي بين آيات الجمال وآيات الحسن وآيات البهاء.. فآيات الجمال في تزيينه السماء بمصابيحها والأرض بأزاهيرها، وآيات حسنه أن خلق الانسان في أحسن تقويم وكتب الكون على أحسن ترقيم، أما آيات بهائه فإنه أشرق أرواح الأنبياء ونور أسرار الأولياء، وزين قلوب العارفين بأنوار جماله المجرد[16].

2-4- الجمال المعنوي جزاء:

يطلب منك النورسي أن تعتقد أن (محاسن الجمال المعنوي) إنما هي جزاء

للممتثلين، وأجرة للعابدين، فكما أن السلطان الأرضي يكافئ المطيعين، ولا يجازي العاصين كذلك رب الكون(الله) جل جلاله، فعدالته تقتضي المحافظة على حقوق عباده في محكمة كبرى، أما هذه الدار فهي (أقل وأحقر وأضيق وأصغر من أن تكون مظهرا لحقيقة تلك العدالة، فلابد حينئذ لهذا الملك العادل، والرب الحكيم ذي الجمال الجليل والجلال الجميل من جنة باقية وجهنم دائمة)[17].

ثم إنه يدعوك أن تنتبه إلى:

(أن هذه الدنيا ليست لذاتها وبذاتها، بل إنما هي منزل تملأ وتفرغ بحلول وارتحال، وإن ساكنيها مسافرون، يدعوهم رب كريم إلى دار السلام... وإن هذه التزيينات ليست للتلذذ بالتنزه فقط بدليل أنها تلذك آنا ثم تؤلمك بفراقها أزمانا وتذيقك وتفتح اشتهاءك ثم لا تشبعك لقصر عمرها أو قصر عمرك، بل إنما هي للعبرة وللشكر، وللشوق إلى أصولها الدائمة ولغايات علوية... وإن هذه المزينات صور وأنموذجات لما ادخره الرحمن في الجنان لأهل الإيمان، وأن هذه المصنوعات الفانيات ليست للفناء بل اجتمعت اجتماعا قصيرا لتؤخذ صورها وتماثيلهاومعانيها ونتائجها، فينسج منها مناظر دائمة لأهل الأبد، أو يصنع منها محولها ما يشاء في عالم البقاء)[18].

3 – مقومات الجمال:

3-1- النبوة والجمال: شهود ووجود

الجمال في الكون هو دليل الصنعة الإلهية ، والخلق الرباني، وجمال الإنسان منها، والنبوة دليل إرشاد وحسن توجيه، ثم إنها دليل وجوب الألوهية، لما ثبتت الرسالة والنبوة وجبت الألوهية، ويطلق النورسي على هذا التلازم الواقع بين (ثبوت الرسالة) و(وجوب الألوهية): (التلازم القطعي)، كعادته يعطي أمثلة للتوضيح ثم يعلق بطريقة عامة وجامعة.

– يعطي(الكتاب) دليلا، وما فيه من كتابة هو برهان على دلالة التوحيد، إذا كانت كل كلمة في كل كتاب كتاب، وكل حرف في كل كلمة كلمة لا يدل إلا على كاتبه كذلك هذه الكائنات، فإنها في مجموعها تشكل كتابا سهل القراءة والوصف، وسهل الشهود والتأمل.. لايدل (كتاب الكون) إلا على نقاشه الأزلي[19].

– يفرد من هذا الكون(البنايات)، ومن كل البنايات (بيتا) اشتمل على خوارق الصنعة وعجائب النقوش وغرائب التزيينات حتى في كل حجر منه، كما لا يمكن وجود هذا البيت بلا بان وصانع، وبلا منشئ وصاحب، كذلك لا يمكن التصديق بوجود هذا العالم

بلا تصديق بوجود صانعه[20].

- ويفرد من كل الكل المظاهر الجسيمية للجمال وبصفة دقيقة ذلك(التلمع) الذي يظهر في الحبابات في وجه البحر، وذلك (التلألؤ) الذي تبديه القطرات المائية، وذلك (التشعشع) الظاهر على الزجيجات الثلجية في وسط النهار... إذا سلمنا بأن كل حبابة ، وكل قطرة، وكل زجاجة متلمعة بذاتها لذاتها لزم الاعتقاد بوجود شميسات لا شمس واحدة... وهذا فاسد ![21].

ثم يعلق بتعليق جامع فيقول:

(كما أنه لا يمكن وجود شمس بلا نشر ضياء كذلك لا يمكن الألوهية بلا تظاهر بإرسال الرسل.

ولا يمكن جمال في نهاية الكمال بلا تبارز وبلا تعرف بواسطة رسول معرف.

ولا يمكن كمال صنعة في غاية الجمال بلا تشهير بواسطة دلال ينادي عليه...

ولا يمكن سلطنة ربوبية عامة بلا عبودية كلية، بإعلان وحدانيته وصمديته في طبقات الكثرة بواسطة مبعوث ذي الجناحين.

ولا يمكن حسن لا نهاية له بلا طلب ذي الحسن ومحبته لمشاهدة محاسن جماله ولطائف حسنه في مرآة وبلا إرادته لإشهاد أنظار المستحسنين عليه، واراءته لهم بواسطة عبد حبيب يتحبب إليه، ورسول يحببه إلى الناس، أي هو بعبوديته مرآة لشهود ذي الجمال، جمال ربوبيته، وبرسالته مدار إشهاده...)[22].

النبوة إذن دالة على جمال الربوبية وجمال الألوهية المتجلية في الكون وفي الشريعة أيضا... وقد أمر النبي أن يكون مذكرا: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (17) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (18) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (19) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (20) فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾[23].

2-3- الحب والجمال:

الحب المقصود هنا هو حب العبد لربه: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾[24]، هذا النوع من الحب هو الذي يتكلم عليه النورسي بكلام يجري على نسق الشرع ووفق أحكامه، يقول رحمه الله موجها الكلام لنفسه وإلى كل نفس من خلاله : (اعلم يا أنا إذا كان نفسك أحب إليك لأنها أقرب إليك من كل شيء فلا بد أن يكون ربك أحب إليك منك

إذ هو أقرب إليك من نفسك، ألا ترى أن ما لا يصل اختيارك وخيالك إليه من أسرار ما ركب فيك هو حاضر مشاهد ربك)[25].

لكن هل حب الله يكون حبا في جماله أو خوفا من عقابه أ وطمعا في نعيمه أو هو يكون بكل هذه الأمور؟يقولون إن حب الله خوفا منه هو حب العبيد، وحبه طمعا في نعيمه هو حب التجار، وحبه بكل هذه الأمور هو حب الأحرار، والنورسي إنما يريد بالحب الحب المبني على الرغبة والرهبة، أما بخصوص الجمال فهو يفرق بين (الجمال الحزين) الذي يرى على خد الكائنات فلا ينبغي للقلب أن يتعلق به لأنه مجرد انعكاس مرآوي (للجمال المجرد) الذي هو واجب الوجود، فهذا الذي يتعلق به القلب.

إذا كان على خد الكائنات(جمال حزين) فإن في قلبها (عشق صادق) ينادي على المحبوب الحقيقي[26]. ذلك ما يحاول النورسي أن يبينه بالحب.

3-3- السعادة والجمال:

شروط تحقيق السعادة عند النورسي هي فيما يلي:

1- تحصيل اللذة الحقيقية، واللذة الحقيقية تكون في (ترك كل شيء حتى الوجود لأجل أنه جل شأنه هوهو، ولأنه واجب الوجود، ولأجل أنه الكامل المطلق، ولأجل أنه ذو الجلال والجمال المطلق..)[27].

2 – معلوم أن السعادة ضد الشقاوة، لكن ليس كل شقاء هو شقاء يتحصل الشقاء به، فقد تشقى لتسعد، وقد تشقى لتشقى، فحين تعلم أن الأنبياء والمرسلين والأولياء والمتقين مسعودون في رحمة الله يعطيك علمك بسعادتهم شقاوة لتسعد وتلتذ إذا كنت ذا قلب [28]، في ذلك يخاطب سعيد النورسي نفسه فيقول: (فيا أيها السعيد الغافل، اترك نفسك ووهم ما لكيتك تظفر بسلامة جميع محبوباتك وسعاداتهم بتسليمهم لمالكهم الكريم الرحيم)[29].

3 – السعادة في التوكل على الله، توكل على الله –يقول– لتستريح في الدنيا وتستفيد في الأخرى، ويضرب مثلا للمتوكل ولغير المتوكل برجلين حاملين على ظهريهما ورأسيهما أحمالا ثقيلة فصعدا سفينة، فأما أحدهما فوضع حمله فاستراح، وأما الثاني فلغروره ولبلاهته لم يضع حمله زاعما أنه أقوى من السفينة التي تحمله[30] ، ذلك مثل للمتوكل على الله والمتوكل على عقله ونفسه.

4 - نظريات جديدة عند بديع الزمان:

4-1- جمال الكون في الأسماء الحسنى:

الجمال في الإنسان وفي الطبيعة هو سخاوة وكرم وجود عظيم، من خزائن مشحونة بأثمار كثيرة، سخاوة سرمدية من ثروة أبدية[31] تنبئ بوجود دار ضيافة أبدية [32]، يربط النورسي بين جمال المخلوقات كلها وأسمائه تعالى المعبر عنها ب (الحسنى)، والحسنى من الحسن، والحسن هو قبس من الجمال !.

إن جمال الكون هو في كل اسم من أسمائه الحسنى، وكل اسم من أسمائه تعالى له تجليات في الكون، وهو دليل جمال مجرد معنوي، دائم وخالد، يعبر عن ذلك فيقول: (وكذا لصانع هذه المصنوعات الجميلات، والمليحات المزينات المنورات محاسن جمال مجرد معنوي بلا مثل، وله لطائف حسن مخفي يليق به بلا نظير، بل في كل اسم من أسمائه كنوز مخفية من جلوات ذلك الحسن المنزه، والجمال المجرد)[33].

لكن كيف يتأتى للعقل أن يستوعب كلية هذا الجمال بأنواعه وأشكاله؟ وكيف يفهم من أجزائه الكثيرة والمتباينة حجما وكما وكيفا...؟ ثم إنه في كل فصل، وفي كل عصر، وفي كل وقت وأمام فصل الربيع وحده يقف العقل مدهوشا!.

لقد طبع البارئ المصور الكون بجمال فائق ورائق، كل مظهر من مظاهره يدل على اسم من أسمائه، لكن ما المغزى من هذا الصنيع؟.

يقدم النورسي جوابا على ذلك بمثال السلطان الأرضي، حين تكون له عنوانات متنوعة لحاكميته في دوائر حكومته، وطبقات رعيته، ومراتب سلطنته، ووظائف أميريته، يضع هذه العنوانات ليكون موجودا، حاضرا، ومشهودا ناظرا، كذلك مثلا: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾[34].

وبكلام جامع يقول: (اعلم أن أكثر مظاهر الجلال تجلي الأسماء على الكل والكليات والأنواع والجماعات، والجود المطلق في النوع من تجلي الجلال، وان أغلب مرايا الجمال المتجلي نقوش جزئيات الموجودات، وجمال أشخاصها مع تزايد الحسن، وجلاء المرآتية، بتلاحق الأمثال في تكثير الأفراد والاتقان والانتظام الأجمل في شخص شخص من تجلي الجمال، وكذا يظهر الجلال من تجلي الواحدية، ويظهر الجمال من تجلي الأحدية، وقد يتجلى الجمال من الجلال كما يتجلى الجلال من الجمال، فما أجمل الجلال في عين الجمال، وما أجمل الجمال في عين الجلال)[35].

2-4- الجمال ووحدة الوجود:

المقصد من وجود الجمال في المخلوقات هو أن يعرف الله به، ويكون دالا عليه، ويكون آية من آياته، ونعمة من نعمه التي لا تحصى... والنفس بطبيعتها تميل إلى كل ما هو جميل ليحصل التجاوب بين جمالها الذي فطرت عليه وجمال الكائنات الذي خلقت عليه ليدل الجميع على الكمال الذاتي والجمال الحقيقي، لكن هل يستقيم القول عقديا أن الجمال الإلهي هو نفسه جمال الوجود أو أن جمال الوجود هو نفسه الجمال الإلهي؟ الجواب أن هذا هو عينه نظرية (وحدة الوجود) كما هي عند ابن عربي وغيره، وقد سئل النورسي مرة عن هذه النظرية فدقق في الجواب وأجاد، وأربى على حد الزيادة وأفاد، وذلك حين حدد لنا المعنى الحقيقي ل (وحدة الوجود)، والمغزى التام لهذا المفهوم الذي زلت به أقدام وضلت به أفهام، ونقر منذ البداية أن للرجل مفهوما خاصا يناقض تماما المفهوم الفلسفي والمفهوم الصوفي للنظرية وهما على طرفي نقيض في القضية، لم يوفق النورسي بين الموقفين، ولا اختار موقفا وسطا بينهما، فقد خرج عن مضامين الإطار بصفة كلية ليختار طريقا آخر، طريقا بني على مسلك ذوقي رفيع، متماسك، ومتلاحم...

يصف النورسي (وحدة الوجود) بأنها جاءت نتيجة (الاستغراق في التوحيد)، ومعنى الاستغراق أنها أتت بعد توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية حيث حصل الانتقال إلى (وحدة القدرة) ومعناها أن لا مؤثر في الكون إلا الله ، ثم تؤدي وحدة القدرة إلى (وحدة الإرادة)، وهذه تؤدي إلى (وحدة الشهود) ثم إلى (وحدة الوجود)، ووحدة الوجود تتكون من خطوتين: الأولى رؤية وجود واحد، والثانية رؤية موجود واحد، ثم تنتهي النظرية بهذا التسلسل المضطرد الذي بني أساسا على الذوق، لذلك أطلق النورسي على هذا النوع من التوحيد (التوحيد الذوقي) لأنه لا ينحصر في نظر العقل والفكر وحدهما بل يحتاج إلى الذوق والتذوق[36] .

يريد بديع الزمان إذن أن يخلص التوحيد من متعلقات التكدير ببناء نظرية جديدة داخل هذا الإطار، وبناء النظرية يحتاج إلى نقد ما هو سائد من مفاهيم في إطارها، والنقد أساسي في بناء النظريات، وكل نظرية لا تبنى على النقد تكون خالية من الحصانة، وبعيدة عن الوقاية، النقد هو حصانتها وهو وقايتها...

لاحظ النورسي أن آفة هذه النظرية إنما هي من طرفين متناقضين: الطرف الأول تمثله شطحات بعض علماء الصوفية التي هي من قبيل المتشابهات، أرواحهم لم تتخلص

من تأثير الأسباب ولم تتجرد من دائرتها لما تكلموا عن الوجود حصروا أنفسهم في (واجب الوجود) حصرا، وتجردوا عن الممكنات بل أصبحوا لا يرون إلا وجودا واحدا بل موجود واحد، وهؤلاء رأوا النتيجة ضمن الدليل أي رؤية الصانع الجليل ضمن موجودات العالم، وهذا كله لا يقام دليلا على هذا المذهب عند هؤلاء .

أما الطرف الثاني فهم الفلاسفة، ذلك أنهم لما تكلموا في (وحدة الوجود) حصروا أنفسهم في (ممكن الوجود)، أي في مادة الوجود، فأصبح الوجود عندهم كله من مادة، والمادة في اعتقادهم أوجدت نفسها بنفسها، ونظرياتهم تدخل في وحدة الوجود لكن من منظور معاكس ومناقض لنظرية الصوفية.

لقد تأمل النورسي أفكار الفريقين، ولاحظ بونا شاسعا، وفرقا كبيرا بينهما حصره في خمسة فروق[37]:

- الأول: أن علماء الصوفية حصروا نظرهم في (واجب الوجود) وأنكروا وجود الكائنات، أما (الفلاسفة الماديون وضعفاء الإيمان) فقد صرفوا تفكيرهم في المادة حتى ابتعدوا عن إدراك الألوهية، وأولوا المادة أهمية كبيرة.

- الثاني أن ما لدى الصوفية من (وحدة الوجود) يتضمن (وحدة الشهود) في حين أنه لا يوجد عند الفلاسفة إلا (وحدة الموجود)..

- الثالث: مسلك المتصوفة مسلك ذوقي بينما مسلك الفلاسفة مسلك عقلي.

- الرابع: النظر في المخلوقات يكون عند المتصوفة في درجة ثانوية بالتبع، أما عند الفلاسفة فمعكوسة، إذ يحصرون نظرتهم في المخلوقات أولا.

- الخامس: علماء الصوفية هم أولياء يعبدون الله ويحبونه في حين أن الفلاسفة لا يعبدون إلا أنفسهم وهواهم، والفرق بينهما من هذا الوجه كبير جدا.

4 – 3 - قراءة الجمال: حرفية واسمية

حمد النورسي الله كثيرا أن هداه إلى مسألة عظيمة جدا بأن نور بصيرته بأن اهتدى الى الفرق بين (المعنى الحرفي) و(المعنى الاسمي) وهي مسألة نحوية ، فالحرف غير دال على شيء إلا إذا أضيف إليه ما يجره ليدل على معنى، بخلاف الإسم فهو دال بنفسه على نفسه ، ولذلك فالموجودات هي كلمات دالات على معان في غيرها إذا قرئت بالمعنى الحرفي، فهي مكتوبات ربانية تاليات للأسماء الحسنى لا اسمية حتى تدل على معنى في نفسها لذاتها، وهذا ما وقع فيه أصحاب نظرية(وحدة الوجود) مع الحلوليين

حينما أقروا بأن المخلوقات هي الأسماء فقرأوها قراءة بالمعنى الاسمي فوقعوا في وحدة الوجود، وهذا مزلق إيماني خطير، ومعتقد عقدي فظيع لذلك قال: (فما تفرع من الوجه الأول – أي المعنى الحرفي – فعلم وإيمان وحكمة، ومن الوجه الثاني - أي المعنى الإسمي – فجهل مركب وكفران مرجب[38] وفلسفة مُذَهَّبَة)[39] .

وبخصوص المعنى الحرفي المرجح من القراءتين يقول النورسي: (نعم إن كل حرف من كتاب الكائنات يدل على وجود نفسه بوجه واحد، وبمقدار حرف، لكن يدل على كاتبه وصانعه بوجوه كثيرة، وينشد من أسمائه المتجلية عليه قصيدة طويلة:

تأمل سطور الكائنات فإنها ** من الملإ الأعلى إليك رسائل [40]

ثم إنه شكر الله عز وجل أن فتح له مسألة جسيمية من أعاظم مسائل الربوبية بمسألة من المنطق ، وهي الفرق بين (الكلي ذي الجزئي) و(الكل ذي الجزء)، يريد ب (الكلي ذي الجزئي) تجلي (الجمال والأحدية)، - أي اتقان الصنعة بمهارة وانتظام في كل فرد فرد من أفراد النوع، ويريد ب(الكل ذي الجزء) تجلي (الجلال والواحدية) وذلك بتكثير أفراد الأنواع، ويطلق على المركب منهما: (الكمال والكبرياء)،فالكمال والكبرياء يتجلى في جمع الجمع أي (جمال في عين الجلال كالكلي في عين الكل، والجزئي في عين الجزء)[41].

4 – 4 – الجمال والذكر أو الجواب على سؤال الجمال

ماذا يقال عند رؤية الجمال ولا سيما إذا كان في مرتبة الكمال والجلال أو تجلى الجمال من الجلال؟ إن مجرد رؤيته هي سؤال يتطلب جوابا ... ليس من الجواب القول: ما أروع هذا! وما أجمل هذا! وما أبدع هذا !، ليس من الجواب فغر الفيه والتأمل باندهاش أو الوقوف على المشهد في صمت وسكون ...

لسحر التأثير جواب... وللإنجذاب كلام اختار النورسي أن يجيب عليه بالتسبيح والتكبير والحمد والشكر .. وهي كلها من الذكر.

أ ـ اختار في التسبيح كلمة (سبحان الله)، وسبحان الله في الذكر المسنون مركبة من كلمتين (خفيفتين على اللسان، ثقيلتين في الميزان حبيبتين إلى الرحمن، سبحان الله العظيم، سبحان الله وبحمده) [42].

لكن ما صلة التسبيح برؤية الجمال.. أو استشعاره أو الاحساس به؟

التسبيح عند رؤية الجمال ولا سيما جمال الجلال هو ما يجب أن يكون ، وهو أمر

منصوص عليه في محكم التنزيل: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ (190) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ ... ﴾[43].

ف(سبحان الله) كلمة يبدأ بها كلامه عند كل رؤية أو إحساس كقوله هنا (فسبحان من جعل حديقة أرضه مشهر صنعته محشر فطرته مظهر قدرته مدار حكمته مزهر رحمته مزرع جنته، ممر المخلوقات مسيل الموجودات مكيل المصنوعات ...)[44].

ومن أمارات التفكر النطق ب (الحمد) و(التكبير)، وهما أمران منصوص عليهما في محكم التنزيل، يقول تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾[45]، ذلك أن اتخاذ الولد والاشراك في الملك ووجود الولي هي علامات من علامات النقص، وأمارات من أمارات الذل، وهي منافية للكمال، ومناقضة للجمال، جمال الجمال، وجلال الجمال... لأنها تلحق بالجمال قبحا، وبالكمال نقصا لذا وجب الحمد والتكبير[46]، يذكرها مفردة ويذكرها مجتمعة وكل واحدة لها معنى وتفيد مغزى يقول: (إن سبحان الله والحمد لله يتضمنان التوصيف بصفات الله الجلال بالأول والجمال بالثاني)[47]، فتأمل هذا التفريق! (سبحان الله ينظر إلى بعد العبد والممكن عن الله الواجب الوجود العلي العظيم، والحمد لله ينظر إلى قرب الله بالرحمة واللطف إلى العبد ومخلوقاته)[48].

ومن أجوبته بعد التفكر قوله {حسبنا الله ونعم الوكيل}، لنطقه بها مبررات منها أن التوكل على الله أمر مأمور به وجوبا. ومنها أن ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[49]، ومنها أن (حسبنا الله ونعم الوكيل الجليل الجميل ذو الكمال والجلال والجمال المحبوب لذاته، فلشوق تجديد تجليات جماله نموت ضاحكين ونعيش مسرورين)[50].

الذكر هو الجواب، هو السر في التعامل مع مظاهر الجمال المنبثقة من الجلال، وللذكر مفاتيح بها تنفذ إلى عمق الوجود والكون، لا يقدم لك النورسي هذه المفاتيح بل يدلك عليها، ويوجهك إليها، ويفكرك فيها، ويعلمك كيف تستعملها (إن لله تسعة وتسعين إسما لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر)[51]، هي أسماء الله الحسنى، وهي ثلاثة أنواع: نوع دال على الجمال ونوع على الجلال وثالث على الكمال، وإذا ركبتها كانت جمالية وجلالية وكمالية، ولذلك كان لكل منها مقام، ولكل مقام مقال منها.

لايتذوق الجمال إلا الذي هذب النفس وزكاها، فأحياها حياة تذوق الجمال، واجلال

الجلال والاقتناع المطلق بالكمال... ولا يتحقق هذا إلا للذي يجيد قراءة واقع الجمال قراءة حرفية ، والقراءة الحرفية هي بالمعنى الذي حدده النورسي، وهذه القراءة هي التي تهب للنفس الحياة الحقيقية وللإيمان مغزاه الحقيقي، ومنها ينبثق الذكر، وإذا انبثق منها الذكر كان هو الذكر الحقيقي الباعث على الزيادة في الإيمان والنقصان من المعاصي، وفي الحديث: (مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت)[52]، فلنحي مع بديع الزمان بهذه الأذكار التي تلاها على جمال الله وجلاله وكماله يقول:

(هو القدير، المقدر العليم الحكيم المصور الكريم اللطيف المزين المنعم الودود المتعرف الرحمن الرحيم المتحنن الجميل ذو الجمال والكمال المطلق النقاش الأزلي الذي ما حقائق هذه الكائنات كلا وأجزاء وصحائف وطبقات، وما حقائق هذه الموجودات كليا وجزئيا ووجودا وبقاء إلا خطوط قلم قضائه وقدره بتنظيم وتقدير وعلم وحكمة والا نقوش بركار علمه وحكمته بصنع وتصوير وإلا تزيينات يد بيضاء صنعه وتصويره وتزيينه وتنويره بلطف وكرم وإلا أزاهير لطائف لطفه وكرمه وتعرفه وتوددده برحمة ونعمة وإلا ثمرات فياض عين رحمته ونعمته وترحمه وتحننه بجمال وكمال وإلا (لمعات جمال سرمدي وكمال ديمومي بشهادة تفانية المرايا وسيالية المظاهر مع دوام تجلي الجمال على مر الفصول والعصور ومع دوام الإنعام على مر الأنام والأيام والأعوام)[53].

ثم يواصل مجيبا على سؤال الجمال ب(نعم، تفاني المرآت زوال الموجودات مع التجلي الدائم مع الفيض الملازم من أظهر الظواهر من أبهر البواهر... إن الجمال الظاهر، إن الكمال الزاهر ليسا ملك المظاهر من أفصح تبيان من أوضح برهان للجمال المجرد للإحسان المجدد للواجب الوجود للباقي الودود)[54].

5 – خلاصة :

حاولنا في هذا العمل المختصر بيان أن الجمال في الكون يدل على خالقه، والنبوة إنما ترشد إليه وتدل عليه.

وحاولنا فيه تحقيق أهداف منها:

– تخليص الكلام في الجمال من العفونة الفكرية، وتخليص الجمال نفسه من عفونة الجمال.

–بناء نظرية إسلامية في الجمالية والجمال مبنية على الإيمان برسالة الاسلام ، وعلى العمل بشريعته الخاتمة.

-تحقيق السعادة بتذوق الجمال وذلك بتفعيل آلية جلبها، وتعطيل آلية جلب الشقاء والتعاسة.

وتبين بعد هذا أن الذات هي مقياس مهم في رصد الجمال وفي التعبير عنه لكن أداة الذوق في الذات نسبية تختلف درجات قوتها من ذات إلى أخرى، في ذات الفلاسفة هي بحسب العقل وتنوعاته، وفي ذات المتصوفة بحسب الباطن وتبايناته، أما في المحاولة التي قدمناها للقارئ المفضال فهي من موقع ذات متميزة، عاينت الجمال من موقع تأمل خاص، وتذوق خاص، تأمل ينطلق من ذات طموحة إلى التغيير، وتذوق نابع من خصوصية الشريعة الإسلامية. ذات تأملت فتذوقت ولما قالت خالفت وعاكست، ثم تصدت وصححت.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.

- صحيح البخاري، طبعة دار الفكر – تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

- صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي – دار الحديث.

- فتح الباري طبعة دار الفكر – تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

- لسان العرب، أبو الفضل محمد بن مكرم، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقى المصري (ت711هـ)، دار صادر – بيروت.

- المثنوي العربي النوري. بديع الزمان سعيد النورسي، تحقيق إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الرابعة، 1420ه/1999م، شركة "سولزلر " للطباعة، استانبول، تركيا.

- مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (ت: 518هـ) تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة - بيروت، لبنان

- خلاصة في نقد الفكر الطبيعي: قراءة في كتاب الطبيعة مع مقالة في بناء الانسان عند بديع الزمان سعيد النورسي، الطبعة الأولى: مارس 2002/ محرم 1422ه، المطبعة الوراقة الوطنية، مراكش.

* * *

الهوامش:

[1] سورة الشمس: الآية (7 – 10).

[2] تكلمت على هذه العناصـــر بما يكفي في كتابي (خلاصـــة في نقد الفكر الطبيعي: قراءة في كتاب الطبيعة مع مقالة في بناء الانسان عند بديع الزمان سعيد النورسي،، الطبعة الأولى: مارس 2002/ محرم 1422ه، المطبعة الوراقة الوطنية، مراكش) : انظر ص : (76 – 86) .

[3] – المثنوي العربي النوري. بديع الزمان سعيد النورسي، تحقيق إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الرابعة، 142ه/1999م، شركة "سولزلر " للطباعة، استانبول، تركيا، ص : 413 .

[4] المصدر نفسه،: ص: 287، 343، 346.

[5] انظر لسان العرب لسان العرب، أبو الفضل محمد بن مكرم، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقى المصري (ت711ه)، دار صادر – بيروت. – جمل – 126/2.

[6] سورة النحل الآية 5-6 .

[7] سورة الغاشية الآية 17

[8] طرف من حديث أخرجه مسلم بن الحجاج في صحيحه، كتاب الإيمان – 1/ 93 حديث رقم 91 . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي – دار الحديث .

[9] انظر لسان العرب 126/2.

[10] المصدر السابق 157/12 .

[11] سورة المائدة ، الآية : 4.

[12] أدرجنا هذه الزيادة لأن المعنى لا يستقيم إلا باثباتها.

[13] المثنوي ص: 287.

[14] المصدر السابق ص: 284

[15] المثنوي ، ص: 292 .

[16] المصدر السابق ... 292 – 293 .

[17] المصدر السابق ص: 91 .

[18] المثنوي ... ص: 95.

[19] المثنوي ... ص: 86.

[20] المصدر السابق ص: 87.

[21] المصدر السابق نفسه.

[22] المثنوي العربي النوري ... ص: 87.

[23] سورة الغاشية: آية (17 – 21).

[24] سورة البقرة: الآية 165.

[25] المثنوي العربي النوري ..ص: 416.

[26] المثنوي العربي النوري ص: 117.

[27] المصدر السابق ص: 311.

[28] انظر المصدر السابق : 234.

[29] المصدر السابق : 448.

[30] انظر المصدر السابق ص : 457 – 458.

[31] انظر المثنوي، ص: 92.

[32] انظر المصدر السابق نفسه.
[33] المصدر السابق، ص: 92.
[34] سورة النحل: آية 60.
[35] المثنوي، ص : 344 – 345.
[36] انظر المصدر السابق ص : 432 .
[37] انظر المثنوي العربي النوري 432 – 433 .
[38] المرجب : الذى جعل له رُجْبة وهى دعامة من الاحجار تدعم بها النخلة. مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (ت: 518هـ) تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة - بيروت، لبنان، 31/1.
[39] المثنوي، ص 352.
[40] المصدر السابق ص: 227.
[41] المصدر السابق ص: 352.
[42] حديث صحيح، أخرجه البخاري في جامعه ، كتاب الدعوات، باب فضل التسبيح ، أنظر فتح الباري 206/11 رقم الحديث 6406 . طبعة دار الفكر – تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.
[43] سورة آل عمران: الآية 190 – 191.
[44] المثنوي العربي النوري ص:145.
[45] سورة الإسراء: الآية 111.
[46] يذكر النورسي ل (الله أكبر) ثلاثة وثلاثين مرتبة ، أنظر المثنوي العربي النوري ص : 141.
[47] انظر المثنوي .. ص: 227
[48] المصدر السابق نفسه (بتصرف).
[49] سورة الطلاق: الآية 03.
[50] المثنوي العربي النوري ص: 248.
[51] أخرجه البخاري في جامعه الصحيح، كتاب الدعوات، باب لله مائة اسم غير واحدة، أنظر فتح الباري 214/11 رقم 6410.
[52] أخرجه البخاري في جامعه الصحيح، كتاب الدعوات ، باب فضل ذكر الله ، فتح الباري للحافظ ابن حجر 11/ 208 رقم الحديث 6407.
[53] المثنوي العربي النوري ...ص: 166 ، (مخطوط).
[54] المصدر السابق.

وقفات مع دراسات حديثة عن رسائل النور والأستاذ النورسي الأستاذ إحسان قاسم نموذجا

أ.د. عمار جيدل
كلية العلوم الإسلامية،
جامعة الجزائر1 بن يوسف بن خدة. الجزائر.

– ملخص–

تعد الكتابة عن رسائل النور من أهم ما تعلّقت به همّة الأستاذ إحسان قاسم الصالحي، فقد تدارسها وعَرَّف بها، وشغلت عليه هذه المهمّة الحضارية الراقية أنفاسه، فكانت كتابته عن رسائل النور- التي عايشها مترجما أزيد من ثلث قرن- كتابة جندي في مقدّمة الفرقة الأولى، جندي يبذل للكلّ ما تذوّقه من محبّة رسائل النور غضة طرية كما بلغته، كما يبذل في لطف ما انبثق عنها من محبّته لمستمعه وطالب الاستزادة من أنوار نور رسائل، فكان مسكونا بإيصال ما وفّقه الله لارتشافه من معينها، فلم يبخل عنّا بما بلغه جهده متعلّما ومعلّما، فكانت كتابته معايشة علمية وعملية اجتمع لها عنصر الظاهر والباطن، فكان يدبّج بيراعه ما استقر في جوانه من المعاني التي مرّت عبر مصافي العقل السليم، المحتكم إلى القرآن الكريم الذي لا يجف عطاؤه.

الكلمات المفتاحية: دراسات حديثة، وقفات، رسائل النور، النورسي، إحسان قاسم.

Pauses With Modern Studies in Risale-i Nur and Professor Nursi Professor Ihsan Qasim as a Model

Prof. Dr. Amar Djidel

–Abstract–

Writing about the Letters of Light is one of the most important things that Professor Ihsan Qasim Al-Salihi was concerned with. He studied it and introduced it, and this high civilizational mission occupied his breath. His writing about the Letters of Light- which he lived through as a translator for more than a third of a century- was the writing of a soldier at the forefront of the first division, a soldier who gives to everyone what he tasted of the love of the Letters of Light, fresh and tender as it reached him, as he gives in kindness what emanated from it of his love for his listener and the seeker of more of the lights of the Light of the Letters. He was obsessed with conveying what God enabled him to sip from its source, so he did not withhold from us what he reached his effort as a learner and teacher. His writing was a scientific and practical experience that combined the elements of the apparent and the hidden. He used to compose with his pen what settled in his heart of meanings that passed through the filters of A sound mind, guided by the Holy Quran, whose generosity never dries up.

Keywords: Modern studies, pauses, Risale-i Nur, Nursi, Ihsan Qasim.

* * *

رسائل النور دائمة الحضور في الدراسات الفكرية والحضارية المعاصرة، وقد نشرت بهذا الصدد جملة من المصنفات، وقد عرفت المطبوعات العربية عام (2024) ظهور إسهامات لشخصية علمية استعملها الله في نشر رسائل النور باللسان العربي، إنّه الأستاذ إحسان قاسم الصالحي، الذي لم يتوقّف جهده عند الترجمة، بل كتب وحاضر في كثير من البلاد الإسلامية عن مضامين هذه الأنوار الربانية، كما تدارس مضامينها مع ثلّة من المهتمين بها.

صدر للأستاذ إحسان قاسم الصالحي مترجم رسائل النور إلى اللسان العربي كتابان باللغة العربية، يتمحوران على خدمة رسائل النور بيانا وتيسيرا وتفهيما، سنحاول عرض المحتوى والتعليق عليهما تعريفا بهما، وذلك وفق ما يقتضيه المقام..

الكتاب الأول: العنوان: العبودية لله سعادة عظمى

الحجم: حجم الكتاب 215 صفحة من الحجم المتوسّط، ألّف باللغة التركية، وقد طبع أكثر من عشرين طبعة، فنفذت نسخ الطبعات، مما كان دافعا لترجمته إلى اللغة العربية، وقد قام بهذه المهمّة الباحث مولاي الحسن الحفيضي،، ونشرت نسخته العربية عام 2024 من قبل سليس كتاب باسطنبول (Selis Kitap)

أولا: حول الكتاب:

1- أصل كتاب (العبودية سعادة عظمى):

أصل الكتاب هو حوار ومدارسة لمضامين رسائل النور، وتم باقتراح الباحث الأديب إكرام أرسلان على الأستاذ إحسان قاسم الصالحي تدارس مسائل وردت في رسائل النور زيادة في التوضيح وتطلبا للفهم، استهل التدارس عام 2008، ودام في جلسات متعددة على مدار أوقات متفرّقة، كان الأستاذ إكرام يسجل صوتيا المحاورات والأسئلة والنكات والتعقيبات والتعليقات، ثم أفرغ التسجيل في مكتوبات، فنسب الأستاذ إحسان إلى الأستاذ إكرام أرسلان هذا الكتاب الذي جرّده من الزوائد، وخصّصه لمسائل في تدارس رسائل النور، والتي دار موضوعها حول: العبودية لله السعادة العظمى.

ينسب الأستاذ إحسان قاسم الصالحي الكتاب إلى الأستاذ إكرام ارسلان الذي يعود إليه الفضل في جمع وترتيب مادة الكتاب وتنسيقها، إلاّ أنّ الأستاذ إحسان يقرّ بأنّ كل ما ورد في الكتاب هو ما نقله عنه الأستاذ إكرام حرفيا، فلهما الشكر وجميل الثناء.

2- أنموذج يحتذى:

إنّ للأستاذ إكرام أرسلان الفضل في التنبيه إلى طريقة عملية لاستخراج مكنونات ضمائر العلماء والأساتذة ومخزونات عقولهم وقلوبهم، فالحوار البيني بينه وبين الأستاذ إحسان طريقة رائدة في التعرّف العملي على معارف العلماء ومناهجهم في التعامل مع المعرفتين النظرية والعملية، ذلك أنّه يشقّ على بعض الأساتذة التفرّغ للكتابة، فيكون أسلوب التدارس مسلكا عمليا لجعلهم لجعلهم يكتبون في ظروف مريحة من غير شعور منهم، ذلك أنّ الحوار وسيلة مثلى لاستخراج المناهج والمعارف من صدور العلماء والمفكرين. فللأستاذين الشكر المضاعف أولا على المنجز، وثانيا على التنبيه إلى مسلك عملي في الاستكتاب المبطّن.

ثانيا: مضمون الكتاب:

عرضت مادة الكتاب في تسعة فصول، مرتبة بشكل موضوعي متجانس، وقد غطّت جملة ما كان يروم السائل تحصيله من التدارس، والفصول وردت في النص على النجو الآتي:

الفصل الأول: تضمّن منوّعات مندرجة في التحليق في أفق العبودية لله تعالى، فكان منها التعريف بالعبودية، وبيان أنّ النيّة الخالصة تنوّر العبودية وتمنحها المغزى والمعنى، وتتمات الموضوع التطرق إلى الإجابة عن سؤال: هل للكائنات الأخرى عبودية؟ وتبعات هذه المسألة الحديث عن كيفية تسبيح الجمادات بحمد الله، وختم الفصل بالتذكير بأنّ

كل شيء في الكون شاهد من شهود الله تعالى.

الفصل الثاني: حوى المسألة الرئيسة في حياة الإنسان وهي العبودية وأهميتها في حياته، وفي إطار هذه المهمّة الوجودية المحورية يتعامل الإنسان مع الكائنات، إذ هي مجال تحقيق العبودية لله تعالى، ومن أهمّ ما تطرّق إليه في كنف عبودية الإنسان التنبيه إلى النواتين المخفيتين في جوهر (الأنا)، ومن خلال الجواب عن السؤال المحيّر الذي شغل الورى منذ القدم: لماذا خُلِقَ الانسان؟ كيف يمكننا توجيه ميزاننا؟ لكي لا نضيع، وكيف السبيل إلى كسب حياة أبدية من عمر قصير.؟

الفصل الثالث: استهل في هذا الفصل بالتطرّق إلى قواعد أساسية في العبودية لله تعالى، فكانت الطليعة لبيان مكانة "العجز"، و"الفقر" في العبودية، ثم أكّد على أنّ الأخذ بالأسباب نوع من الدعاء، لهذا يتعيّن الاستعانة بالأسباب إلى أقصى حدّ متاح، ونظرا لإمكان فهم العجز والفقر على غير الوجه المطلوب، عاد المؤلّف إلى تحقيق القول فيها، من هنا تناول فكرة كيفية رؤية الإنسان نقصه، ومما تطرّق له أيضا في هذا الفصل أنّ الشخصية النموذجية لا تكون إلا بالدعاء والسلوك وفق مقتضيات التوجيه الإلهي والتطبيق النبوي، مشيرا في سياق نفسه إلى طرق كسب أسباب الترقي، وعلى رأسها رؤية الذنوب التي تُعَدُّ طريقا رئيسا للتوبة، وفي ذلك إدراك عقلي وقلبي للعجز الباعث على اللجوء إلى الله تعالى، ذلك أنّه يملأ القلب بحقيقة فقره وحاجته إلى مولاه، فيقول بحاله قبل مقال" يا ربّ أنت الوحيد صاحب القوّة والقدرة الحقيقيتين".

ومن تتمات هذه المعاني التنبيه إلى أولئك يظنون أنفسهم الأقوى، بسبب غفلتهم عن الله المتأتية من ذهولهم عن عجزهم وافتقارهم في وجودهم وبقائهم ومصيرهم إلى الله تعالى، فكان بناء على ذلك التَحَقُّقُ بالانتساب الإيماني(العبودية) عُمْدَةُ معرفة الإنسان نفسه، وأهمّ باعث على اللجوء النَفَسي إلى مولاه، ذلك أنّه باعث على الثقة أنّ بعد الظلام الدامس لا بد أن يأتي النور المبلج، فكلّما اشتد الظلام لمع النور.

الفصل الرابع: يمثّل هذا الفصل وقفات تفصيلية مع مسائل إيمانية، استهل بالتعرّف على سرّ كن كلّ حركة عبادة، معرّجا على أهمّ ما يجعلها كذلك، وهي النيّة والإخلاص، فبالنيّة يمكن أن تحوّل الذنب إلى ثواب، والثواب إلى ذنب، وضرب في هذا جملة أمثلة توضيحية، أما الإخلاص فإنّه يمثّل أنقى وأطهر صور العبادة، وهو نقطة الاستناد والركيزة الأساسية للاستمداد، وهو (الإخلاص) حين التمكّن من الباطن ييسّر إدراك الغاية،

ويحوّل هذا المسعى إلى دعاء، ذلك أنّ الإخلاص هو أنفذ سلاح ملّكنا الله إياه، لهاذ يتعيّن معرفة طرق الحفاظ عليه والثبات عليه.

وأورد الأستاذ تكملة أسس الإخلاص فعرض موضوعي النظر والتفكّر، ففي الأوّل(النظر) أكّد على أنّه أساس معرفة الله من أسمائه وصفاته، وأنّ النظر الحقيق بالاعتبار هو الذي يغيّر وجهة النظر في ماهيات الكائنات، ذلك أنّ القرآن الكريم جعل الكائنات كتبا تعرّفنا بالله، وهي إشارة تسعف المحاور وعموم المتلقي فهم الفرق بين النظر الاسمي إلى النظر الحرفي، وهذا يؤكّد أنّ النظر مظنة قويّة لاكتساب الاطمئنان، وهو تدريب علمي وعملي على تلمّس التعرّف على أسماء الله الحسنى المبثوثة تجلياتها في الكائنات، وتقديرا منهم لأهمية الاطمئنان، عاد بنا الأستاذ إلى تناول الموضوع: فتساءل: هل من السهل الوصول إلى مرتبة الاطمئنان؟ وختمها تقرير حقيقة أنّ الضمير لا يصمت حتى مع صمت العقل.

أما التفكّر فكانت وقفاته معه تفصيلية، قرّر في المستهل أنّ التفكّر من أهم العبادات، وأن التفكّر الباعث على الاستفادة هو تأمّل هادف مبناه منظومة منهجية مضبوطة، وبالرغم من أهمية هذه المنظومة إلاّ أنّنا لا نبذل لكسبها وتنميتها الأسباب المحقّقة لغاياتها، ولأهميتها يتعيّن أن تكون لمؤمن خلوات تفكّرية، يختلي فيها بنفسه، فتكون وسيلة للعبودية، وخاصة إذا هيمن على كيان المؤمن التفكّر في أسماء الله الحسنى، ومَنْ فاته شيء منها فلا غرو من السعي لامتلاكها العلمي والعملي الشامل لعنصري الظاهر والباطن، وإذا وفّق الله إلى كسبها فسيرى المتحقق بها في الكون جمالا أخّاذا، يكاد أن يطير بصاحبه في العوالم العلوية.

الفصل الخامس: يظهر التكامل بين المضامين فيما عرضه من قضايا تمثّل صلب العبادة ولب لبابها، فبداها بسر العبودية والامتحان، ثم عرض الإجابة على سؤال: لماذا يمتحننا الله تعالى؟ وفي سياق أكّد أنّ القرآن يخبرنا بأنّنا في امتحان دنوي مستور، وعرّج على حكمة ستره، ثم زاد المسألة تفصيلا، فبيّن أنّ الابتلاءات الدنيوية ترفع من لذّة الجنة، ولا شكّ أنّ للابتلاءات صلة بوجود الشيطان، فوجوده متعلّق بالامتحان الذي يكرم فيه المؤمن أو يهان، ومما له صلة به وجود الخير والشر جنبا إلى جنب.

بيّن المصنّف أن الامتحان هو تكليف يفتح باب العقل، ولا يعطّل الإرادة، وأنّ الاستحضار العقلي والقلبي للامتحان الدائم هو منبع انتفاع بفعالية الامتحان، ولا مطمع

في تحقيق قصده إلاّ إذا تحوّل استحضار الامتحان إلى ملكة تستغرق الأنفاس، دائمة الاستحضار، فلا نفع فيها إلاّ إذا كان المؤمن لا يفتر عنها في حلّه وترحاله، في يقظته ونومه، وبقعله وقلبه وروحه، في مسائله الفردية والجماعية.

الفصل السادس: إنّ العبودية صلة مستمرة دائمة نَفَسِيَة بين العبد وربّه، لهذا فهي بحاجة إلى الخلوات، ولهذا تتلبّس بالعزلة، فكان لزاما بيان صلة العبودية بالعزلة، وهو ما عرضه المصنف في مقدّم الفصل، ولو ترك المؤمنون وشأنهم في مسألة الصلة بين العزلة والعبودية، لمال كثير منهم إلى العزلة فرارا بدينهم، لهذا أجاد المؤلّف في التنبيه إلى كيفيات الانزواء مع البقاء على الانخراط في البُعْد الجماعي والاجتماعي للعبودية، ولا يقوم بذلك إلاّ من عاش بكلّ استعداداته أن النعم وهب إلهي، يتعيّن بذل حق الله منها، وهو ما تطرّق له المصنف بهذا السياق، ولأجل تحقيق القول في الانزواء ذكر الأستاذ المصنّف أنّ الانزواء المتجلي في تصرّفات بعض الأولياء قد يكون باعثا على الصدمة، وخاصة عند اولئك الذين مالوا إلى العزلة وحبّبوها للمريدين والأتباع، لهذا ولتجاوز الصدمة نبّه الأستاذ (حفظه الله ورعاه) إلى الصحابة الكرام الذين يمثّلون نموذجا عمليا تطبيقيا للصلة بين العبودية والانزواء (العزلة)، فكانوا بحالهم دلالين على أنّ ادنيا مكان للتعريف بالآخرة، ولكي لا تطغى الدنيا على الاهتمام بالآخرة ينبغي أن لا نجعل الدنيا همّنا ومنتهى مبلغ علمنا وآخر مقاصد بذلنا، بل ينبغي أن ننخرط في الدنيا طلبا للنجاة في الآخرة.

الفصل السابع: عرض في هذا الفصل تدقيق وتحقيقات في العبودية، تناول في البداية العلاقة بين العبودية والدعاء، وأنّ العبادة الحقّة هي اللجوء التام الشامل إلى الله تعالى، وقد يركب المؤمن الزهو بحالة الإيمان فيظن أنّه مستجاب الدعاء، لهذا يتعيّن تحقيق القول فيهما، ومعرفة فيما إذا كان للدعاء وقت مخصوص، وأنّ الدعاء الصادق يحوّل التراب إلى فضّة، ويعدّ هذا بيانا مقتضبا لما يتعّن التحلي به من عناصر العبودية، والفصل أقصر الفصول حجما ومضمونا.

الفصل الثامن: تحقيق العبودية الصادقة يفرض معرفة معوّقاتها وطرق التخلّص من هذه المعوّقات، وهو ما خصّص له الفصل السابع، وتناول فيه تفصيلا غير ممل، عرض عُمَد المعوّقات، فتناول بالعرض التفصيلي: الرياء، واليأس، والعُجْب، والغرور، وسوء الظن، والغيبة.

أكّد في مستهل الكتابة عن الرياء على أنّه من الأمراض الكبرى التي تدفع الإنسان إلى المعاصي، لهذا طرق موضوع الأسباب المؤدية إليه بقصد تلافيها، وهنا تساءل هل هناك مواقف لا يعتريها الرياء؟ وهل يدفع اخوف من الرياء إلى ممارسة الشعائر خفية، وقد اختار الأستاذ ممارستها في العلن لما له من محامد تربوية، وتدريبية، إعلانها. وأكمل العبادات هي تلك التي تفعل الطاعات على أكمل طلبا لمرضاة الله، ويختم هذا الفرع بوصفة حدّد فيها ما يجب فعله للتخلّص من الرياء.

وأما عن اليأس فقد بيّن الأستاذ أنّ الطريق إلى الخلاص للنجاة من الرياء، هو اللجوء التام الشامل لله تعالى في السرّ والعلن. كما يدفع العُجْبُ بترك الافتخار والتحرّر منه طمعا في رحمة الله تعالى. وكذا الغرور بتمام إسناد الحول والقوّة إلى الله وحده، لأنّ الغرور يمنع الإنسان من التقدّم المادي والمعنوي. ومن تمام التطعيم ضد المعوّقات ترك سوء الظن، لأنّه أكذب الحديث، ولا يدفع سوء الظن إلاّ حسن الظن.

زمن تلبّس بسوء الظن وقع تحت طائلة الغيبة، وهي نبتة مستكرهة منتنة، يتعيّن اتخلّص منها لمن وقع تحت طائلتها، ورأس ما يستعان به على تركها ترك مجالسها ومجالسة أهلها، ومع ذلك فقد تكون الغيبة جائزة ويتسامح في شأنها، ولكنها ضرورات تقدّر بقدرها.

الفصل التاسع: وكانت به نهاية مادة الكتاب، وقد برهن فيه على أنّ أصدق تمثيل للإسلام هو العبودية الخالصة لله تعالى، العبودية الباعثة على الحكمة الجامعة بين العلم والعمل، وأهمّ تجليات هذا الالتزام هو التحلي بالسلوك القويم، فلاستقامة هي أساس الكرامة في الدنيا والآخرة.

وقفة مع المضامين: غطى الكتاب جملة أسئلة المؤمن في عصرنا، وحاول الاقتراب من اهتماماته بعرض ما تقوم به العبادة من أوامر قلبية وعقلية وبدنية عامة، ولم يغفل الإشارة إلى معوّقات العبودية والتي من شأنها أن تفقد العبودية أثارها، ومن كان هذا شأنه لا سدّت أمام طرق استجلاب ثمراتها الأخروية ثم الدنيوية.

إنّ كتاب" العبودية سعادة عظمى" جليل القدر عظيم النفع، ولو أعيد فيه النظر في تفاصيل المضامين وترتيبها لكان أجود وأنفع، وللوصول إلى المطلوب وتحقيق المقصود أسرع.

الكتاب الثاني: العنوان: دراساتي حول رسائل النور

الحجم: الكتاب من الحجم الكبير، بلغت عدد صفحاته 456 صفحة، ونشر عام 2024، نشر في اسطنبول وبالضبط من قبل مؤسسة اسطنبول للثقافة والعلوم، بإسطنبول بالجمهورية التركية.

أولا: حول الكتاب:

1- أصل كتاب:

بيّن من عنوان الكتاب (دراساتي) الجمع والنسبة، أنّه جمع لجملة الدراسات التي شارك بها الأستاذ إحسان قاسم الصالحي محاضرا في كثير من المؤسسات العلمية الرسمية في البلاد الإسلامية العربية وغير العربية، فهو تجميع جهد علمي موزّع على سنوات البذل والسعي والمثاقفة والاستماع إلى الرأي والرأي المخالف، فكان جهده تثقيفيا معرّفا بالرسائل في المؤسسات العلمية العالية.

2- أنموذج يحتذى:

يحمد للأستاذ إحسان الصالحي صنيعه، أولا يحفظ ما كتب ثم ترتيبه وتبويبه ثم نشره مع الإشارة إلى معطيات إنجاز الدراسة وظروفها وسياقاتها، وهو أنموذج يحتذى فيدعو الجيل الحالي والذي بعده إلى التوثيق والحفاظ على المنجزات المعرفية ونشرها في القابل، ذلك أنّ عنايتنا بأشريفنا الشخصي ضعيف عن بعضنا ومهمل عند البعض الآخر. لهذا فالأستاذ إحسان أستاذ في الاهتمام بتاريخنا ومنجازاتنا وتعريف للأجيال اللاحقة بها، لعلّهم ينتفعون فيجمعون، ويكتبون ما به يمجّدون عند الله، فلا تكون كتاباتهم شاهدة عليهم، بل شاهدة لهم عند الله ثم عند الناس، لهذا نجدد الدعوة إلى حفظ المقالات والدراسات وصيانتها لأنّها ملك للأجيال القادمة، لعّهم ينتفعون بها، ويؤرخون منها لنا أو علينا.

مقتضى هذا النموذج، أكتب وحافظ على ما تكتب، اجمع رتّب، فسيأتي وقت القطاف بالنشر، وخاصة إذا كانت الكتابة بنية ملأ صندوق الادّخار الأخروي، فطوبى لك ثم طوبى.

ثانيا: مضمون الكتاب:

1- في أفق الكتاب:

احتوت رسائل النور نسائم الهدايات القرآنية، فَيُشَمُّ عطرها الأخّاذ بالقراءة المتدبّرة

لقليلها، وتزيد قوّة الشَدِّ إليها بزيادة القراءة الوظيفية، قراءة قصدها إنقاذ الإنسان بإنقاذ الإيمان، بشرط أن تستشرف الشَمَّة أفق الانخراط في سياق التسبيحات الكليّة التي تؤسس لها الرسائل في كلّ جنباتها.

إنّ القراءة المتدبّرة للرسائل مظنة شمّ شيء من عطرها، إنّ الشمة الواحدة منها تملأ الآفاق، والجوانح، وتريح البال، إذ عطرها يسيل حيث مددت إليه قلبك بعقلك وروحك، تمنحك الرسائل عبقها بقدر جديّة انخراطك فيها.

ولا شكّ أنّ إدامة النظر الجامع (العقل، والقلب، والروح) فيها يصقل المواهب ويعدّل المزاج، ولا يُحْفَظُ هذا المقام إلاّ لمن استغرق نظره فيها الأنفاسَ، مستصحبا أنّها دلاّلة على الله، مبيّنة لمقام رسول الله، ومرشدة إلى تجليات أسماء الله الحسنى في الكائنات، فيجمع الناظر فيها بين دلالة القرآن على الله، ودلالة رسول الله (صلى لالله عليه وآله) على الله، فضلا عن دلالة الكائنات على الله، فتّتحد المعرفة وتكون المعرفة الدالة على مولانا واحدة متكاملة شاملة مستغرقة لصريح التنزيل وأصحّ ما جاد به العقل البشري عبر العصور.

دخل الأستاذ إحسان قاسم الصالحي رحاب رسائل النور مسترشدا مفتّشا عن أدوية تفيده في ظل أمراض أصابت أهل عصرنا في مقاتل، وكادت أن تُرْدي أهله المهالك التي عمّت وطمّت، وخاصة في ظروف أهمل فيه التشخيص الدقيق، فشاع فينا الاستهانة بالأمراض فتحوّلت مع الأيام إلى أمراض مزمنة. قدّمت رسائل النور أجود التشخيص لأمراض عصرنا، ولخصتها في: حياة اليأس الذي يجد فينا أسبابه وبعثه، وموت الصدق في حياتنا الاجتماعية والسياسية، وحبّ العداوة، والجهل بالروابط النورانية التي تربط المؤمنين بعضهم ببعض، سريان الاستبداد سريان الأمراض المعدية المتنوعة، وحصر الهمة في المنفعة الشخصية. فهل يمكن لعاقل أن يميل عن صيدلية وجد فيها أدوية تدفع هذا المرض وتطعّم بشكل متجدد ما يدفعه.

انخرط الأستاذ إحسان قسام الصالحي مبكرا في خدمة الرسائل، فكان نعم المترجم والناشر، والمعرّف، والمقدّم، والمعلّق،... وكان لتعدّد المداخل إلى رحاب رسائل النور فرصة سانحة لشمّ أعبق المعارف والهيام بها، فلا غرو أن تمتلك على الأستاذ إحسان أنفاسه.

يجدّد صلته بها فيتجدّد شَمَّهُ بِشَمِّ أعطر محبوبات العطر المعنوي، وأقصر الطرق وأسلسها في الوصول إلى إنقاذ الإنسان بإنقاذ إيمانه، إن استثمار الشمّة الواحدة

المستفادة من رسائل النور، أسعفت الأستاذ بالمداومة عليها بالترقي من النورانية ترشحا إلى النورانية نسبا معنويا عاليا وغاليا، ورتبة النورانية تستغرق الإنسان في كلّه فيكون منوّر العقل، والقلب والروح، وتتجلى النورانية في السواعد فعلا إيجابيا في شعاب الحياة.

ولعلّ بعض ما حُفِظَ لنا إسهامات الأستاذ إحسان (حفظه الله ورعاه، ونفع به أمتنا) خير شاهد على ما تمتّع به من شمّة لحقائق رسائل النور، فكانت عباراته في بيان هذه الشمّة خير محبّب للقراءة الواعية المستوعبة لرسائل النور، لعلّ القارئ يظفر بما فيها من عبق عطر أصيل يستمد نورانيته من القرآن الكريم والسنّة المطهّرة والتمثّل الأشمل والأكمل لجيل التنزيل من أهل بين النبوّة الأطهار (عليهم السلام) والصحابة الكرام الأبرار الأخيار.

2- هندسة الكتاب:

اختار الأستاذ استهلال سفره هذا بما كتبه أخوه الأصغر الشهيد الأستاذ نجدة قاسم الصالحي رحمه الله، الذي اغتالته يد الغدر في العراق الجريح أواخر رمضان من عام 2006م، كتب رحمه الله: ماذا المجدد؟ وهو اختيار موفّق يبيّن الحاجة الماسة في الأمة للمجدد، بشرط أن يكون حقيقا بتجديد العمل بالدين في الأمة، لا مبددا لمكاسبها المعنوية والمادية.

يلاحظ قارئ هذه الدراسات أنّها متنوّعة الاهتمامات تغرف في جميعها من بحر رسائل النور، فكتب الأستاذ إحسان "نظرات حول ترجمة معاني القرآن الكريم في تركيا"، وكان التركيز فيها رسائل النور، وبيّن في مقالة أخرى بعض جوانب الجدّة في الرسائل، واختار له عنوان" من جوانب التجديد عند النورسي"، ومن مقتضيات مواجهة إشكالات الخوض العلمي المعاصر، كتب" النازع العلمي بين التنظير والتطبيق عند النورسي"، ولأجل تأكيد اهتمامه بنقل شمّاته من الرسائل، كتب" دور العلماء في العهد العثماني والأمة التركية النورسي أنموذجاً"، شمّات رسائل النور تؤكّد أنّ النورسي (رحمه الله) لم يكن رجلا طوباويا نظريا تجريديا، بل كان رجل الأمة والإنسانية، ولدلالة على ذلك كتب الأستاذ إحسان "وحدة الأمة الإسلامية وجهود النورسي العملية في سبيل إقامتها".

جمع الأستاذ النورسي بين قوة المعنى وجمال المبنى، وعبر الأستاذ الصالحي عن

هذه المعاني في عدد من الدراسات منها "رسائل النور والأدب الإيماني"، و"أبعادٌ جمالية في دعوة الإيمان والقرآن"، و"قراءة كتاب الكون في منهج الإمام النورسي في تفسير القرآن الكريم".

وقد استثمر الأستاذ المؤلف رسائل النور في استلهام أجوبة على أسئلة العصر العامة الفكرية والتربوية، فكان منها بيانه لـ "جهود سعيد النورسي في التواصل الحواري"، و"أبعاد في دعوة الإيمان والقرآن"، و"رؤية النورسي لعرفانية ابن عربي من خلال رسائل النور"، و"النورسي ومكانة رسائل النور في الفكر الاسلامي الحديث"، و"العلوم محاريب إيمان وعرفان"، و"البيئة في مقاربة كونية عند الإمام بديع الزمان سعيد النورسي".

ومن تتمات هذا السعي العناية بأسئلة قريبة الصلة بالتخصصات اللسانية والمنطقية والفكرية، فضلا عن أسئلة الراهن في بلاد الغرب، وبهذا الصدد كتب الأستاذ إحسان(حفظه الله ورعاه): "البعد اللساني في حاشية النورسي على منظومة السلم المرونق للأخضري"، و"الإصلاح في نظر علماء الإسلام النورسي نموذجا"، و"التغيير الحضاري والسنن الكونية بديع الزمان سعيد النورسي نموذجا"، و"مفاتيح لمشاكل المغترب من حياة بديع الزمان سعيد النورسي"، و"من التغيير الى التحرير"، و" رسائل النور وإنقاذ الإيمان"، و" دور رسائل النور في صياغة الإنسان صياغة قرآنية"، و"رسائل النور أنموذج متكامل لتقديم الإسلام إلى الإنسان المعاصر "، وختم هذا السفر بدراستين، أولاهما موسومة بـ"هوامش على ترجمة رسائل النور"، والثانية عنوانها "رحلة النورسي إلى عالم القرآن من خلال سيرته الذاتية".

ألقيت هذه الدراسات في مؤتمرات علمية وأيام دراسية احتضنتها مؤسسات التعليم العالي في البلاد الإسلامية، فكانت هذه اللقاءات العلمية وسيلة فعّالة لتعريف العالم الإسلامي برسائل النور وما حوته من جواهر معنوية وعلمية وروحية بأبعاد متعدّدة، فأسهمت هذه الدراسات في تقريب رسائل النور وتحبيبها وتيسير الانتفاع بها، لعّلها تكون في القابل قيمة مضافة معرفيا ومعنويا وتربويا.

ربطت العناية برسائل النور الشرق بالغرب وعمّقت الصلات بين أهل الشرق، نقل الأستاذ هذه الشمّات المعنوية إلى المغرب الأقصى، والجزائر، والهند، وماليزيا، والإمارات العربية المتّحدة، والبوسنة والهرسك، والسودان، ولبنان.

إن ما بذله الأستاذ إحسان قاسم بهذه الدراسات تَمَثُّلٌ عملي لما قاله الأستاذ وهو يقدّم لمواجهة أمراض العصر أدوية فعالّة مقتبسة من فيض صيدلية القرآن الحكيم،

والذي يمثّل بحق وصدق كلية الطب حياتنا الفردية والاجتماعية، وهو أقصر طريق وأنفذ أسلوب في مداواة عصرنا بدفعنا للانخراط الطوعي في الاستشفاء بالقرآن معنويا، وهو الذي يعد مدخلا موضوعيا للطمع في الظفر بما نستأصل به أمراضنا المادية.

* * *

معلومات عن النشر في المجلة

1. تنشر المجلة البحوث الأصيلة (تنشر أول مرة) المنجزة في الدراسات الحضارية والفكرية بمعناه العام.
2. تسعى المجلة إلى نشر البحوث والدراسات المتوافقة مع العمل العلمي الجدي المتجلي في وضوح المقاصد والأهداف، ودقة المنهجية.
3. لا ترى المجلة مانعا من نشر الدراسات التأصيلية في ميادين الدراسات الفكرية والحضارية، وخاصة إن حازت عناصر الجدة والدقة.
4. ترحب المجلة بالبحوث المقارنة سواء تعلّقت بالدراسات المقارنة في ذات الفضاء الفكري أو من فضاءين مختلفين أو من فضاءات متعددة.
5. تعمل المجلة على تشجيع الدراسات والبحوث النقدية الواضحة المقاصد الملتزمة بآداب الحوار والنقاش، المتقيّدة بالمنهجية العلمية.
6. تشجع المجلة على التعريف بأعلام الفكر والدراسات الحضارية، لهذا تتبنى خدمة هذا الهدف بنشر الدراسات المعرّفة برجالات الفكر ولاسيما الشخصيات العلمية التي لم تحظ بالتعريف بالقدر الكافي.
7. تخدم المجلة الباحثين الناشئين وتشجّع دراساتهم المنجزة، وتقدّم ملخصات مركّزة عن أعمالهم المقدّمة لنيل الدرجات العلمية الأكاديمية.
8. تنشر المجلة بعنوان المقالات المحكّمة التغطية الجيّدة لأعمال المؤتمرات والورشات أو الأيام الدراسية العلمية الحضارية والفكرية.
9. تنشر المجلة بعنوان الدراسات الأكاديمية، البحوث المنجزة في التعريف بالكتب النوعية في ميدان الدراسات الحضارية والفكرية، يقدّم فيها الباحث أهم عناصر الكتاب وأهم النتائج التي خلص إليها، مع بيان المآخذ التي سجّلها على الكتاب.
10. تعرض الدراسة أو البحث المقدم للنشر على محكّمين من أهل الاختصاص، تختارهم إدارة المجلة، ويُلْزَم صاحب العمل المقدّم بإعادة النظر في بحثه أو دراسته في ضوء الملاحظات المقدّمة له.
11. يمنح صاحب البحث نسخا (عدة مستلات) من بحثه المنشور، فضلا عن عدد من المجلة التي نشر بها بحثه.
12. تحتفظ المجلة بحق نشر العمل المنشور في كتاب أو بشكل مستقل، بلغته الأصلية أو مترجما.
13. البحوث والدراسات التي وصلت المجلة لا ترد إلى أصحابها سواء نشرت أو لم تنشر.
14. ترسل البحوث والدراسات على العنوان الإلكتروني للمجلة editor@nurmajalla.com بشرط أن لا يزيد حجمها عن 42000 حرف (مع الهوامش والفواصل).

الإشتراك السنوي (عددان)

الإشتراك في تركيا: ..... 20 ليرة تركية

الإشتراك في الأقطار الأخرى للأشخاص: ..... 15 دولار أمريكي

الإشتراك في الأقطار الأخرى للمؤسسات: ..... 30 دولار أمريكي

العنوان للاشتراك

عبد الكريم بابيارا kerimbaybara@gmail.com
شركة سوزلر للنشر
30 شارع جعفر الصادق – الحي السابع
مدينة نصر– القاهرة – جمهورية مصر العربية
تلفون + فاكس: 938 602 22 (202+)

Kalendarhane Mahallesi, Delikanli Sk.
No: 6, VEFA 34134 Fatih
ISTANBUL – TURKEY
Tel: +90 212 527 81 81 (pbx)
Fax: +90 212 527 80 80
info@nurmajalla. com
www. nurmajalla. com

C o n t e n t s

Editorial

- Prof. Dr. Amar Djidel: Introductory Note……..……: 3

Articles and Studies

- Dr. Habiba Abu Zaid:The rules of building faith in the Holy Quran according to Badiuzaman Said Nursi……..……..……: 11

- Dr. Mohamed Hedi Ouannes: Nursi's methodology in responding to atheists, the message of nature as a model……..…….……: 23

- Dr. Hassan Muhammad Ibrahim: The partial objectives of prayer according to Professor Badiuzaman Said Nursi……..……..…..…..: 53

- Prof. Dr. Omid Najm al-Din Jamil al-Mufti: Paths of getting to know the Messenger, may God bless him and grant him peace, in the Risale-i Nur, an analytical study……..…..: 85

- Dr. Firuz Othman Saleh: Despair and its impact on civilizational stagnation, a study in the Risale-i Nur - an analytical study…….……..…...:126

- Prof. Dr. Muhammad Kharoubat: Aesthetics and beauty according to Badiuzaman Said Nursi……: 146

- Prof. Dr. Amar Djidel: Pauses with modern studies on the Risale-i Nur and Professor Nursi - Professor Ihsan Qasim as a model……...…: 163

Contents ……..……...……..: 176

-Only papers conforming to academic standards will be considered for publicatio

al-Nur

Academic Studies on Thought and Civilization

An Academic Biannual Journal (January - July)
Published by the İstanbul Foundation for Science and Culture
Year 15, Number 25 (July 2024)
ISSN 1309 4424 (En-Nur)

Addresses for Subscriptions and all Communications

İstanbul Ilim ve Kultur Vakfi,
Kalenderhane Mahallesi, Dedeefendi Cd. Cüce Çeşmesi Sk. No. 6
Vefa 34134 Fatih, ISTANBUL - TURKEY
Tel : +90 212 527 81 81 (pbx)
Fax : +90 212 527 80 80
info@nurmajalla.com

Abdulkerim Baybara: kerimbaybara@gmail.com
Sozler Publications,
30 Gafar al-Sadiq Street, al-Hayy al-Sabi',
Nasr City, Cairo, Egypt.
Tel. / Fax: +20 0 00 602 938

https://dergipark.org.tr/tr/pub/alnur

ISSN 1309-4424